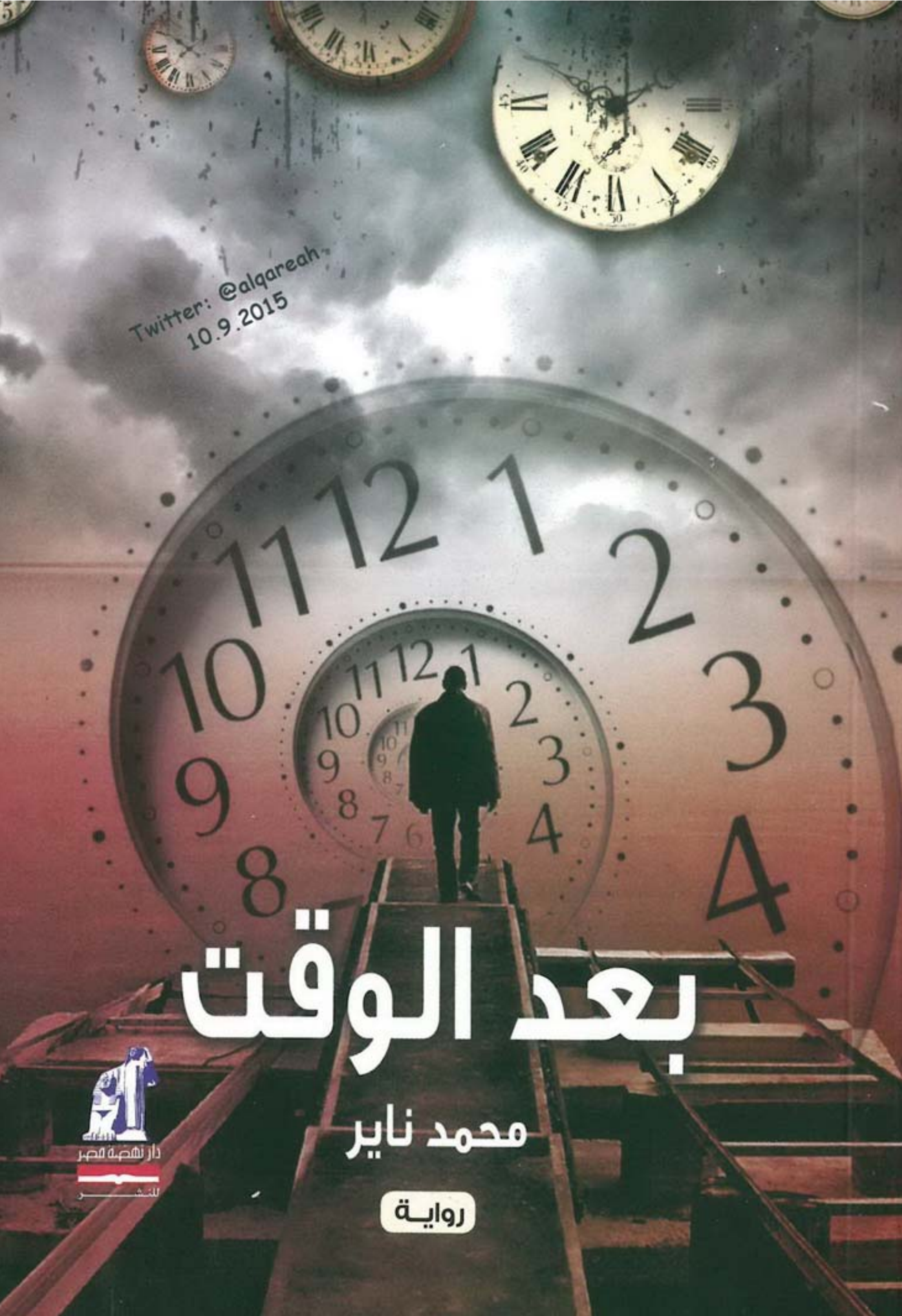

Twitter: @alqareah
10.9.2015

بعد الوقت

محمد نابر

رواية

دار نهضة مصر
للنشر

رواية

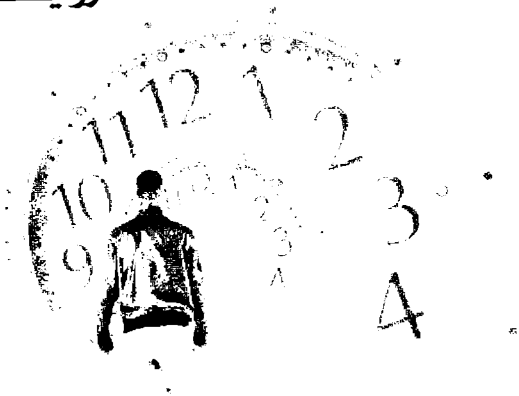

بعد الوقت

تأليف

محمد ناير

دار نهضة مصر للنشر

Twitter: @alqareah

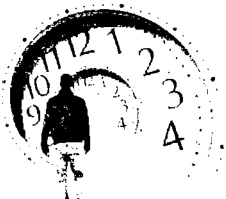

بعد
الوقت

Twitter: @alqareah

العنوان:

بعد الوقـت

(روايـة)

تأليف:

محمد نايـر

إشراف عام:

داليا محمد إبراهيم

جميـع الحقـوق محفوظـة © لدار نهضة مصر للنشر

يحظـــر طبـــع أو نـشـــر أو تصـويـــر أو تخـزيـــن
أي جـزء مـن هـذا الكتـاب بأيـة وسيلـة إلكترونية أو ميكانيكية
أو بالتصويـــر أو خـلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريـح من الناشـر.

الترقيم الدولي: 978-977-14-4687-3
رقـم الإيــداع: 23154 / 2013
الطبعة الأولـى: يـنــايــر 2014

تليفـون: 33466434 - 33472864 02
فاكـــس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

دار نهضة مصر
للنشـــر
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

Twitter: @alqareah

قبل كتابة تلك السطور كنت أطالع وكالات الأنباء والصحف المختلفة ولفت نظري كمُّ العنف والقسوة الذي آل العالم إليه من عدوان على شعوب مسالمة ومقهورة وأزمات اقتصادية طاحنة؛ حتى امتلأت صفحات الحوادث بجرائم لم أكن أحلم بوقوعها سوى في الأفلام التي أشاهدها، وإن كنت أتصور أن الأفلام أكثر قسوة وعنفًا، ولكني اكتشفت أن الواقع يفوقه بمراحل كثيرة...

في تلك الأثناء اتخذت قراري بكتابة تلك الرواية التي كنت أنوي أن أنشرها على حلقات في إحدى الصحف؛ ولكني قررت أن أحولها إلى رواية لعلي أستطيع أن أحلم بغد أفضل ومستقبل أكثر إشراقًا..

2010

محمد نايـر

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

لقد أصبح العالم مكانًا قبيحًا
للعيش فيه

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

1

مارس 2010

ذلك الخبل العقلي الأزلي.. الضحكات المتقطعة والسعال المتحشرج ببلغم عتيق معجون بضحكات خضر العالية.. إنه يسخر مني كعادته.. يتحدى ذكائي وفطنتي وكأنه يطلب مني أن أفكر أكثر قبل أن أسأله إنت مين؟؟ وعايز مني إيه؟؟ بتعمل فيَّا كده ليه؟؟ إن خضر يسعى لإدهاشي دومًا منذ أن التقيته أول مرة.. وإحقاقًا للحق.. إنه يجيد المفاجآت..

مازلت أتذكر جيدًا أول لقاء جمع بيننا.. البعض يتصور أن لقائي الأول بشخص مثل خضر سيكون في إحدى الحارات الضيقة المظلمة أو خلف أسوار قصر مهجور في منطقة نائية؛ ولكن الحقيقة أن لقائي الأول بخضر كان في سوبرماركت «مترو»؛ حيث ابتسم لي أول مرة وتناول مسحوق غسيل بريل اليدوي هامسًا:

خضر: بيرغِّي أحسن على فكرة !!

تأكدت عن قناعة أن خضر يملك باعًا جيدًا وخبرة في مساحيق الغسيل أثناء تنظيفي بنطلوني الجينز في الطشط الأحمر البلاستيكي العتيق في بانيو

Twitter: @alqareah

الحمام، وابتسمت في سخرية وأنا أدعك البنطلون من آثار غبار الليلة الماضية متذكرًا كيف توقفت سيارتي على طريق المحور، واضطررت لدفعها وحدي على الطريق لمدة ساعة ونصف من العرق واللهاث، حتى مررت أمام كاميرات صندوق الرادار وتساءلت في نفسي: ماذا لو صورتني كاميرات الرادار الآن وأنا أدفع السيارة؟ هل سأصرخ وأحطم الرادار بصندوقه هاتفًا ضد ظلم الحكومات الباغية الفاشية؟ أم هل سأبتسم للرادار كي تخرج صورتي أمام رجال المرور في حالة جيدة تدفع للإشراق والأمل والتعاون؟ توقفت عن الدعك في البنطلون للحظة مفكرًا.. الاختيار الثاني هو الأقرب على ما أظن.. لم يخطف بصري سوى آثار الدماء القليلة على حجر البنطلون.. ارتجفت للحظة مفكرًا هل أصابني فتاق من الدفع على المحور في أعضائي التناسلية !! تأملت نفسي سريعًا فلم أجد أثرًا لأي إصابة أو حتى تسلخ جلدي.. لم يهدئ من روعي سوى رذاذ البول المتناثر بين أحضان التواليت المتعطش للبول.. فلتجذب رافعة السيفون.. الفيضان.. أتأمل انسياب المياه وأتخيل نفسي حشرة صغيرة بين جنبات التواليت؛ فيبدو لي شدة ذلك السيفون ورافعته كفيضان في هيئته لتلك الحشرة يصور تسونامي وكاترينا بل وانهيار القطبين بأكملها كغسيل سيارة.. وأفكر.. لو كان بإمكاني بمنتهى البساطة جذب رافعة السيفون والتسبب في غرق عالم تلك الحشرة الصغيرة المتعلقة بجنبات التواليت.. أما يمكن لأحد أن يجذب رافعة شيء ما مشابه للسيفون ليغرق عالمي الذي يبدو له كالحشرة أيضًا!!! يتوقف سيل المياه فأعود ببصري نحو البنطلون في الطشط الأحمر العتيق.. لابد أن أتخلص من آثار تلك الدماء..

Twitter: @alqareah

هواتف مستمرة في الرنين من حولي.. عالمي أشبه بمكعب صغير يتوسط ملايين المكعبات المتداخلة بين ملايين المكعبات الأكبر حجمًا التي تتجمع لتكون مكعبًا هو أحد ملايين المكعبات الأخرى التي تتجمع لتكون مكعبًا آخر.. ذلك هو عالمي.. إن حدوده هي أربعة جدران.. جدران المكعب.. الخشبة المصممة خصيصًا لفعصي في الجدار الرابع للمكعب تسمى مكتبًا وتلك الشاشة التي ينعكس فيها جزء من وجهي على أشعة الشمس بينما الباقي منها هي أوامر حسابية معقدة لتكنولوجيا الويندوز التي ابتكرها رجل آخر من عالمي في مكعب آخر.. بينما من مكعب آخر ابتكر زميل له تلك القاعدة البلاستيكية التى تحمل أرقامًا.. إذا قمت بالضغط على تلك الأرقام فستصلك بمكعب آخر لشخص آخر.. تلك القاعدة تسمى تليفونًا.. ذلك هو عالمي.. مكعبي..

إن مهمتي الحقيقية هي بيع الأحلام لأشخاص يعيشون في مكعبات أخرى.. عن طريق التليفون والويندوز.. أرقام عشوائية وأصوات مختلفة.. لهجات أخرى من العربية.. لغة المكعب الأكبر.. حبوب تخسيس.. آلات رياضية.. مضرب بيض.. خلاط.. كل ما يتصوره ساكنو المكعبات من أدوات لتسهيل معيشتهم في مكعباتهم.. أقوم ببيعها من خلال مكعبي مستغلًا التليفون والويندوز.. من الساعة العاشرة صباحًا وحتى السادسة مساءً..

أضع سماعة التليفون في السادسة.. ولآخر مرة في اليوم.. فأنهض عن مكتبي وأنظر حولي باحثًا عن باب المكعب.. كثيرًا ما في كوابيسي لم أجد باب المكعب ولكني اليوم أجده..

Twitter: @alqareah

على الرغم من أن عملي يحتم عليَّ استخدام الهاتف فإنني لم أكن أملك يومًا هاتفًا محمولًا.. لم أجد له هدفًا في حياتي.. لم يكن لي أصدقاء.. فقط وجوه ألتقي بها في رحلة الحياة ثم تفارقني بهدوء وتبتعد حين تكتشف شخصي غير المثير للاهتمام.. لم أكن منطويًا على نفسي ولكني أفضل الوحدة..

سيارتي النصر الوان تو إيت تقف أمام مقر المكعبات أو كما يطلق عليها أبناء عالمي.. الشركة.. أتأمل السيارة للحظة وكأنها آلة فضاء من عالم آخر.. المقعد الدافئ بفعل أشعة الشمس طوال اليوم.. المقود الجلدي.. شرائط عمرو دياب وتامر حسني بالإضافة إلى سميرة سعيد وأنغام.. أدير المحرك وأدع قدمي على البنزين ثم أقوم بتبديل حركة توزيع الدفع فتتحرك السيارة في بطء، ثم يئن المحرك فأقوم بتبديل ناقل السرعة، ثم أتناول حزامي المركب خصيصًا للسيارة، حيث إن شركة نصر لم تفطن لسلامة المواطنين أثناء تصنيعها للسيارة حتى أدرك رجال المرور الموقف.. ينزلق المكبس المعدني في محبسه وكأنهما يمران بلحظة نشوة جنسية سعيدة فأعتدل في كرسي السيارة متخطيًا السيارات من حولي بالشارع متجهًا نحو الشارع الرئيسي الذي يلوح في الأفق بسيارات عدة تتابع وتمر من أمام عيني فأتخيل نفسي مندفعًا نحوها وبينها بسرعتي لأتسبب في حادثة قد يتوقف على إثرها الطريق لساعات فيتوقف العمل ويموت من في سيارات الإسعاف ويتأخر كل من هو على موعد وتنتهي علاقات ويحصر كل من يريد الذهاب للحمام ويفقد عشاق السينما متعة الدقائق العشر الأولى من الفيلم.. كل ذلك لو ضغطت على دواسة البنزين بقوة أكثر فأبتسم متذكرًا الحشرة المتعلقة بجنبات التواليت فأجذب السيفون.. فأبتسم وأضغط على دواسة البنزين بسرعة وقوة..

Twitter: @alqareah

تنطلق السيارة.. الشارع يقترب.. لمحات من أوجه كل من بالسيارات.. أطفال.. نساء.. شيوخ.. حشرات.. فلينتبه عالمهم الآن.. سألقي على مكعباتهم الزجاجية سخطًا من الزلط والطوب.. عشرة أمتار تفصلني عن الشارع الرئيسي.. تسعة.. ثم سبعة ثم فتاة ذات شعر أسود ونظارة شمسية بداخل سيارة نيسان تيدا تضع سماعة هاتفها على أذنها، تتحرك كلوحة اختيارات أمام سيارتي فتتبدل قدماي على فرامل السيارة.. الأمتار تتقارب.. ولكن ببطء حتى تقف السيارة بينها وبين الشارع من الأمتار نصف متر.. فتتوجه الفتاة ببصرها نحوي.. فليتوقف الزمن.. سيارتها تتحرك ببطء، تعود برأسها إلى الأمام دون أن تبالي أنه منذ لحظات كنت سأقضي على عالمها تمامًا.. ولكنها إكتفت بنظرة دهشة وتأفف مع من تحدثه بهاتفها.. أحسست أني أعرف تلك الفتاة جيدًا.. رأيتها من قبل في مكان ما.. لو كانت أحلامي وردية اللون والرائحة والصورة لقلت كعادة أي حالم رومانسي إنني رأيتها في أحلامي ولكن ما أراه أثناء نومي لا يمكن وصفه بالوردية.. اللون الأحمر ينسكب من جنبات وأنحاء بصري ليغطي كل ما أراه.. الكل يموت وجدران المكعب تتقارب شيئًا فشيئًا كي تعصر جسدي بين جنبات عالمها وحوائطها كي تنفذ الدماء من جسدي في بشاعة.. لا.. ليست هي أحلامي حيث رأيت تلك الفتاة من قبل.. لم أكن أذكر أين رأيتها وقد ابتعدت سيارتها عني في بطء وعن مرمى بصري وأنا لا أزال واقفًا في انتظار الفرصة كي يزاحم بوز سيارتي الطريق وينضم لسيارات الشارع الرئيسي، ولكني أذكر أني درت برأسي إلى يميني ليبدو ذلك الميكروباص القديم بخطيه الأزرق السماوي والأبيض محملًا بمشجعي نادي الزمالك في هتاف صارخ وضار

Twitter: @alqareah

وعدم تناسق في الخبط على الطبول والدفوف وألوان الحرب التي تزين وجوههم وحملت مع هتافاتهم التحدي والسخط.. ذلك السخط.. توقف بي الزمن للحظة وأنا أتأمل وجوههم بينما أحدق أكثر في أعينهم ..أفواههم مفتوحة.. ألسنتهم تلحس اللعاب في تأهب لتناول فريسة حية ..إنها ليست مباراة كرة قدم ولكنه سخط.. على كل شيء..

لم يزد من دهشتي شيء في تلك اللحظة أكثر سوى السيارة التي تقف على الناحية اليسرى.. تلك السيارة السوداء الفارهة التي أحلم بامتلاكها بعد زواجي من كلوديا شيفر ونقل سكني للهونولولو.. النوافذ معتمة لا يمكنني تبين من يجلس بداخل السيارة حتى انزلق زجاج المقعد الأمامي تدريجيًّا ليكشف عن ذلك الرجل المبتسم في بشاشة وسعادة وصدق لا متناهٍ.. إنه خضر.. يبتسم فرحًا في دهشة ..

خضر

إزيك؟!!

السيارة تتحرك وقد بدا يلوح تجاهي محافظًا على ابتسامته المرحبة وأبادله التحية في دهشة وقد ابتعد عني بسيارته وأنا مازلت ملوحًا له.

■■■

Twitter: @alqareah

2

يتميز حي حدائق القبة بجو غامض لا يضاهيه أي حي آخر.. فهو أشبه بالمعادي في شوارعه الجانبية من ناحية ستوديو جلال.. وأشبه بشبرا في شعبيتها واندماج أهلها في التحام بعضهم مع بعض من الناحية الأخرى من شارع مصر والسودان.. أما الشارع نفسه فهو خليط من البشر لا يمكنك أن تتساءل تجاه فرد منه.. وده إيه اللي جابه هنا؟؟!! الكل متناغم ومتناسق بألوانه وأنماطه وأشكاله.. ولكني اليوم لا أفكر في الأنماط ولا الأشكال ولا الألوان بالتبعية وإنما في خضر.. هل كانت صدفة لقائي به مرة أخرى في سيارتي؟؟ أم هل هو من يتبعني؟؟ ذلك ما يشغل بالي حقًّا، ثم تداركت الموقف بيني وبين نفسي.. مجرد صدفة ليس إلا.. رجل غريب التقيت به في السوبرماركت بالمهندسين ثم بالسيارة المجاورة لي في اليوم التالي بأحد الشوارع الجانبية بمصر الجديدة.. صدفة طبعًا..

كانت مصر على أعتاب حدث قومي في تلك الأثناء.. انتخابات مجلس الشعب الموقر.. في ظل تلك الانتخابات تكتسي الشوارع كلها بالأقمشة حاملة أسماء المرشحين عن الدوائر والأحزاب المختلفة.. الانتخابات هي حديث

Twitter: @alqareah

المدينة.. الراديو الذي أغلقه بيدي في تأفف.. التلفزيون الذي لولا مباراة الزمالك وبترول أسيوط لأتحفنا بمناظرات المرشحين.. شوارع حدائق القبة تكتسي بالأقمشة وكأنه ليس هناك من في البلد بحاجة إلى تلك الأقمشة.

الملصقات.. شباب في عرض الطريق كل مهمته في الحياة إلقاء مطبوعات المرشحين عبر نافذة سيارتي في الزحام.. أكوِّرها ثم ألقيها.. أكوِّر غيرها فتتبعها، ثم يفطن أحد هؤلاء الشباب لما أفعله فيرفع المساحة في سرعة ليضع الورقة المصورة على النافذة الأمامية ثم يجري مسرعًا وسط سبابي تجاهه فأعود ببصري تجاه النافذة لتبدو صورة ذلك الشاب المرشح لعضوية مجلس الشعب.. السيارات تتحرك في شارع مصر والسودان ولن يمكنني التوقف الآن لإزاحة الصورة.. ذلك الشاب المبتسم في ثقة سيصاحبني حتى المنزل.. كان يدعى.. معتز الشافعي.. صديقي المؤقت حتى أنزعه من المسَّاحة وأمزقه..

تحركت السيارة بحذر في الشارع المؤدي لحارة المنزل.. الشارع عامر بالمطبات الخفيفة والنقر الممتعة وقد تساءلت كثيرًا: لماذا لم تقم حكومة الدولة الموقرة بسفلتة تلك الشوارع الحيوية التي يقطنها السكان منذ قديم الأزل وقامت برصف شوارع المدن الجديدة واهتمت بتطوير وتحديث طرق صحراوية وكباري عملاقة. إن الإجابة الوحيدة التي تشفي غليلي هي قرار الدولة بفصل المواطنين؛ حيث سيعيش أصحاب المال والعمل في تلك المدن المرفهة التي نسمع عنها في الراديو ونشاهدها في قنوات التليفزيون المتخصصة وتبقي علينا نحن شرذمة المجتمع بين جنبات المدينة حيث تنتشر الجريمة والبطالة حيث يبقى الصراع للأقوى والأجدر في البقاء..

Twitter: @alqareah

سيأتي اليوم الذي يحتفظ فيه كل رب أسرة بسلاح حي في منزله لرد المعتدين والمجرمين.. سيسكن أصحاب الجريمة المنظمة المنازل القديمة بوسط البلد بينما سيسكن أصحاب الأعمال التجمعات والفيلات بعيدًا عن المدينة.. نقرة أخرى.. السيارة تهتز.. أبتسم في نفسي مستمتعًا بالمطب وأحاول أن أنظر إلى وجهة نظر أكثر إشراقًا.. لابد أن الحكومة تريد الترفيه عن أصحاب السيارات مثلي وتشعرهم بين الحين والآخر شعور الملاهي.. مطب آخر.. أضحك كالأطفال..

ما إن أترجل من السيارة أخيرًا.. حتى أنظر حولي في شارعي إلى تلك المباني القديمة المتقاربة.. لماذا تباعد سكانها بينما شبابيك المنازل قد تقاربت.. كل من الآخر؟؟ أستخدم المفتاح لغلق باب السيارة وقد خيم الليل على الشارع تمامًا.. أتأمل الباب الحديدي للعمارة.. سيد البواب يلهو بأصابع قدميه في ألفة وكأنه يطمئن لوجودها ... خطواتي إلى داخل بئر سلم العمارة.. يحييني سيد بمودة الحالم بأي نفحة مادية قد تخرج من جيب بنطلوني أو قميصي أو حتى لباسي.

سيد:

حمد الله على السلامة يا بشمهندس..

أبادل سيد التحية ثم أمشي إلى داخل العمارة القديمة في هدوء باحثًا عن مفتاح المنزل بين سلسلة مفاتيحي الفضية التي أهدتها لي شقيقتي في عيد ميلادي الثامن والعشرين ثم أتساءل لحظة بينما أخطو أعلى درجات السلم الحجري القديم .. بشمهندس؟؟ أنا خريج كلية تجارة جامعة عين شمس..

Twitter: @alqareah

إلا ما في عمري شلت مسطرة تي ولا حتى كان معايا ورق رسم!! إنما أنا بالنسبة لسيد وزوجته والمركناتي (الذي يقوم بمساعدتك على الركن في الشوارع وهي مهنة تنفرد مصر بها على ما أتصور) والجزار وعامل الكاشير في السوبرماركت وعامل السينما والمبيض والمكوجي والفرارجي والكمسري وبائع حلاوة المولد.. بشمهندس ..

ينزلق المفتاح في كالون الباب بينما يأتي صوت التليفزيون عاليًا من داخل المنزل.. لقد بدأت المباراة..

إن سنوات والدي الستين لم تمنعه أبدًا من القيام بكل أعمال المنزل ومساعدة أمي في متطلباتها بل والتنقل في رحلات مكوكية بين المصالح الحكومية المختلفة والكليات والجامعات لتسهيل تحويل شقيقتي من طب المنيا إلى طب القاهرة.. وبالرغم من كل تلك المشقات والمتاعب والكوارث والأمراض التي شقت على أبي من ضغط وسكر وعدم انتظام في ضربات القلب.. فقد نجح نادي الزمالك بلاعبيه ومدربيه وأصحاب أسوار ناديه في منع أبي من التوجه لاستاد القاهرة بصلاح سالم لتشجيع ناديه المفضل خوفًا من الإصابة بالسكتة القلبية في إحدى المباريات واستعوض ربه في متابعة الدراما الحزينة للزمالك من خلال شاشة التليفزيون وبوصاتها الاثنتين والعشرين كأي مسلسل درامي رمضاني كئيب حزين.. الفارق الوحيد هو هتاف والدي مع المباراة وصراخه المسموع من خطواتك الأولى بداخل بئر سلم العمارة الحجري القديم..

نظرات والدي المتقدة نحو شاشة التليفزيون وانفعاله كالأطفال على اللاعبين ناعتًا إياهم بالتخاذل في التمرير والتصويب بألفاظ أقسى من التي

Twitter: @alqareah

كان ينعتني بها عند رسوبي في أربع مواد دفعة واحدة في كلية التجارة التي على حد قوله.. أي حد ينجح فيها!!!

البراءة والطيبة في وجه والدي تجعلني أشفق كثيرًا عليه وأسخط على نفسي.. كيف سولت لي نفسي أن أزعج هذا الرجل في حياته بشقاوتي أيام الدراسة المدرسية وبسرقتي نقود الدروس الخصوصية من أجل الذهاب للسينما لمشاهدة عادل إمام وهو يكيل ضربات خيالية لأعدائه من الحكومة والوطن وشراء سبارس السجائر من كشك عم محمود !!! كيف سولت لي نفسي القيام بكل تلك الجرائم تجاه ذلك الرجل.. ظللت أنظر تجاهه في صمت حتى استدار هو بوجهه في دهشة وحدَّة تجاهي.

والدي:

دي كورة يضيعها !!!!

ابتسمت لنفسي وأنا أحاول تهدئته مذكرًا إياه بأن اللاعب الفلاني سينتقل لشبين القناطر الموسم المقبل وأن اللاعب الترتاني سينتهي عقده غدًا وأن الزمالك سيقوم بشراء حداشر لاعب من الإسماعيلي دفعة واحدة في الموسم المقبل.. حتى يهدأ ويعود للمباراة عاقدًا ذراعيه متمنيًا أن يدخن سيجارة ينفس فيها غضبه؛ ولكنه يدور ببصره للحظة تجاه والدتي بالمطبخ ثم ناحية غرفة شقيقتي التي تستذكر في كدٍّ فيتراجع في نفسه.. إنهم مازالوا في حاجة إلي.. لابد من الانصياع لأوامر الطبيب فيخفض عينيه نحو الأرض في نظرة حزن ذكرتني باليوم الذي همست فيه إحدى الفتيات له بداخل عربة مترو الأنفاق:

Twitter: @alqareah

الفتاة:

اتفضل يا حاج اقعد ..

قامت له كي يجلس ويستريح.. في ذلك اليوم أدرك والدي أنه قد تقدم في السن بينما هو يتأمل انعكاس وجهه في زجاج عربة المترو متأملًا تجاعيد وجهه الذي تحسسه بيده.

والدتي هي الصورة المناسبة لكروت أعياد الأم المصرية.. ولكن للأسف يكتفي أصحاب صناعة الكروت بوضع صور أمهات جميلات فاتنات في حدائق خضراء غناء تحتضن أطفالًا أشبه بالملائكة في ضحكاتهم وسعادتهم ويتناسون الأم الحقيقية لهذا الشعب المصري البسيط.. تلك الأم التي تتنازل عن أنوثتها من أجل طاسة القلية ومن أجل الحلة أم ودان ومن أجل تصلب الشرايين من الوقفة طوال النهار في كدٍّ لتحويل المنزل الذي آلت جدرانه من تآكل للسقوط وامتلأ عفش منزلها بالوهن إلى منزل دافئ يملؤه الحنان كي يسد جنبات الشقوق ويحول الأثاث المتهالك إلى وسائد من الحرير لا يكفيها سوى أحلام أبنائها الوردية.. تحلم بزغرودة بلدي لزفة الأبناء.. تلك الأم البسيطة التي تدرك حاجتك للطعام والشاي والقهوة في الوقت الذي تتوق أنت فيه لهذه الأشياء.. كم أحب أمي.

تناولت بيدي جرائد اليوم في عناية مدركًا أهمية ترتيب الصفحات لوالدي ففصلت صفحات الرياضة بينما هو يتابع شوط المباراة في اهتمام حتى كاد أن يشارك اللاعبين بنفسه..

Twitter: @alqareah

إن صفحات الجرائد تتشابه في السخط والحروب والدماء.. مذبحة في العراق ومنازل تتحطم جدرانها على أهلها في فلسطين وزلزال مدمر يضرب إيطاليا وآخر يضرب أفغانستان .. أسواق المال تتهاوى في الولايات المتحدة.. «بترول أسيوط» في تلك اللحظة يسجل هدفًا في مرمى الزمالك فيصرخ والدي

والدي (صارخًا):

يا ولاد الكلب!!!!!!

تتدخل والدتي لتغلق باب غرفة شقيقتي مهرولة، بينما هي تجري خارج المطبخ لتهدئ من والدي وتذكره بالشابة التي تقطن معه بنفس المنزل فيحاول والدي تبرير موقفه بسخطه على الزمالك، ويحتد النقاش كالعادة نحو تحذيره من متابعة المباريات لظروفه الصحية فيتراجع والدي كالطفل متعهدًا الصمت ..تنظر لي والدتي في حنية

والدتي:

أغرفلك بأه يا حبيبي؟؟

إنها تعلم تحديدًا متى يسيطر الجوع علي.. بينما هي تتوجه للمطبخ أعود أنا لصفحات الجريدة وتحديدًا صفحة الحوادث وتبدو الصفحة تتزين كلها بجريمة واحدة..

جريمة تهز الأحياء الراقية بمدينة 6 أكتوبر..

مصرع شابين وثلاث فتيات على يد عامل محارة..

Twitter: @alqareah

الخبر يصف الجريمة بالوحشية والقسوة.. لقد استغل عامل المحارة تردده على شقة الفتاة التي تقطن وحدها لظروف سفر والديها إلى الخليج، وقرر سرقة الشقة في نفس الليلة التي دعت فيها الفتاة أصدقاءها لمنزلها من أجل حفل ساهر، ومع محاولته للهرب من المنزل كشفته صاحبة الشقة فقام بذبحها واستغل حالة السكر والتأثر بالمواد المخدرة التي كان يتعاطاها الشباب في المنزل وانقض عليهم ليقتلهم جميعًا بوحشية، ولكنه فيما يبدو قد اشتبك في معركة مع أحد الشباب الموجود بالمنزل مما أدى إلى طعنه في مقتل حيث فارق الحياة على الفور بينما ظل الشاب يصارع الموت حتى اتصل بالنجدة بصعوبة والتي مع وصولها إلى المنزل كان قد فارق هو الآخر الحياة..

مرة أخرى ينفعل والدي ضاربًا كفًّا بالآخرى لقد انتهت المباراة وخسر الزمالك نقاط المباراة وصار الفارق بينه وبين الأهلي متصدر الدوري عشر نقاط.. يعود والدي إلى كرسيه مُنفِّسًا عن غضبه، بينما أضع الجريدة جانبًا لتقترب والدتي بصينية الطعام التي تتزين بالطبق الرئيسي.. محشي كرنب.. بينما أضع الجريدة جانبًا في تأهب للتوجه نحو مائدة الطعام التي تتوسط صالة منزلنا الصغير، تتنبه والدتي لخبر الحادث في الجريدة فتتأفف من الخبر وتتحدث عن وكالات الأنباء التي تتناول هذا الحدث منذ الصباح الباكر وعن قنوات الخليج الشامتة في الأمن المصري وعن الشباب الفاسد وعن شقيقتي التي لم تتناول طعام الغداء بعد، فتصرخ مناديةً عليها بينما هي تدعي على عامل المحارة القاتل وتتألم لآلام أمهات وآباء الشباب الصرعى، كل هذا في أقل من دقيقة.. كم أحب أمي وكم أحب محشي الكرنب.

■■■

Twitter: @alqareah

3

إن الحاجة الملحة بعد محشي الكرنب للسيجارة تدفعني للخروج من المنزل نحو السطح القديم بالرغم من برودة الجو وشبشبي البلاستيكي وبنطلون البيجاما القطني حتى إن البلوفر البني الذي أرتديه فوق التي شيرت الجيل الأبيض لا يمنع عني رعشة البرد في مكاني، ولكن السيجارة في أنفاسها الأولى.. إن حالة والدي الصحية لا تسمح بالسيجارة داخل المنزل.. أسحب نفسًا آخر وأخرجه في صمت بينما أتامل أسطح المباني المجاورة.. مكعبات أخرى نوافذها تحكي قصصًا مختلفة.. موسيقى النفس.. التليفزيون وحده يعزف آلات عدة.. مسلسل تركي لأصحاب الأحلام الرومانسية.. تحليل لمباريات اليوم يتشابه في عشر قنوات على نفس النحو.. قنوات الأغاني تتابعها فتيات تبحث عن موضة تتناسب مع أيام الجامعة المتتالية أو شباب يبحث عن قصة شعر تسمح لهم بالتجدد والتطور.. أنفاس السيجارة.. الغسيل المنشور على السطح والمعلق بين الأطباق الصناعية.. غسيل مرات البواب والبواب وعيالهم.. حافة السطح.. أستند عليها بشبشبي البلاستيكي فأنظر إلى أسفل.. السيارات تتسبب في اختناق مروري بشارع مصر والسودان.. صوت آلات التنبيه يعلو بينما يتداخل مع صوت سيارات

Twitter: @alqareah

الشرطة وبكاء لطفل رضيع بينما أصوات لهاث البواب تأتي من الداخل وهو يضاجع زوجته أمام أعين أبنائه من أجل البقاء.. الزوجة تنهر الأبناء.. الزوج يبحث عن لحظة النشوة.. إنها فعلًا موسيقى النفس البشرية.. النفس الأخير للسيجارة التي أطفئها في الأرض، ثم التفت ليبدو هو مرة أخرى من أمامي يقف في البالطو الأسود الأنيق ابتسامته الودود.. خضر..

خضر: واقف لوحدك ليه؟؟

لا أدري أيها كان وقعه علي أقوى.. ظهور خضر أمامي في تلك اللحظة أم سقوطي متلبسًا أمام والدي بينما كنت أمارس عادتي السرية أمام التلفزيون ليلًا ... صفعة والدي أم ابتسامة خضر الذي مد يده في مودة لمصافحتي.

أنا: إنت إيه اللي جابك هنا؟؟

خضر: جيت عشان أشوفك..

المزيد من الألغاز.. خطواتي تتراجع للخلف.. هل أتخيل هذا الشخص بينما هو يزيح الغسيل عن طريقه ويقترب مني حتى أكاد أصل لطرف السور الحجري؟؟

خضر: متتعبش نفسك وتقعد تفكر أنا مين وبعمل إيه هنا وماشي وراك ليه..

تكاد قدماي تصلان إلى السور حتى أتنبه لخطواتي.. فيبتسم خضر.

خضر: متخفش مش حتقع..

Twitter: @alqareah

أنظر تجاهه الآن.. البواب بغرفته يصل إلى قمة ذروته بينما تئن زوجته.

أنا: إنت عايز إيه؟؟

خضر: عايز أتكلم..

أنا: في إيه؟؟

خضر: في أي حاجة.. الشغل.. النسوان.. ربنا..

الدهشـة على وجهي بينما هو يقترب أكثـر الآن.. يبدو واضحًا على ضوء المباني المحيطة.. إنه كما التقيت به في السـوبرماركت.. أسـمر اللون.. طويل القامة.. مبتسم.. واثق من نفسه.. عيناه تملك قدرة غريبة على الإقناع.

خضر: أنا عارف عنك كل حاجة ..

العيال اللي قتلتهم في ستة أكتوبر إمبارح..

الصمت ...

***

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

4

سـيارة خضر تنطلق على كوبري السـادس مـن أكتوبر.. السـاعة الرقمية تتبدل بداخل السـيارة لتشـير للواحدة صباحًا.. إننا في طريقنا نحو الجيزة.. الناحيـة الأخـرى من نهـر النيل.. نمر الآن أعلى شـبرا.. السـيارة تتجه نحو رمسـيس.. لوحـات الإعلانـات.. خضر يقود السـيارة في هدوء بينـما ألتزم الصمت متذكرًا أحداث الليلة الماضية.. من البداية..

البدايـــة.. ينايـــر 2001

لقد كان رجب محمد عبد العاطي من أكثر طلاب كلية التجارة جامعة عين شـمس اجتهادًا.. كان يملك ملازم أسبوعية يسـهر على تنفيذها ليالي طوالًا من العرق والبرد وأكواب الشاي على القهاوي ومنزله في شارع المبتديان أعلى السطح كي يبيعها يوم الخميس للطلاب المتغيبين عن عشرات المحاضرات.. لم يكن رجب من نوعية الأصدقاء المفضلة لي ولكن تشاء الظروف أن أتعسر في مـواد الكلية وأرفض الواقع كأي شـاب معترض وأصرخ مع رسـوبي في المـواد الأربـع بالتـيرم الأول للسـنة الأولى أن الدكتور «عِـلَّاني» ضدي وأن

Twitter: @alqareah

الدكتور «الترتاني» تحالف معه وسولت لي نفسي سيناريوهات الغضب من نظام التعليم الفاشل وتقديم مذكرات لرئيس الجامعة الذي طلب مني لقاء مدير مكتبه الذي بدوره ابتسم لي من خلف مقعده الوثير وبين علمي مصر وشعار الجامعة همس قائلًا مع نسمات التكييف:

مدير مكتب رئيس الجامعة:

يابني إنت شكلك شاطر وملكش في المشاكل..

ذاكر كويس وإن شاء الله حتنجح السنة الجاية..

السنة الجاية؟؟ الاثني عشر شهرًا.. التلتمية خمسة وستين يوم وربع؟؟ كل ذلك الوقت من عمري يضيع بسبب نقاش احتد بيني وبين أحد المدرسين في محاضرة من المحاضرات حول مستقبل هذا البلد والظروف الاقتصادية التي تنم عن فشل في الإدارة والفكر بل النهاية الحتمية لكل طالب مجتهد في أحضان تلك الجامعة العريقة.. إما الفهلوة والسرقة وإما الواسطة واللجوء للسلطات الأعلى من أجل الحياة.. ويالها من حياة..

أتذكر جيدًا أني ظللت أبكي طريق العودة من مبنى رئاسة الجامعة ونحو الكلية.. لم أكد أداري وجهي من المارة الذين دون شك ظنوا أني فقدت عزيزًا أو فصلت نهائيًا من الجامعة.. قادتني قدماي نحو ذلك الجامع بينما تعالى نداء أذان صلاة الظهر.. لم أكن من المصلين عدا صلاة الجمعة التي كنت أستيقظ من أجلها على ضربات شبشب أمي كي أشارك أبي ثواب تلك الصلاة الأسبوعية.. والآن أنا ألجأ للقوة العليا.. لعل الدكتور يموت

Twitter: @alqareah

أو يشـل، ولعـل رئيس الجامعـة يفقد ابنًـا فيتذكرني ويهب لنجـدتي.. ولعل وعسى.. أشياء كثيرة..

أختتـم صلاتي بالدعاء فيبدو على وجهـي الضيق فيلتفت لي جماعة تجتمع بطرف المسجد أسفل المصاحف وقد انسدلت أشعة الشمس عليهم من خلال شباك خشبي مزخرف كعادة كل النقوش الإسلامية وقد تشابه أفراد الجماعة في ملابسـهم.. القمصان الواسـعة والبنطلونات المشمرة الأطراف والأقدام العاريـة.. الذقون التي تكافح عند بعضهم كي تطلق كلحية والبعض الآخر لديـه اللحية بالفعـل.. يقترب أحدهم منـي في بطء.. يحيينـي فأبادله التحية بتوجس..

الشاب:

بعد إذنك يا أخي.. أستسمحك تنورنا دقيقتين..

أقـترب من جلسـتهم فأشـاركهم فيهـا.. المعظم اسـمه أحمـد أو محمد.. أحدهم كان يدعى هشام وهو من بدأ الحديث.. فاجأني الأخ هشام بمعرفته بظروفي ورسـوبي المشـكوك في أمره بل أيضًا خلفيتي الاجتماعية حتى وسيلة المواصلات التي أسـتخدمها يوميًّا ذهابًا وإيابًا من الجامعة.. كان الأخ هشام مـن طلاب الفرقـة الثانية وهو على حد كلامه يمثـل جماعة من الطلاب التي يدعـم بعضها البعض مـن خلال أنشـطة مختلفة مثل التكافـل وحتى تحفيظ القـرآن.. التزمـت الصمـت بينما أنا أتابـع وجوههم وأثر الاسـتماع لحديث الأخ هشـام عليهـم.. إنهـم يؤمنـون بكلامه.. يحبونـه.. فأبتسـم في نفسي.. إنهـم يبحثون عن بطل يتعلقون به.. لقد سـمعت كثيرًا من قبل عن جماعات

Twitter: @alqareah

إسلامية بين أسوار الجامعات.. يقدمون العون لك على سبيل المعروف.. ربما كنت مخطئًا في ظني بالأخ هشام ورفقته، ولكني لم ولن أنسى تلك النظرة في عيونهم تجاههم.. اختتم الأخ هشام كلامه تجاهي بضرورة الجهاد ضد الظلم والفساد الذي يلاحقنا في كل مكان حتى صار أولو الأمر منا يسرقون من نقود آبائنا ويغتصبون شقيقاتنا وأمهاتنا في أقسام الشرطة وفي الشوارع وضرب من الأمثلة ما يكفي أن يبكيني ويبكيك على حال كرامة المواطن المصري المطحون.. سكت الأخ هشام للحظة ثم نظر إلي في هدوء:

هشام:

إنت طيب أوي يا أخي.. وأنا عايز أساعدك لوجه الله..

ما معنى لوجه الله تحديدًا؟؟ مجانًا يعني؟؟ أم من أجل الثواب المقدم خيرًا من قبل الناصر تجاه المظلوم ولكن كيف ينصرني الأخ هشام تجاه إدارة الجامعة وهيئة التدريس؟؟

رفعت بصري تجاه الأخ هشام متسائلًا كل تلك الأسئلة التي تدور في رأسي، فابتسم هو موضحًا أن علاقاته جيدة وأن هناك من سيساعدني طالما أنا أساعده.. مربط الفرس قد اتضح الآن.. إذًا هناك مساعدة سأقدمها لأنال مساعدة وجه الله..

هشام (مبتسمًا):

طبعًا..

Twitter: @alqareah

حدثنـي الأخ هشـام عـلى مدار سـاعة تقريبًـا يومها عن جهـاد النفس.. الارتقـاء بالـذات بعيـدًا عن الملـذات.. أن تنجـح في الهروب من شـهواتك وغرائزك وتنتقل لمرتبة أعلى من الإحسان تجاه نفسك وأسرتك..

حكى لي هشـام رواية عن الرسـول (عليه الصلاة والسـلام) وصحابته حيث اجتمعوا بعد صلاة العشاء ليحدثهم عن رجل من أهل الجنة سيدخل المسـجد حينهـا والتفت عمـر بن الخطاب تجـاه الرجل الذي أتـم صلاته ثم ألقى التحية والسلام وغادر المسجد فأتبعه عمر بنية مراقبته من أجل التحقق لسـبب اختيار هـذا الرجل كي يكون من أهل الجنة تحديـدًا.. أقام عمر لدى الرجـل عـدة ليال بحجـة خلاف بينـه وبـين زوجته، وعندمـا وجد عمر أن الرجـل لا يختلـف عنه كثـيرًا في العـادات والعقيدة فأوضح له سـبب المبيت عنـده.. عندهـا أقـر الرجل بأنـه لا ينام ليلًا إلا وقـد أزال من قلبـه حقدًا أو غـلًّا تجاه أحد ولا يفكر إلا بما قسـمه الله له مـن نصيب في الدنيا دون الحاجة للمقارنة بين ظروفه ومتاعبه وملذات الغير..

تأثـرت كثيرًا بتلك الرواية فقد كنت دومًا أتسـاءل.. إشـمعنا فلان عنده عربية وأنا بتشـعبط في المواصلات!! إشـمعنا فيه ناس بتتجوز نسوان مزز في المجلات وأنا يادوب بكب على النسوان القالعة في ميلودي ومزيكا !!!

إشـمعنا حاجـات كتـير.. فلـوس.. شـهرة.. تامـر حسـني الـلي البنات بتحبه..

ناس بتنجح وتجيب تقدير.. إشمعنا.. إشمعنا.. إشمعنا..

Twitter: @alqareah

تركت الأخ هشام وشكرته على الحديث الطيب ولما سألته عن المطلوب مني تجاه وجه الله.. ابتسم في ثقة مجيبًا:

هشام:

لما ييجي الوقت حبأه أقولك.. أنا عايزك متخافش من حاجة

و إياك تكدب على أهلك وتقولهم إنك نجحت.. لازم تعرف

إن اللي حصل وحيحصل مش في إيدينا نغيره..

ابتعدت عن الأخ هشام.. قبل صلاة العصر بقليل كان لابد علي أن أواجه والدي برسوبي.. لم أكن أخشى شيئًا من بعد ذلك الحديث مع الأخ هشام فما هو في القدر سيحدث بغض النظر عما أشاء أنا..

ثار والدي يومها بشدة.. اتهمني بالتقصير.. حاولت تبرير موقفي وذهابي بالشكوى حتى رئيس الجامعة، ولكن ذلك لم يحل دون سخطه علي.. بكت والدتي.. احتضنتني شقيقتي ولم يهن عليَّ شيء في يومها.. حتى بكائي طوال الليل وثورتي على نفسي لم تهدأ إلا حين تذكرت كلمات الأخ هشام.. لن أنام هذه الليلة إلا وأنا في حالة حب بيني وبين الدكتور المتسبب في رسوبي.. لن أنام إلا وأنا راض عنه.. هذا هو الملاذ.. لم أكن أسعى لأكون من أهل الجنة ولكن أسعى كي أكون أفضل على الأقل..

الصباح التالي التقيت بالأخ هشام، كان يجلس وحده بالمسجد.. اقتربت منه فحياني ببشاشة كما توقعت وطلب مني الجلوس..

هشام:

Twitter: @alqareah

عايز أعرفك على حد.. صديق من الأسرة..

هو زميل لك في نفس الدفعة.. أتمنى تبقوا صحاب..

وافقت في دهشة وترقب.. هل هذا هو ما سيطلبه مني هشام؟؟ مصادقة شاب؟؟ هل هو عميل سري لجماعة ما وسيقوم بتفجير فوج سياحي ثم يختبئ عندي في المنزل؟؟ أسئلة كثيرة دارت في رأسي حتى اقترب منَّا رجب محمد عبد العاطي.. ألقى التحية ثم صافحني وصافح الأخ هشام ليجلس بيننا.. كنت أعرف رجب شكلًا.. لم يكن بيني وبينه أي تعامل.. قدمني الأخ هشام له وشرح له ظروفي فأبدى تعاطفه مدركًا الموقف وقال لي:

رجب:

أنا مش عايزك تقلق من حاجة.. بلاش تحضر المحاضرات خالص

أنا حلخصلك كل حاجة في الملازم.. ذاكر بس وقدم المشيئة..

بكل بساطة كده؟؟ أذاكر وأقدم المشيئة؟؟ لم أكد أصدق نفسي إلا بعد أن ذاكرت ليلًا ونهارًا ملازم رجب محمد عبد العاطي.. نجحت في النصف التالي من السنة الأولى ثم توالت نجاحاتي في السنة التالية ثم الثالثة حتى المواد التي تحملت مشقة مذاكرتها بسبب رسوبي فيها في السنة الأولى.. نجحت فيها كلها..

كانت هذه هي بداية صداقتي برجب محمد عبد العاطي وبداية نظرتي العليا نحو الأخ هشام الذي أصبح مثلًا وبطلًا بالنسبة لي أيضًا.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

5

مارس 2010

مرت سـيارة مسرعة فجأة إلى جوّار سـيارة خضر بينما أنـا كنت قد بدأت أدرك الوقت وكم سرحت في جلسـتي.. السـيارة المسرعة بدت مزدحمة بعدة شباب وفتاة تجلس بالمقعد الخلفي إلى جوار الزجاج.. لن أنسى نظرتها تجاهي وقد سكتت عن الضحك وكأنها رأت أخاها الذي ضبطها متلبسة في السيارة مع هؤلاء الشباب.. وبدت كأنها تهمس.. أنا آسفة.. استمرت سيارة الشباب متخطية السيارات من أمامها فبدأ خضر في خفض سرعة سيارته والحفاظ على سرعة بطيئة بينما هو يتأمل الطريق من أمامه باحثًا عن منفذ أعلى الكوبري.

خضر: كان عندي أمل نسبق العيال دول.. عشان الزحمة..

أنا: زحمة إيه؟؟ ما الكوبري فاضي أهه..

ابتسم خضرو يبدو أن سؤالي قد حمل قدرًا من السذاجة.

خضر: العيال دي حتعمل حادثة دلوقتي حالًا على الكوبري ..

العربيـة بتاعتهم حتعدي الجزيـرة الناحية التانيـة وحتخبط في العربيات الـلي قدامهـا.. فيه عربية جيب حتيجي من ورانا دلوقت.. السـواق سرحان

Twitter: @alqareah

وحيفوق من الخضة على الحادثة.. حيفرمل وكل العربيات اللي وراه حتلبس فيه ..

الدهشة مرة أخرى.. خضر لم يكلف نفسه أن يتحدث عن مصدر المعلومات أو تفسيرها.. خضر ينعطف بالسيارة إلى يمين الكوبري ثم يدور ببصره إلى الوراء بينما هو يضغط على الإشارة اليمنى متجهًا نحو كوبري 15 مايو.. فأتبعه ببصري وتبدو سيارة جيب تمر مسرعة من خلفنا فعلًا..

هل كانت مجرد صدفة أم هل ستحدث الحادثة؟؟ كل تلك الأسئلة دارت في رأسي لحظتها.

أنا: طب ليه مقلتش للعيال دي تهدي؟

ولا حتى وقفت الراجل بتاع الجيب ده ؟؟

خضر: اللي حصل وحيحصل مش في إيدينا نغيره..

لا أعلم إلى متى ستظل دهشتي قائمة مع ذلك الرجل ..

أنا: إنت كنت تعرف الأخ هشام؟؟

ينظر لي خضر مبتسمًا بينما السيارة تتحرك أعلى شارع 26 يوليو..

خضر: مش قلتلك أنا أعرف عنك كل حاجة ..

الأخ هشام ورجب.. رجب محمد عبد العاطي..

قالها في ثقة وبدا عليه التأثر من ذكر رجب أمامي.. توجهت ببصري تجاه زجاج السيارة الأمامي بينما عواميد الإضاءة أعلى الكوبري تمر من أمامي كالحلم فتتبدل السيارة وتتبدل جلستي فيها.. لتتحول إلى سيارتي الوان تو إيت ويعود الزمن للوراء ثلاثة أشهر بالتحديد.

Twitter: @alqareah

ديسمبر 2009

أنا أقود الآن.. في نفس المكان ونفس الساعة المتأخرة ليلًا.. ولكنها كانت أمسـية صيفية.. نعم.. أغسطس.. الثامن عشر من شهر مايو.. رجب يجلس إلى جواري يدخن سيجارة حشيش في سعادة.

رجب:

ألف مبروك العربية يا شقيق.. عليَّ النعمة إنت تستاهل بورش ..

أبتسم لرجب بينما هو ينسدل في مقعده ويناولني السيجارة فأسحب منها نفسًا عميقًا.

أنا:

وانت عامل إيه يا رجب دلوقت؟؟

رجب:

أهه.. شغال عامل محارة..

كانت إجابة رجب بالنسـبة لي مفاجأة كبيرة.. هذا الشـاب كان أجدر بأن يكون معيدًا ثم عميدًا في تلك الكلية، ولكن الأمر انتهى به إلى عامل محارة!!

رجب:

متستعجبش.. أديني باكل عيش..

سألته عن سبب اتصاله بي بعد كل هذه المدة من الانقطاع.. فأجابني بينما هو يتناول سيجارة الحشيش من يدي ليسحب نفسها الأخير.

رجب:

أصلي عايز منك خدمة..

Twitter: @alqareah

ألقى رجب بتباية السيجارة المنتهية إلى خارج النافذة، بينما أفكر في الخدمة التي يمكن أن يطلبها مني رجب بعد كل تلك الفترة.. ربما سيطلب مني المال أو وظيفة في المكعب.. أقصد الشركة.. ولكني فضلت أن أسمع منه أولًا حتى لا أسبق بالإجابة.

رجب:

أنا عايزك تخلص عليَّ..

كادت قدمي تضغط على دواسة الفرامل من فعل المفاجأة، ولكني استقبلت الجملة بمزاح صديق غير مبالٍ للحياة، وأرسل مخي إشارات كي يتوقف الإدرينالين عن الانصياع لدهشتي وحافظ عقلي على المستوى المطلوب منه في دمي واكتفى بضحكة ترجمتها شفاهي عاليًا.

رجب:

أنا مش بهزر يا جدع إنت !!

تحول بصري تجاهه.

أنا:

و إيه اللي مخليك عايز تخلص من الدنيا كده؟؟

رجب:

أنا عندي الإيدز..

اعتقدت أنه بعد ما قاله رجب لن تصيبني الدهشة أبدًا في حياتي.. ولكن لقائي بخضر قد حال دون ذلك.

■■■

Twitter: @alqareah

6

مارس 2010

أشعل خضر سيجارته الدانهيل التي تناولها من حافظة سجائر معدنية ذهبية تحمل نقشًا عربيًا لاسمه (خضر) كانت تلك اللحظة التي أدركت فيها اسمه.. ظننت لوهلة أنه لقب وليس اسمه الحقيقي ولكن الفضول دفعني كي أسأله:

أنا: خضر؟؟

ابتسم بينما هو يتأمل الحافظة المعدنية مدركًا من أين التقط الاسم ثم عاد بالحافظة تجاهي ليفتحها.

خضر:

سيجارة..

هممت من على مقعدي بالكافيه لأتناول السيجارة من الحافظة.. عذرًا لقد سها عني أن أوضح.. لقد توقف خضر بسيارته أمام أحد المطاعم بشارع 26 يوليو.. إنه مكان أنيق.. خالٍ تقريبًا من الناس عدا العاملين في المكان،

Twitter: @alqareah

الإضاءة خافتة.. الموسيقى ناعمة وكأن «خضر» على وشك أن يتقدم لي بالزواج.. وإن كان ما سيطلبه مني لاحقًا أكثر مفاجأة لي من طلب الزواج.

أشعلت السيجارة ثم تنفست الدخان للحظة بينما أنظر تجاه الزجاج فتبدو السيارات تتحرك بالشارع.. بعض الشباب يقف حول سيارات فارهة يتحدث مع فتيات أمام المطعم.. تبدو عليهم السعادة والرقي.. يقبل بعضهم البعض مودعين.. تشاو فلان.. تشاو فلانة.. تخيلت شقيقتي لحظة وهل كان من الممكن أنْ تكون من ضمن أولئك الفتيات.. تقبِّل الشباب في الشارع وتتوجه إلى المنزل في الثانية صباحًا.. الحمد لله الذي جعل والدي فقيرًا..

خضر يقاطع: بتفكر في إيه؟؟

ألتفت تجاهه: مش ناوي تتكلم بأه.. أديني نزلت معاك أهه..

يفكر خضر لحظة ثم يسعل في يده.

خضر: أنا حابب أسمع منك الأول..

الدهشة.. لابد أن أكون قد تعودت عليها الآن مع خضر.

أنا: تسمع إيه؟؟

يميل خضر على المائدة كزعماء المافيا.

خضر: إزاي سمعت كلام رجب وقتلته هو والعيال بعد ما عرفت إن عنده الإيدز؟

سارينات الإسعاف أعلى الكوبري على يساري.. الصمت يسيطر عليَّ.. هل هي الحادثة فعلًا على كوبري أكتوبر أم هل هي سارينات الخطر في رأسي من ذلك الرجل الغريب الذي يقتحم حياتي دون مقدمات؟

Twitter: @alqareah

ديسمبر 2009

حاولت مساعدة رجب.. قدمت له المال وطلبت منه اللجوء للعلاج ولكن رجب كان قد اتخذ قراره نهائيًا.. لقد تعرف على فتاة تسكن وحدها بإحدى الفيلات في مدينة ستة أكتوبر.. كان يقوم بتشطيب الفيلا لأهلها قبل سفرهم للخليج.. توطدت العلاقة بينه وبين الفتاة عن طريق المخدرات.. كان رجب يتعاطاها سرًّا ويقوم ببيعها للفتاة.. كان يسهر كثيرًا معها وحدهما بالمكان.. حكى لي رجب تلك التفاصيل بينما كنا قد توقفنا بالسيارة أمام إحدى القهاوي المفضلة لديه بوسط البلد.. لم يكن رجب يشرب من الأكواب الزجاجية أو يدخن الشيشة.. يحمل معه عدة أكواب ورقية ويطلب الماء المغلي من القهوة بحجة أن لديه ما يمنعه عن الشرب في كبايات القهوة.. لم يكن عامل القهوة ليمانع.. طالما سيدفع ثمن المشاريب المطلوبة أيًا كانت..

رجب:

و في ليلة بنت حرام.. لفيت كام سيجارة وشربناهم..

البت كانت شايلة أزايز الخمرة بتاعت أبوها..

ظللت أتابعه باهتمام بينما هو يسرد متأثرًا:

رجب:

الشيطان لعب بيا ونمت معاها.. واحد ورا التاني..

لحد النهار ما طلع علينا.. وأول حاجة قالتهالي..

أنا عندي الإيدز !!

Twitter: @alqareah

ابتلعت الشاي في حزن وقلق لما قاله رجب.. البعض يصورها العدالة الإلهية.. كيف تبدل الحال برجب المصلي.. المكافح.. لتاجر حشيش.. ثم زانٍ.. لابد أن ينتهي به الأمر إلى ذلك المرض اللعين.. الصمت يسيطر عليَّ.

رجب:

من ساعتها وأنا مبفرقهاش.. أمي واخواتي ميعرفوش عني حاجة

غير إن في السعودية.. ببعتلهم فلوس أول كل شهر..

يزداد الأسى على وجهي بينما أنا أستمع لرجب.

رجب:

البت اتعرفت على شلة عيال في الجامعة وبقت تعزمهم عندها في البيت.. العيال دي بتضرب كوكايين وأفيون كلام تاني خالص مش مزاجي ومليش فيه.. قلبت عليا وحلقتلي.. ولما هددتها إني حفضحها شغلتني عندها في البيت بسترزق.. شوية سواق شوية كماريرة..

العامل يقترب ويضع إبريق الشاي المغلي أمامنا.. رجب يتوقف عن الحديث بينما يتناول كوبًا بلاستيكيًا من وسط عدة أكواب مغلفة ويضعه أمامه ليتناول السكرية ويضيف السكر في صمت ثم الشاي السايب ثم الماء ينكب ليخلط ذلك المزيج الذي يقلبه بملعقة بلاستيك، كان حريصًا أشد الحرص ألا ينتقل المرض حتى وإن كان ينتقل مباشرة من الدم.. لم يكن يريد أن يتحمل ذنب شخص آخر في حياته لا ذنب له.. مسكين حقًا كان رجب

محمد عبد العاطي.

Twitter: @alqareah

رجب:

من كام يوم رحت أشوفها.. لاقيت العيال بتنط على بعض..
إتجننت.. قلت يا لاهوي لو فضل الموضوع كده.. العيال دي
كلها حتتوبئ.. ومين عارف بأه بيناموا مع مين بره
ولّا بياكلوا ويشربوا مع مين..

كان السؤال الأول في ذهني هو: لماذا لم يقم رجب بالبلاغ عنهم؟ ولكن إجابة رجب كانت أكثر منطقية.. كيف سيواجه أهله بمرضه وتورطه مع تلك الفتاة.

لقد كان طلب رجب واضحًا وصريحًا.. أن أقوم بقتل تلك الشلة الموبوءة بمن فيهم رجب لتخليصه من عذابه.. هو وحده يقدر على مواجهة مصيره فيما بعد وقد بدا يتألم كثيرًا مما أصابه.. لقد حاول الصلاة ولم يستطع السجود.. لقد صدقت الرؤيا فيه.

تناول رجب هاتفه المحمول.. كان هاتفه القديم الذي عرفته معه أيام الجامعة، فابتسمت في نفسي لحظة، ثم شرع يقدم لي عدة صور للفتاة صاحبته.. كانت كلها صور عجيبة.. كأني أتعرف على عالم غريب بداخل بلدي وأرضي.. شباب أسمع عنهم يعيشون معًا ويبيتون عند بعضهم البعض.. يمارسون الجنس دون حساب.. يدخنون المخدرات على أنها لبان.. حياة أخرى غير حياتي ومكعب آخر غير مكعبي.. ربما كنت أنا الساذج هنا.. تبدلت الصور أمامي حتى وصلت لصورة من أيام الجامعة.. إنها صورتي مع

Twitter: @alqareah

رجـب والأخ هشـام.. عدت للشـاي في صمـت مفكرًا فيما قالـه رجب وفي ظروف صديق يعاني من محنة في الحياة.. تلك الحياة..

اتخذت قراري بعدها بعدة أشهر وتحديدًا الليلة الماضية.. توجهت بسيارتي إلى الحي الراقي بمدينة السادس من أكتوبر.. توقفت أمام الفيلا وتأكدت من رجب غياب كل من فيها.. لقد أعطاني رجب مفتاحه الخاص.. انتظرت بالدور العلوي وتأكدت من وصولهم.. ترجلت درجات السلم وانتظرت الفتاة أولًا في المطبخ.. كانت الموسـيقى صاخبة.. لم أفكر كثيرًا مع أنني كنت أراها لأول مرة بعد أن رأيت صورها على هاتف رجب ازداد مقتي لها عندما رأيتها فعلًا.. كانت جميلة حقًّا.. وقبيحة جدًّا .. لم أفكر كثيرًا.. سكين المطبخ.. جذبتها من شـعرها.. ذبحتها بالسـكين ولم أشـعر بمدى قسـوة الطعنة إلا عندما فصلت رأسها عن جسدها.. لم أفكر كثيرًا.. توجهت إلى الصالة في هدوء.. كان هناك شـابان يتراقصان مع فتاتين.. وكان هناك رجب.. لقد رآني فالتزم الصمت.. كان الشـباب في حالة سـكر وكان مخدرًا تمامًا.. التفت أحدهم تجاهي فابتسم على عكس ما توقعت.. رحب بي ظنًّا منه أني صديق صاحبة المنزل.. رحب بي كأني ملاك الرحمة.. بكت عيناه لحظة.. فوضعت سكين المطبخ فيه ثم انتزعته قبل أن تصرخ الفتاتان لألتفت تجاه إحداهن لأمسك بعنقها ويشطرها سكين المطبخ من معدتها إلى نصفين في نفس اللحظة التي صار يضحك فيها الشاب الآخـر من المنظر حيـث انتابته حالة من الهلوسـة والذهـول.. حاولت الفتاة الثانية الهرب.. تعرقلت فسقطت.. وقفت فوقها وطعنتها في ظهرها.. توالت الطعنـات.. هب الشـاب تجاهي فتدخل رجب.. دارت معركة بينهما تراشـق الاثنان فيها بينما حاول رجب أن يخنقه كاتمًا فمه.. كانت أرجل الشاب قوية..

Twitter: @alqareah

جسـده فارغًـا.. صارع رجب بقـوة فدفعه كي يسـقط على المائـدة الزجاجية مهشـمًا إياها بوسط الصالة.. لقد سـقط رجب والدماء تنفذ منه ومن رأسه.. ولكني لم أفكر كثيرًا.. اندفع سكين المطبخ ليفصل أعضاء الشاب التناسلية.. لقد صرخ بقوة.. وسقط على الأرض بينما هو يزحف متألمًا اقتربت من رجب الـذي كان يصارع الموت على أرضية الصالة وقد غطى الدم السـجادة فملت تجاهه بحرص فبدا يبتسم تجاهي.

رجب:

مش بإيديك يا صاحبي.. شفت النصيب؟؟ متقتلنيش بإيديك..

ابتسـمت في لحظـة الوداع بينما السـكين في يدي.. يتناولهـا رجب ليقبض عليها بقوة ثم يفارق الحياة أمام عيني..

التفـت في أسـى مـن فـراق صديقـي.. تجاه الشـاب الأخير وقد أمسـك بهاتفـه المحمول يهمـس للنجدة بإنقاذه.. أنفاسـه تتلاحق ثم الهاتف يسـقط ثـم الصمت.. ذلك الصمـت القاتل.. للحظـة تأملت الفيـلا.. لقد تجولت فيها عند دخولي أول مرة.. إنها فعلًا فيلا جميلة.. يسـتحق أن يسـكنها والدي المكافح ووالدتي الأم المصرية الطيبة.. تستحق شقيقتي أن تذاكر في هدوء وأن تركب سيارة للجامعة لا أن تستقل قطارًا للمنيا في سنواتها الأولى بالجامعة لا أن يتحـرش بهـا رجال بالقطار.. لا أن تتذلل من نفسـها وتبكي لوالدي كي يجـري بين جنبـات أروقة وزارة التعليم العالي ويرجـو كل معارفه بمصلحته الحكومية قبل خروجه على المعاش باحثًا عن واسطة لتلك الفتاة المسكينة التي

Twitter: @alqareah

تكافح أن تكون طبيبة كي تنقذ حياة سكان هذا المكعب الباهت.. وأي حياة تلك؟؟؟ أخطو خارج باب المطبخ حيث تركت باب الحديقة مفتوحًا..

أمشي بين الأشجار ليلًا في صمت وهدوء.. لا أبالي بما سيحدث.. ربما اللامبالاة تلك هي ما تركتني على قيد الحياة حتى الآن.. يقال إن الجندي في المعركة إذا ما أحس لحظة أنه سيموت في الحرب.. سيموت فعلًا.. كلما تذكر أنه سيعود لأسرته سليمًا ... عاش.. أمشي بين جنبات الأشجار.. تلك الحديقة التي تستحق والدتي أن تجلس فيها لترتاح.. يستحق والدي أن يتابع مباريات الزمالك على شاشات البلازما الموجودة بالمنزل كله فيها..

ولكني تخليت عن تلك الخواطر منذ زمن بعيد.. سأنام الليلة مشفقًا على هؤلاء الشباب.. سأدعو لهم بالرحمة.. سأبكي من أجلهم.. ليس في قلبي ذرة حقد أو غل تجاه ما يعيشون فيه.. لقد رأيت عالمهم.. مكعبهم.. فأحببت مكعبي أكثر.

أدير محرك السيارة وقد تركتها على بعد عدة شوارع.. تعمدت الخروج من بوابة أخرى غير التي دخلت منها.. تذكرت والدي وقد كان يستعد للنوم الساعة العاشرة حين كنت أستعد أنا للخروج.. إن غدًا مباراة الزمالك وبترول أسيوط.. لابد أن أبي يدخر قواه للهتاف.. تذكرت والدتي وقد أعطتني ورقة كي أمر على السوبرماركت لأبتاع لها أغراض المنزل.. تأملت الورقة.. مسحوق غسيل.. كرتونة بيض.. ورق تواليت.. كرنب.. لابد أن والدتي ستعد لنا المحشي غدًا.. أتأمل تابلوه السيارة ومؤشر البنزين عن آخره.. لابد أن أضع «بنزين» في السيارة.. لم أنجح في الوصول لميدان

Twitter: @alqareah

لبنـان.. نفـد البنزيـن واضطـررت لدفع السـيارة على المحـور حتى وصلت لامتـداد الكوبـري.. نزلـت على قدمي باحثًـا عن محطة قريبـة.. ثم توجهت لسـوبرماركت مترو حيث كنت في حيرة لاختيار مسـحوق الغسـيل وحيث رأيتك لأول مرة.

أنا:

أي أسئلة تانية؟؟

■■■

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

7

مارس 2010

يتناول خضر زجاجة عمر الخيام من النبيذ الأحمر ويصب لنفسه ثم لي بينما هو ينظر تجاهي في ترقب أن أهمس:

أنا:

مبشربش..

تتراجع يداه قبل أن ينصب النبيذ في كأسي فيبتسم لنفسه وكأنه موقن من الإجابة.

خضر:

إنت مصعب الموضوع كده ليه؟؟ مانت قتلت قبل كده..

لم تعد الدهشة تتملكني بعد الآن.. إنه يعلم عني الكثير فعلًا..

أنا:

بص.. أنا مش خايف منك.. لو كنت ناوي تقبض عليَّ لخص وهات من الآخر.. أنا كل اللي بطلبه منك بس أبويا وأمي واختي ميتشـحططوش.. أنا معترف بكل حاجة..

Twitter: @alqareah

يتناول خضر كأسه في دهشة.

خضر:

للدرجادي حياتك مش فارقة معاك؟؟

أنا:

يا معلم حياة إيه اللي بتحكي عنها؟؟ أنا أساسًا ميت..

طالما انت فالح أوي كده وعارف عني كل حاجة..

يبأه أكيد عارف أنا بشتغل إيه وابويا ظروفه عاملة ازاي..

أنا اللي حرقص على السلم في البلد دي

لا حطول تنتون ولا تنتن..

يبتسم خضر في سخرية.

خضر:

واضح إنك اقتنعت بكلام هشام.. مبقاش فارق معاك حاجة

لأنك مش حتقدر تغير حاجة.. مش كده؟؟

أنا:

مش زي مانت متخيل.. أنا حاولت ..

يسود الصمت لحظة بينما الموسـيقى تتحول لأغنية رومانسية فرنسية على ما أظن.. أتذكر شيئًا ما.. وفي عقلي أتحدث مع نفسي: لو أدرك خضر ما أفكر فيه حالًا.. فهو يملك باعًا عني يؤهله للحصول على درجة الدكتوراه فيَّ..

Twitter: @alqareah

خضر:

بتفكر في ثريا؟؟

أبتسم أنا الآن.. فيبتسم هو الآخر بينما يشرب من كأسه فأتذكر ثريا وهي تقف عند جنة الفواكه في العباسية تتناول من كوب القصب في سعادة وكأنه مشروب الحياة.. إكسير الشباب الذي سيحملها معي للحياة الأبدية.

مارس 2005

لقـد كنـا في الفرقة الرابعة من الكلية ... الأخ هشـام أصبح معيدًا الآن.. الفضل قد يعود للملازم رجـب محمد عبـد العاطي أو لاجتهـاد الأخ هشـــام أو ربـما قــرر أن يبقــى الأخ هشـام بين أسـوار الجامعـة كي يسـتمر في تأثيره السـاحر على الطلاب ودفعهم للنجاح.. لم يكن قد طلب مني بعد المسـاعدة لوجه الله.. ولكن ثريا أنستني ذلك العبء..

استيقظت في ذلك اليوم على صوت والدتي.. لقد اتخذت قرارها بتنظيف المنزل كله.. السـاعة الحادية عشرة صباحًا بينما المنفضة تضرب شيشان المنزل كله والزعافة في تأهب لصيد منازل العنكبوت حتى لو في أقاصي الجدران.. والدتي تدخل الغرفة.

والدتي:

إصحى بأه الدنيا خلاص حتليل !!!

Twitter: @alqareah

أفيق تدريجيًا في سريري.. إن والدتي لم تكن تدرك قيمة الزمن والوقت للبشر.. فالساعة الحادية عشرة بالنسبة لها هي المغرب والمغرب يعني الليل والعشاء تعني موعد النوم.. تصف الزمن بالقريب منذ عشر سنوات والبعيد هو الأكثر من ثلاثين عامًا.. ربما لذلك السبب تحافظ على شبابها..

والدتي:

إلَّا يابني إنت مبترحش الكلية خالص؟؟

أنا:

بروح يا أمي.. في الامتحانات..

والدتي:

طب دانت خلاص حتتخرج.. مش ناوي كده تحضر محاضرة

عشان يبأه اسمك يعني تلميذ في كلية؟؟

أحاول أن أتحجج بنجاحي في الأعوام الماضية.. فتتحدث هي عن سنوات الجامعة بأنها كما يقال أجمل سنين الشباب.. إن خلفية والدتي عن دراسة الجامعة هي الأفلام القديمة حيث كان عبد الحليم حافظ وأحمد رمزي وعمر الشريف يحبون فاتن حمامة.. حيث كاد شكري سرحان يسقط في براثن تحية كاريوكا لولا القدر وتدخل عبد الوارث عسر لإنقاذ الموقف.. إن والدتي لم تكمل تعليمها في الجامعة.. اكتفت بشهادة الدراسة المدرسية الإعدادية وتفرغت فيما بعد للزواج.. كم أحب أمي..

Twitter: @alqareah

أمام إصرارها ودعواتها لي بالنجاح والتخرج لم أجد ملاذًا لإسعادها سوى بارتداء ملابسي والتوجه للكلية لعلي أقابل رجب هناك أو أحدًا من الأصدقاء.. أصلي الظهر في المسجد وأتحدث مع الأخ هشام قليلًا.. ثم أعود على طعام الغداء.. لم يكن أبدًا في بالي أن حياتي ستتبدل ذلك اليوم..

البعض يتحدث عن عشوائية هذا الكون وأن الحياة لا يحكمها ربط أو إله كما يتصور الآخرون، ولكن إذا أمعنت في النظر في أحداث يومك من وجهة نظر الآخرين من حولك تدرك أن الكون ليس عشوائيًا كما يتصور البعض وأن هناك ميزانًا من القوى لكي تسير الحياة في اتجاه واحد، قد تسخط على تلك الحياة وذلك الخط والاتجاه، ولكنك إذا أمعنت في النظر ستراه وربما حين تراه ستبتسم وستدرك أنك متى أحسست بالظلم.. بالحب.. بالقهر.. بالوحدة.. فإنك من ناحية أخرى تُشعر شخصًا آخر بالزهو.. بالغدر.. بالنصر.. بالصحبة..

إذا لم توقظني والدتي في ذلك الصباح ولم تتخذ قرارها بتنظيف المنزل فسوف أظل نائمًا.. ولو كنت قد تأخرت في حلاقة ذقني واختياري قميصي الأخضر وبنطلوني الجينز القديم وقررت اختيار قميص آخر وبنطلون آخر لفاتني الأتوبيس واضطررت إلى انتظار الميكروباص.. ولو لم يكن سائق الأتوبيس مترحمًا ومترفقًا بالجمع الذي انتظره في ذلك الصباح لتحرك دون السيدة التي كانت تحمل عشتها معها، ولو لم تركب تلك السيدة الأتوبيس لما نهضت عن كرسيَّ لتجلس هي فأكون أنا الأقرب للباب عند النزول.. ولولا الاحتباس المروري في شارع الجامعة واضطرار السائق للتحرك مسرعًا كي يتفادى الزحام أمام المحطة لكنت حبيس الأتوبيس ساعتها.. ولو لم تمر

Twitter: @alqareah

المظاهرة التي تنادي بوقف العدوان على غزة وتندد بمقتل الشيخ ياسين من أمامي لاتخذت طريقًا مختصرًا للكلية.. ولولا التقائي برجب في ذلك الطريق الطويل في الحديقة حيث أخبرني بوفاة الابن الوحيد للدكتور الذي تسبب في رسوبي في سنتي الأولى بالجامعة ولولا إحساسي بالذنب تجاه دعائي على الدكتور وأسرته لوصلت إلى الكلية مبكرًا عشر دقائق.. ولو عاش هذا الفتى لما كانت المحاضرة ستلغى، ولو كانت المحاضرة مقامة في ميعادها لما كنت سأدخل المدرج بكل تأكيد، ولو لم تلح علي رغبة في تناول سيجارة لما كنت سأدرك أني قد نسيت علبة سجائري أعلى دولاب غرفتي.. ولو لم أذهب لشراء السجائر من الكشك القريب لما كنت سأضطر للفصل بين صاحب الكشك وأحد الطلاب في المعركة التي بدأت بينهم للتو بسبب النقود.. ولو لم تفصل المعركة لكان الأمن قد تدخل وتحفظ على الطالب وعلى كل من بالمكان.. ولو لم أتخذ قراري بشرب السيجارة قبل الذهاب للبحث عن الأخ هشام بالمسجد لما وقفت أمام المدرج في محاولة لتهدئة نفسي ولما أشعلت السيجارة ولسعني عود الكبريت المصنع محليًّا بعناية.. لم أكن سألتفت في تلك اللحظة لأراها تقف خلفي.. «ثريا»..

لو كانت الأحداث تمر بعشوائية دون ترتيب أو اتجاه.. لم أكن سأراها أبدًا.

بعيدًا عن المقدمات الطويلة والحديث عن النظرات بيني وبينها في ذلك اليوم ووصف ثريا الذي قد يكون مبالغًا مني تجاهها.. هي كانت جميلة فعلًا.. ترتدي حجابًا ورديًّا يتزين بحلق فضي وترتدي قميصًا أبيض مع جونلة بيضاء بكرانيش وردية.. كانت تقف في حيرة حين اقتربت مني في خجل وحذر.

Twitter: @alqareah

ثريا:

هي المحاضرة اتلغت؟؟

فيما بعد أدركت أن ثريا تأتي خصيصًا للكلية لحضور تلك المحاضرة، فهي على حد قولها تستمتع بشرح نفس الدكتور الذي تسبب في رسوبي بالعام الأول!! يا لسخرية القدر!! ربما كان ذلك هو السبب في عدم لقائي بها قبل ذلك اليوم.. كانت ثريا تقطن حي حدائق المعادي.. تصحو مبكرة وتتناول أغراضها قبل أن تحيي والدتها وزوج والدتها الذي يعمل جزارًا بالمنطقة، ثم تخرج إلى الشارع وسط عيون رجال زوج والدتها التي تراقبها حراسة حتى تركب المترو نحو كوبري القبة ثم تركب الميكروباص حتى الجامعة.

تحدثنا كثيرًا وكان الدكتور نفسه هو السبب في الحديث.. حيث شرحت لها كيف تسبب هذا الرجل في تغيير حياتي.. حكيت لها عن الأخ هشام وعن رجب محمد عبد العاطي وملازمه السحرية.. كانت تملك سرًّا دفينًا في عينيها.. ظننت في البداية أنه الخجل من الحديث مع شاب لا تعرفه، ولكن الأيام التالية كشفت لي سرها الحقيقي، وهو ما دفعني فيما بعد ألا أنظر لما تراه عيناي من الناس في ظاهرهم، وإنما أمعن البصر أكثر فيما تحمله خباياهم من حكايات تأسرها قلوب تعيش في تلك الحياة..

لم أشأ أن أطيل عليها بالحديث حين أحسست برغبتها في الرحيل ووعدتها بتقديمها لرجب محمد عبد العاطي الذي لن يمانع دون شك أن أشاركها ملازمه الخاصة.. شكرتني ثم غادرت حديقة الجامعة وخلفها ذهب قلبي ينبض ربما لأول مرة في حياتي.. مشيت تجاه الكلية للقاء الأخ هشام.. كنت

Twitter: @alqareah

سعيدًا جدًّا يومها.. أذكر أنني فكرت في خيالي أني سأتزوجها وأني سأخبر والدي عنها وسأطلب منه التأنق يوم لقاء أهلها وستصادق شقيقتي حتمًا وستحب أمي كما أنا أحبها.. هي من حياتي، ولذلك ستصدقني وستشاركني المعيشة، لن تتكلف في طلباتها ولن تطلب مني المستحيل.. سأجد سبيلًا كي أحقق ما تتمناه.. لابد أن أعترف.. لقد أحببت ثريا..

Twitter: @alqareah

8

مارس 2010

كان خضر مستمتعًا بحديثي حقًّا وكأنه قد قرأ عني في رواية ويعلم كل تلك الأحداث مسبقًا والآن يتأكد من تواريخها وصدقها فيبتسم أحيانًا والأحيان الأخرى يتأثر لكلامي.. لم يقاطعني للحظة ولم يسألني عن شيء.. لم يهتم أن يعرف سر ثريا الدفين وكأنه يعلمه جيدًا.. لم أبال بتغيير زجاجة عمر الخيام من النبيذ الأحمر ولم أهتم بالعامل.. فقط قلت كل ما في صدري وكأني كنت أبحث عن ذلك الصديق لأحكي له عن حياتي.. رجل غريب يعرف عني كل شيء وأنا لا أعرفه.. لا أعلم لماذا توقفت عن الحكي للحظة ثم نظرت له في عطف.

أنا:

ممكن نبأه صحاب؟؟

- لأول مرة رأيت في عيني خضر الدهشة وكأن هذا السيناريو لم يتوقعه.

خضر:

Twitter: @alqareah

طب ماحنا صحاب !! ولا انت كنت شايف غير كده؟؟

لحظة صمت بينهما كنت أفكر في رد مناسب.

أنا:

أنا عمري ما حكيت لحد كل حاجة.. دايماً فيه تفاصيل ناقصة

اللي يعرفه أبويا مش كل اللي تعرفه أمي ولا أختي..

اللي حكيته لرجب كان ناقصه حاجات حكيتها لهشام..

إنت الوحيد اللي تعرف كل حاجة..

- يقلب خضر الكأس في يده مفكرًا.

خضر:

لو اللي حصل مع ثريا اتكرر تاني قدامك..

حتقدر تعمل اللي عملته ساعتها؟؟

- فكرت للحظة.. لا أعلم لماذا فكرت وقتها.. كانت الإجابة سهلة.

أنا:

أعمله ميت مرة..

إبريل 2005

كانـت تلك أجمل أيام حياتي فعلًا.. كل نهار من يومي أجد سـببًا واضحًا وصريحًا للاسـتيقاظ.. سألتقي بثريا.. أدخر من نقود المواصلات كي نشرب

Twitter: @alqareah

القصب معًا من جنة الفواكه بالعباسية التي كنا نمشي معًا حتى نصل للمحل ثـم نفترق.. مع مرور الأيام شـاركنا رجـب الصحبة.. أحببتـه أكثر في تلك الأيام.. عرفته حقيقة.. سهرت ليالي طويلة في منزله أحكي له عن حبي لثريا وهو يسمعني.. لا يكل ولا يمل.. كوب الشاي تلو الآخر.. أعود من منزله بشارع المبتديان لمنزلي سيرًا على الأقدام ليلًا أفكر فيها.. أمشي كل تلك المسافة دون أن أشعر.. كم من مرات استمعت لأغان مثل: تملي معاك وما شابهها من أغان لتامر حسـني وأنغام وسميرة سعيد.. ربنا قواني بيك.. وقلبك معدش ملكك مدام عشقتك مدام بحبك بصوت أنغام الدافئ وأمشي.. بين شوارع مصر القديمة والجديدة أمشي.. أمطار تمطر على رأسي فتمتلئ حفر الشـوارع بالمياه فتغرقني السيارات وأبتل وأمشي..

أشـعار وكلـمات حـب لم أكـن أصـدق معانيهـا حتـى تلـك اللحظـة.. محـاضرات صرت أحضرها.. أسـتذكر ملازم رجب وأسـاعد شـقيقتي على مذاكرتهـا للثانويـة العامة.. أقف مع والدتي بالمطبـخ لأطهو وأتعلم الطبخ.. أحببت الأنثى ورأيت ثريا في كل النساء من حولي.. الأيام تمر كالحلم وأدعو ألا تنتهي تلك السعادة.

أسـتمع لدروس الأخ هشام في المسـجد، وبينما هو يتحدث عن علامات السـاعة ونهاية العالم أدعـو ألا ينتهي العالم قبل أن يـرى العالم ثمار حبي لثريا مـن أطفـال وبيت دافئ.. لكم وددت أن أحيي من اخترع الموبايل أبو كاميرا في وقتهـا.. كان رجـب قـد ابتـاع واحدًا من نقـود الملازم كـي يحتفظ بصور ذكريات الجامعة وأصدقائه فاسـتغليت هذا الهاتف أسـوأ استغلال.. صورًا لنـا بالحديقة.. صورًا أخرى لفلوكة بالنيل.. صورًا بلهاء لنا جميعًا حتى الأخ هشام ابتسم لنا خصيصًا في إحدى الصور.. أجمل أيام حياتي..

Twitter: @alqareah

استيقظت في ذلك الصباح.. كان فصل الربيع في أوله.. كان يومًا جميلًا.. مشرقًا.. ينبئ بضحكات الأصدقاء وثريا وكل ما يبعث على البهجة في الحياة.. ولكني انتظرت كثيرًا في الحديقة لم تأت ثريا ولم يأت أحد.. فقط أنا وحدي.. بحثت عن أحد الأكشاك التي تقدم خدمة تأجير الهاتف المحمول في مقابل جنيه ونصف للدقيقة وقمت بالاتصال بثريا على هاتفها الذي أحفظ رقمه جيدًا.. الهاتف يرن بينما هي لا تجيبه.. حتى جاء صوت غليظ في مرة من المرات.

ألو.. مين معايا؟؟

لحظة صمت سادت على وجهي بينما أشعة الشمس تحولت من دفء وحنية إلى أشعة حارقة خانقة..

- صباح الخير.. ممكن أكلم ثريا..

ياليتني لم أستيقظ في ذلك الصباح..

- النمرة غلط وإياك تتصل تاني لحسن أطلع دين أمك..

تنتهي المكالمة فجأة.. بمنتهى البساطة كده؟؟ تأكدت من الرقم أكثر من ألف مرة.. تراجعت عن الاتصال مرة أخرى أكثر من الألف.. الصمت.. ضغط الدم يتراجع في جسدي.. أتأمل كل من حولي بالحديقة.. إشمعنى الناس دي كلها بتحب بعضها عادي كده؟؟ إشمعنى أنا؟؟ أبكي.. وحدي..

العديد من السيناريوهات طاف بخيالي لابد أن زوج أمها قد فطن لما بيني وبينها عن طريق أحد جواسيسه.. لابد أنها قد تلقت بسببي الصفعات

Twitter: @alqareah

والركلات.. لابد أنه قد هددها بالحبس.. لم أشأ أن أفكر كثيرًا.. لقد انتظرتها مرارًا وتكرارًا.. وحدي مرات ومع رجب مرات.. لم تظهر أبدًا ثانية.. حتى ذلك اليوم.. رأيتها بداخل المحاضرة.. وصلت مع بدايتها لتجلس بالصف الأخير وحدها تتجنب النظر تجاهي.. انتظرت نهاية المحاضرة وأنا أرجو الدكتور بداخلي أن يختتم مدة الساعة ونصف.. ما إن انتهت المحاضرة حتى جريت أعلى المدرجات متخطيًا الجميع حتى وصلت لباب المحاضرة ولحقت بها..

أنا:

ثريا !!!

توقفت ثريا والتفتت نحوي.. كان وجهها حزينًا يائسًا.. كانت عيناها ترجواني ألا أقترب ولكنني اقتربت منها.. أخبرتها بمحاولتي للاتصال وبحثي عنها وانتظاري لها ولم تجب سوى بنظرات الأسى تلك.. ثم الصمت لتفتح فمها وتنطق بكلمات حزينة..

ثريا:

أنا آسفة..

آسفة؟؟ طب على إيه؟؟ لم أفهم في لحظتها سبب الأسف.. ربما في الدقائق المقبلة كنت سأفهم ولكن في تلك اللحظة تحديدًا لم أفهم.. لم أفهم سبب اقتراب شاب منا يبدو في هيئته كأحد فتوات السينما في الخمسينيات وتتنبه له ثريا فتتلعثم ويزداد قلقها فتنظر لي في يأس مسرعة..

ثريا:

Twitter: @alqareah

تحت البنش بتاعي في المدرج..

ابتعدت عني ثريا بينما هي تمسك بذراع الشاب الذي ظل ينظر تجاهي بحدة وقد هدأته ثريا بكلمات لم أسمعها لبعد المسافة وابتعدت ثريا مع الشاب في صمت دون أن تعود ببصرها تجاهي.. ابتعدت عني..

بحثت بداخل المدرج الخالي أسفل المقاعد ولم أجد أي شيء.. انتقلت بين المقاعد الأمامية وبينها.. وسط الأخشاب وحولها.. فكرت في الجالسين إلى جوار ثريا.. ربما التقط أحدهم أغراضها وهممت بالخروج من المدرج مسرعًا محاولًا تذكر من كان يجلس بجوارها.. حتى استوقفتني عاملة النظافة.

العاملة:

بتدور على حاجة يابني؟؟

أنا:

فيه حاجة بس وقعت مني هنا على الأرض..

أشرت تجاه مقعد ثريا فتوجهت العاملة لصندوق من الكرتون المقوى وسط نظراتي المترقبة حتى عادت بكشكول قرمزي اللون.. رسوماته طفولية على الغلاف.. لقد كان كشكول ثريا..

أنا:

متشكر جدًّا..

جلست وحدي في المدرج أقرأ ما كتبته ثريا لي.. كانت رسالة بين الصفحات.. رسالة طويلة.. حزينة هي الحقيقة المؤلمة..

Twitter: @alqareah

لقـد ولدت ثريـا يتيمة فقد توفي والدها أثناء حمل أمها فيها.. عند ولادتها تـولى رجـل يدعى عبـاس الإنفاق عليهـا وعـلى والدتها.. عبـاس هو رجل المنطقـة.. كان رجـلًا كريـمًا.. يحب الخير للنـاس ولكنه أحب ثريـا فتزوجها عندما أتمت السادسة عشرة كانت الزوجة الخامسة أو السادسة له في تاريخه.. أدركـت ثريا أنهـا صارت جارية لعبـاس.. يملكها بماله.. ينفـق عليها وعلى أمهـا.. عباس كان جـزارًا حقًّا ولكنـه لم يكن زوج أمهـا.. لقد صدق حسي تجـاه مـا حدث.. إن عبـاس أدرك ما بيني وبين ثريا.. صفعهـا وأهانها وأذلها أمام أمها.. إن عباس اشـترى ثريا بماله كي يحرمني منها.. لقد أوصد عباس وأحكم غلق القفص على ثريا.

مشيت إلى المنزل ذلك اليوم حائرًا تائهًا.. لم أشأ أن أتحدث مع رجب حول ما حدث.. لم أتوجه لسماع نصائح وتهوين الأخ هشام.. أردت أن أفعل شيئًا آخر.. كانت الرسالة تحمل طلبًا للنجدة من ثريا.. لم تكن تكاد أن تطيق تلك الحياة.. تلك الحياة.. وأي حياة تلك.. عبدة ذليلة لرجل يقوم بتربية النساء.. يصرف على أطفال الفتيات حتى يكبرن كجوار له.. إنه القدر.. لابد أن أفعل شيئًا.. أي شيء..

الأيـام التـي تلت تلك الرسـالة كانت أسـوأ أيام حياتي.. ازداد سـخطي في المنزل.. ضربت شـقيقتي لأسـباب تافهة.. نهرت أمـي عن الحديث معي وشـكوت فقرنا لوالدي وعلقت أسـبابه في رقبته في كل المناسـبات.. لم أعد أسـتذكر مـلازم رجب محمـد عبد العاطي.. بـل لم أعد ألقـاه.. كرهت الأخ هشـام وكلامه المعسـول عن فناء الدنيا وأن الحب الحقيقي هو حب الله.. أنا بحب ثريا.. أنا حر بأه..

Twitter: @alqareah

مع مرور الأيام بدأ الهدوء يتسلل إلي فتحولت للصمت عن الغضب.. قبلت رأس أمي وصالحت أبي في صلاة الفجر وعدت لكي أساعد شقيقتي في مذاكرتها ولكن في صمت..

توجهت للقاء رجب في منزله وحكيت له ما حدث.. كانت صدمته أكبر من صدمتي وظل يحسبن ويضرب كفًّا بالآخر في حزن.. عندها قررت أن أفاتحه بما أنوي عليه.

أنا:

أنا قررت أفك أسر ثريا من عباس ده..

نظر إليَّ رجب في دهشة بينما هو يمسك بكوب الشاي مستندًا على طرف سور السطح.

رجب:

حتعمل إيه يعني؟؟ حتشتريها منه؟؟

أنا:

لأ.. حخلص عليه..

Twitter: @alqareah

9

مايو 2005

كانت أول مرة أتخذ قرارًا فيها بقتل شـخص مـا.. كان قرارًا عن اقتناع لم أحتج للعودة فيه للمراجع أو الصحف أو كتب الأديان السماوية كلها.. كان قرارًا صائبًا من وجهة نظري، ومن وجهة نظر الآخرين عملًا طائشًا..

كان الأخ هشـام في تلـك الأيـام مشـغولًا بالدعـوة في مسـجد الكليـة.. لقـد ذاع صيتـه حتـى إن الكليات الأخرى صـار طلابها يـترددون وبانتظام عـلى دروسـه بعد صـلاة الظهر.. لم أجد الوقـت الكافي كي أسـأله النصيحة والمشورة ولكنه في دقائق معدودة همس لي بأن الدعاء قد يغير القدر وأن كل ما علي أن أفعله تجاه أي كرب واقع علي أو على شخص أحبه أن أدعو له.. لم تكن تلك النصيحـة تكفيني.. لم تكن الليالي التي أنامها وأصحوها دون غل أو حقـد على أحد تشـفيني.. كان عـلي أن أتخذ قراري وحـدي وكان قراري وحدي فعلًا.. سأقتل عباس الجزار.. القاطن بحدائق المعادي..

لم أتعـب كثـيرًا في بحثي عن عباس.. لقد كان واسـع الشـهرة في حدائق المعـادي فعـلًا.. كانت جزارته كبـيرة.. وقفـت في ترقب حولها ليـلًا ونهارًا

Twitter: @alqareah

حتى رأيته.. كان رجلًا في الخمسينيات من العمر.. ضخم الجثة.. أصلع ذا كرش يداريه بجلباب واسع.. الذراع الواحد له في حجم جسدي كله تقريبًا ولكن ذلك لا يعنيني.. أنا من تدفعني الرغبة بالانتقام.. أنا عنصر المفاجأة.. أنا من يحركني الأدرينالين.. قرأت مرة عن سيدة أمريكية كادت أن تفقد طفلها الرضيع بداخل سيارة جيب ضخمة انحدرت أعلى هوة جبل ونجحت السيدة في إيقاف السيارة بيديها قبل أن تسقط السيارة من أعلى الجبل بفعل الأدرينالين.. إذا كانت تلك السيدة قد نجحت في إيقاف سيارة ضخمة فسوف أنجح أنا في قتل عباس الجزار ذي الجسد الفارع والكرش.. أضحك في استهزاء ثم أفعص السيجارة بقدمي بينما أستند على عمود النور المقابل لمحل الجزارة.. إن عباس يستعد للرحيل وتقترب سيارته المرسيدس الخنزيرة أمام باب الجزارة ليترجل منها سائقها. هو نفس الشاب الذي اصطحب ثريا من أمام المدرج.. إذًا أنا على الطريق الصحيح.. أتنهد بينما يحيي عباس كل من بالجزارة ويودع رجاله بعضهم بالصفع مداعبًا والآخر بالنعت بابن كذا وكذا.. يركب عباس السيارة بينما أتابعه ببصري.. لقد اقتربت ساعة الحسم..

الامتحانات قربت.. همست والدتي بتلك الجملة في تحذير وتشجيع بنفس الوقت بينما أنا أجلس بغرفتي الضيقة أتطلع للسقف ليلًا.. ابتسمت لها وأجبتها ألا تقلق.. أنا أستذكر جيدًا ولن أكرر ما حدث في سنتي الأولى مرة أخرى.. جلست والدتي على طرف السرير الخشبي بينما تربت على قدمي وبدا عليها القلق والخجل ثم قررت أن تكسر حاجز الصمت.

والدتي:

Twitter: @alqareah

أنا عارفة إيه اللي تعبك.. معلش يابني.. النصيب ده بتاع ربنا..

من أين للأم بتلك الحاسة.. كيف أدركت سبب ضيقي ومن أين أحست بكسرة قلبي.. تنهدت أمي وهزت رأسها لما أدركت أنني لا أريد الحديث في ذلك الموضوع.. غادرت الغرفة في هدوء بينما هي تغلق الباب كدت أن أندهها كي أخبرها بحقيقة ما حدث ولكني تراجعت.. لم أشأ أن أحملها عبئًا.. خاصة أنني سأنهي الأمر الليلة..

كانت الليالي السابقة هي طلعات استكشافية خلف عباس.. اكتشفت أن عباس يدور بسيارته ليلًا حول زوجاته وعشيقاته بمناطق شتى في القاهرة.. تنحصر بين المنيل القديم ومساكن صقر قريش بطريق الأتوستراد ثم يعود مرة أخرى لحدائق المعادي إلى العمارة التي يملكها بإحدى الشوارع الجانبية.. كان السائق ينام بالسيارة أمام المنزل وهو حارسه الخاص على ما أتصور.. لم يكن هناك بواب للعمارة ولا حارس عقار. فقط السائق في السيارة.. ظللت أراقب ذلك المنزل ليلًا حتى لمحت ثريا تقف في ليلة تنتظر من خلف شيش الشباك الخشبي.. ارتجف قلبي وارتعشت يداي كانت ترتدي قميص نوم أحمر مغطى بروب حريري كحلي ولم تكن ترتدي حجابًا.. شعرها الأسود الفاحم يغطي وجهها.. أحببتها أكثر في تلك اللحظة حتى إني كدت أن أجري غير مبالٍ بسيارة عباس التي تقترب من باب المنزل ولكني تراجعت.. أحسست أنها قد رأتني في تلك الليلة.. أحسست بهمساتها تناديني كي أنقذها.. أنفاسها المتلاحقة.. خيالات دارت في رأسي.. عباس بجسده الفحل ينقض عليها.. يضغط بيديه على صدرها يكبس نفسه على جسدها بينما هي ترجوه الرحمة.. جسدها يئن.. سرير مذهب نجارة دمياط يرتج.. يصفعها في سادية.. تتألم..

Twitter: @alqareah

فأضغط بقبضة يدي.. بينما وجهها الباكي تسيل دموع الندم والحسرة من عليه.. فتتعالى أنفاسي.. يمزقها ويغتصبها.. فأتذكر ضحكاتها على هاتف رجب وسائل القصب يسيل بين شفتيها نحو قلبها ليطهره.. لقد كانت سعيدة معي.. أنا من سيحررها.. أنا من سيحررها..

ارتديت ملابسي وتوجهت لصلاة العشاء في المسجد.. شعرت بذلك التناقض الغريب في نفسي بين شخص يتوجه إلى الله ثم يتوجه لقتل رجل لا يعرفه.. دارت أسئلة كثيرة في رأسي.. ماذا لو كانت ثريا تخدعني.. إن كيدهن عظيم في الأول والآخر.. ماذا لو كان عباس رجلًا طيبًا وكانت ثريا مجرد فتاة تبحث عن الحب في رسائل قصيرة لدفع الملل الزوجي أو لإثارة حمية عباس.. ولكني تذكرت عينيها الحزينتين في أول يوم التقيتها ذلك السر الدفين.. تلك الآلام.. لم يعد هناك من يوقفني. لقد حانت ساعة الحسم.

انتظرت في الليلة الأخيرة أسفل العمارة.. ترقبت حتى وصلت سيارة عباس وترجل منها.. توقفت السيارة بالسائق على مقربة من العمارة حيث بقي السائق كالعادة في السيارة ونظرت لأعلى وجدت نور الشقة مضاءً ثم خيالات تتحرك بالداخل.. ثم ثريا تغلق الشيش.. تنهدت بينما حبست أنفاسي ثم وضعت يدي في جيب البنطلون وتناولت المطواة التي كنت قد اشتريتها منذ عدة أيام من وسط البلد.. تأملت الشارع من حولي كان خاليًا من المارة وقد كانت الساعة تقارب الواحدة ليلًا اتخذت قراري الأخير ثم تحركت قدماي لأعبر الشارع إلى الناحية الأخرى منه..

Twitter: @alqareah

ما إن دخلت من باب العمارة حتى اختبأت أسفل بئر السلم لعدة دقائق كي أتأكد من أن السائق لم يرني أو يتبعني.. مرت الدقائق ثم انطفأ نور السلم أوتوماتيكيًّا.. تحركت في الظلام بينما أقدامي تخطو درجات السلم في بطء وحذر.. الدور الأول.. لا أثر ولا صوت لحياة من خلف أبواب الشقق فيه.. ثم الدور الثاني شقة واحدة يأتي من خلف أحد أبوابها صوت قراءة قرآن من راديو أو تلفزيون. لابد أنها شقة الأم.. تعالت أنفاسي بينما أنا أخطو نحو الدور الثالث.. الشقة المنشودة.. يأتي صوت موسيقى شرقية عالية من خلف الباب.. لابد أن ثريا ترقص لعباس.. أفكر للحظات ثم أقرر الانتظار قليلًا.. أختبئ خلف السلم لوهلة.. كان الدور الرابع غير مكتمل وكانت الشقق فيما يبدو خالية من السكان.. لابد أن عباس كان يتأهب للزواج فيها.. تحركت عقارب الساعة ببطء.. حتى مر ربع الساعة تقريبًا ثم ساد الصمت قاطعه ضحكات عباس بينما يعلو صوت ثريا.

ثريا:

مش قادرة.. بقولك مش قادرة حرام عليك..

صفعة قوية ثم آه نسائية مكتومة أهب على إثرها فوق قدمي.. صوت عويل نسائي خافت.. تتعالى أنفاسي.. الآن سوف أنهي تلك الآلام.. أتجه نحو الباب وفي هدوء أتناول المطواة.. أبحث عن قفل الباب كي أفتح الكالون ببطء.. كانت أول مرة أقوم فيها بكسر باب في حياتي ولدهشتي.. نجحت..

انفتح الباب فعلًا.. كانت الإضاءة في المنزل كله خافتة عدا غرفة بالداخل مضاءة يأتي منها صوت صراخ ثريا التي تستعطفه فأغلق الباب في

Twitter: @alqareah

هـدوء وأمشي ببطء نحو غرفة النوم.. الباب موارب.. يدي ترتجف.. أتذكر كل مـن في حياتي في تلك اللحظة.. أبي وأمـي وأختي.. أصدقائي.. مدرسي المدرسـة.. دكاترة الجامعة.. ضحكات ثريا ثم أفتح الباب لينسـاب بصيص الضوء في وجهي وأرى المشهد الذي لم أنسه طوال حياتي..

كان عبـاس نصفـه الأسـفل عاريًا تمامًا بينـما يرتدي حمـالات قطنية أعلى جسـده وكانت ثريا ترقد أسفل منه ساقاها عاريتان تغوص في جنبات مرتبة السرير المذهب كما تخيلته.. كان عباس يغتصبها فتصرخ ويشـعر هو بقوته.. لم أفكـر كثـيرًا انقضضت عليه من الخلـف كاتمًا عنقه بينـما المطواة تغوص في مؤخرتـه كـي تنتـزع كل ما تبقـى له من رجولـة فيصرخ من عنـصر المفاجأة والمباغتـة ويدفعنـي بجسـده القوي عـن ظهره فأسـقط أعلى السرير وسـط صراخه وصراخ ثريا التي كانت مفاجأتها لرؤيتي أكبر من أي شيء في حياتها فتدحرجـت هي الأخرى عن السرير وقد كان صدرها عاريًا بينما هي تحاول سـتر نفسـها. كان عبـاس يكافـح كي ينهـض بينما هـو ينزف بشـدة فانقض عـلي محاولًا تنـاول المطواة من يدي.. ظلت يده تخنـق رقبتي بينما يدي تحاول الوصول للمطواة التي سـقطت عـلى الأرض إلى جواري.. الأدرينالين الآن في صالح عباس.. إني أفارق الحياة.. تلك الحياة..

ثريا:

سيبه !!!!!

Twitter: @alqareah

جاءت الكلمة لتشق حاجز الزمن فيتراجع عباس للحظة عن عنقي بينما هو يترنح وتبدو ثريا عند الباب تكب فوق جسدها الكيروسين ثم تلقي بالبرميل الصغير جانبًا.

ثريا:

سيبه لحسن أولع في نفسي قدامك..

تناولت ثريا علبة الكبريت في يدها الأخرى وأشعلت العود.. كانت الحرب الآن ستشتعل بينها وبين عباس.. حاولت أن أهمس لثريا أن تتوقف.. ولكن نظراتها الحنونة الباسمة تجاهي استوقفتني.. ثم همست..

ثريا:

اجري..

انقض عباس عليها فسقط العود عن يدها لتمسك النيران في جسدها الصغير وتشتعل ثريا التي بدورها تقفز على عباس فتشتعل النيران فيهما معًا.. لا أعرف كيف نجحت في الوصول للمطواة.. كيف وقفت للحظة أتأمل ثريا تحترق أمامي.. تشتعل، بينما النيران تلتهم السرير ثم الغرفة.. خطواتي المسرعة إلى خارج الشقة.. بينما خرجت والدة ثريا تصرخ في بئر السلم منادية بالحريق.. صعدت إلى الدور الرابع مسرعًا ثم وقفت أحبس أنفاسي بينما الشارع كله يجري أعلى السلم نحو الشقة بينما الصراخ يتعالى في رأسي وفي العمارة كلها.. ظللت مكاني أرتجف.. غير مصدق.. أحاول أن أدرك ما حدث فلا أصدق نفسي.. حبيبتي احترقت أمام عيني..

■■■

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

10

مارس 2010

أشـعل خضر سـيجارته الدانهيل بينما النيران تشتعل في السيجارة سقطت دموعـي باكيًا.. ارتجفت كالطفـل الصغير أمامه حتى تنـاول منديلًا من على المائدة وناوله إلي.. هدأت للحظة بينما أنا أتناول أنفاسي ثم مسـحت دموعي في حزن وشفقة على نفسي وعلى كل ما رأيته في حياتي ثم نظرت تجاهه.

خضر:

خرجت إزاي من العمارة ؟

- تذكرت للحظة محاولًا الإجابة عن السؤال.

أنا:

قعـدت مسـتني لحد مالناس اتلمت واتسـحبت من غير ما حد يشـوفني كنت خايف السواق يلمحني.. هو الوحيد اللي شافني قبل كده..

أشـار خضر بيـده لعامـل المـكان طالبًـا الحسـاب ثـم بـدا عليـه التأثر بما حكيته.

Twitter: @alqareah

خضر:

خش الحمام اغسل وشك.. أنا مستنيك..

نهضت عن المائدة في بطء وحذر ألا يراني أحد بالمكان.. كنت أبدو كالمرة التي خرجت فيها من عند رئيس الجامعة.. ذليلًا.. قبل أن ألتقي بالأخ هشام.. يا ليته كان موجودًا الآن.. سرت بين الموائد حزينًا.. وحيدًا ولكن دون ثقل على صدري.. لقد نجح خضر في إخراج كل ما كنت أحمله السنوات الماضية.. ليس كله تقريبًا ولكن معظمه.. دفعت باب الحمام.. يا له من حمام أنيق.. ابتسمت لنفسي كيف يكون حمام كافيه أرقى من منزلي بأكمله.. ثم تأملت وجهي في المرآة ويا للعجب.. لقد كنت سعيدًا.. لم أكن بذلك السوء الذي تصورته.. خلعت ساعتي عن يدي وقد تأملت العقارب التي أشارت للثالثة والنصف وخمس دقائق ثم اندفعت المياه من الصنبور فتناولت منها وغسلت وجهي ثم التقطت أنفاسي وعدت أتأمل وجهي في المرآة مرة أخرى..

مايو 2005

تذكرت الأيام التالية للحادث.. كانت الصحف تتحدث عن فتاة شابة أشعلت في نفسها وفي زوجها النيران بعدما ضاقت بعيشتها معه.. صحف الحوادث تناولت الخبر بمنتهى السذاجة واضعة صورة تجمع ثريا وعباس معًا في حفل زفاف بينما شريط أسود يحجب أعينهم.. لم يمر وقت طويل حتى تناسى الجميع ما حدث.. كان رجب الوحيد الذي يدرك أن لي يدًا خفية في هذا الأمر ولكنه لم يجرؤ يومًا على أن يصارحني سوى أنه بعد أكلة

Twitter: @alqareah

كباب حرشة قد دعاني عليها في الرفاعي مشينا معًا إلى منزله وبعد أن قدم لي الشاي.. احتضنني بشدة.. أدركت وقتها أنه يعرف الحقيقة فبكيت بين ذراعيه وأدركت أن لي صديقًا حقيقيًا..

تركت المنزل في تلك الفترة وتوجهت للسكن في شقة رجب.. كان يستعيد معي كل ما فاتني من دروس ومحاضرات حتى توجهت لأداء أول امتحان في الكلية.. كان ذلك اليوم هو الأول لي منذ أن رأيت ثريا أمام المدرج ولسخرية القدر كان الامتحان بنفس المدرج وكان مقعد جلوسي هو نفس مقعد جلوس ثريا.. للحظة وقفت غير مدرك ثم جلست في هدوء متناولًا ورقة الإجابة فورقة الامتحان وشرعت أجيب عن الأسئلة المفروضة أمامي وإن كانت تكفيني تلك الأسئلة في الوقت الراهن..

ما إن انتهيت من الامتحان حتى توجهت للبحث عن الأخ هشام في الكلية.. أردت أن أعترف له بما حدث ولكني لم أجده.. سألت عنه كل من بالكلية وكانت الإجابة الثابتة من الجميع.

بقاله فترة مجاش..

أحسست بالوحدة والقلق لماذا لم يأت ولماذا لا يعرف عنه أحد شيئًا.. لم يكن الأخ هشام من أصحاب الهواتف المحمولة ولم أكن أعرف رقمًا لمنزله.. توجهت إلى المسجد كي أسأل عنه ولكني لم أجد أحدًا من رفقته بل وجدت المسجد خاليًا تمامًا في موعد صلاة الظهر.. ربما هي الامتحانات.. التفت لأجد أحد ضباط أمن الجامعة في تأهب لأداء الصلاة، وقبل التكبير توجه ببصره نحوي ثم تراجع عن الصلاة واقترب مني في بطء..

Twitter: @alqareah

الظابط:

السلام عليكم..

رددت السلام في حذر بينما هو مازال يقترب مني.. صافحني الظابط الشاب وقدم لي نفسه أنه أحد حرس أمن الكلية وأنه يعرفني جيدًا ويعرف أني صديق للأخ هشام.. بدا عليه التردد قليلًا فيما سيخبرني إياه ولكنه أفصح عمَّا في صدره.. ويا ليته ما أفصح..

لقد ألقت سلطات الأمن القبض على الأخ هشام وحاليًّا يتم التحقيق معه كما ألقت القبض على عدد من رفقته وكان نفس الظابط هو من قدم تقريرًا عنهم ولكنه استثناني من التقرير بحجة أنه التقى بالأخ هشام فسأله عني فأجابه هشام أني لست طرفًا في الأسرة وإنما هو يساعدني لوجه الله.

خرجت من المسجد غير مصدق.. لقد عشت السنوات الماضية أخشى أن أتورط في شيء ما لصالح وجه الله والآن اكتشفت أن الأخ هشام كان يحبني حقًّا لم يكن يستغلني في شيء أو يطمع في أن أساعده لأي غرض..

استمررت في السؤال عنه بعد كل امتحان ولجنة ولكني لم أجده ولم أجد أحدًا يعرف موقعه الجغرافي على الكوكب.. حتى ظابط الأمن اكتفى بأن الله أعلم.. كان رجب يعلم بما حدث ولكنه أخفاه عني حتى لا يضيِّق علي أكثر.. عدت إلى منزلي وسط ترحيب من أهلي غير مسبوق كأني عدت من حرب العراق التي كانت على الأبواب فعلًا في تلك الأثناء.. ولكن صورة الأخ هشام لم تفارق ذهني.. حتى كان آخر يوم في الامتحانات.. عدت إلى منزلي مباشرة كنت مرهقًا بشدة.. تناولت الطعام على المائدة مع أسرتي وكانت شقيقتي تستعد لأداء أول امتحانات الثانوية في اليوم التالي..

Twitter: @alqareah

توجهـت إلى سريـري بعـد الطعام مبـاشرة.. كنت قـد تواعـدت مع رجب وبعض الأصدقاء من الكلية للذهاب للسينما ليلًا.. أردت أن أكون مدركًا لما يحدث في الفيلم حتى لا أبدو سـخيفًا أو مملًّا وفي الحلم رأيته.. الأخ هشام.. كان مريضًـا.. عاريًا على أرضية غرفة قـذرة.. كان يبكي في خوف.. اقتربت منه مسرعًا وحاولت أن أغطيه بقميصي فرفض وقال لي إن هذا جزاء ما فعله به المجرمون ثم نظر إلي وقال

هشام:

ربنا مآردش إنك تقتل عباس بإيديك.. بس إنت حتقتل عشاني

إنت اللي حتاخد بتاري منهم..

استيقظت من نومـي في سريري وقد غطاني العرق بينـما أنفاسي تتلاحق وتعالى صوت أذان العشاء في المسجد القريب من منزلي.

مارس 2010

عـدت مـن ذكريـاتي إلى حمـام المطعـم الأنيق، حيـث تناول عامـل الحمام بالمطعـم مناديل ورقية من علبتها وأعطاني إياها كي أجفف وجهي.. تأملت وجه الرجل للحظة وكان أشبه في هيئته وملامحه بوالدي.. هل أتخيل يومًا أن أرى والـدي في نفـس ذلك المـكان بنفس المهنة.. تناولـت المناديل من يده في خجل وهمست.

شكرًا يا والدي..

Twitter: @alqareah

ابتسم الرجل في أسًى للحظة بينما أنا أسير خارج باب الحمام أتعجب من تلك الحياة.. ثم درت ببصري بحثًا عن خضر وقد فاجأني هو هذه المرة.. لم أجده..

توجهت مسرعًا إلى عامل الكافيه الذي قدم له النبيذ الأحمر كي أسأله عن خضر ففاجأني بسؤاله.

العامل:

هو حضرتك كنت قاعد هنا يافندم؟؟

تملكتني الدهشة للحظة وانفعلت بشدة تجاهه لفتت أنظار العاملين بالمكان.

العامل:

يافندم أنا مخدتش بالي من حضرتك غير دلوقت..

طب حضرتك طلبت إيه؟؟

تجاهلت الإجابة عن سؤاله بينما أنا أدور ببصري حولي بالمكان لقد بدا تمامًا كما دخلته أول مرة مع خضر.. نفس الناس في أماكنهم نفس الموسيقى ثم توجهت ببصري إلى خارج النافذة المطلة على الشارع وبدا الشباب يودع بعضهم البعض.. تشاو فلانة.. تشاو فلان.. القبلات.. الكل يتوجه نحو سياراته.. ثم لحظات ويأتي صوت سارينات الإسعاف أعلى الكوبري فأتراجع في دهشة ثم أنظر تجاه الساعة في يدي.. إنها الواحدة والنصف.. أي قبل دخولي الحمام بساعتين على الأقل.. التفت حولي تجاه كل من بالمكان وقد بدا الجميع في ترقب لأمري ولكني أتدارك نفسي وأسير نحو باب المطعم في هدوء ودهشة.. مازال خضر قادرًا على مفاجأتي..

■■■

Twitter: @alqareah

11

مارس 2010

مشيت وحدي في شارع 26 يوليو أفكر في كل شيء.. الآن أريد أن أعرف من يكون خضر.. لاشك أنه ليس من رجال المباحث أو الشرطة لأنه لو كان كذلك لألقى القبض عليَّ فور خروجي من الحمام.. ولكن ذلك ليس بالأمر المهم.. كيف عادت عقارب الساعة إلى الواحدة والنصف.. هل أتخيل خضر؟؟ هل جننت؟؟ هل خضر هو انفصام شخصي لنفسي؟؟ لو كانت كل تلك الأسئلة منطقية فكيف عادت الساعة للوراء؟! لم يفتني أن أسأل المارة في الشوارع بشكل عشوائي عن الساعة، قد يكون خضر يتلاعب بي مع رواد الكافيه وعامليه ولكن الجميع أكد أن الزمن لاشك وأنه قد عاد بي إلى الوراء، تمنيت أن أملك هاتفًا محمولًا الآن كي أبحث عنه ولكني تراجعت في ذلك الأمر.. ما كان خضر سيعطيني رقمه أكيد..

استسلمت لما حدث وقررت أن أتناساه.. لقد حقق لي خضر أمنية غالية أن أفصح عن كل ما في صدري، ربما كان هو من سكان عطارد أو ربما كان من الجن.. في النهاية أنا أكثر راحة وأكثر إشراقًا.. ظللت أمشي حتى وصلت

Twitter: @alqareah

لشارع الجلاء ثم تذكرت.. لقد مشيت في ذلك الشارع من قبل.. ليس في معاناتي مع ثريا وإنما بعدها.. نعم.. لقد كانت تلك الليلة التي خرجت فيها مع رجب وأصدقاء الكلية.. ليلة ذهابنا إلى السينما.. نفس الليلة التي حلمت فيها بهشام.. تأملت الشوارع من حولي وقد خلت من المارة.. ثم بدأت أسترجع ما حدث تدريجيًّا..

يونيو 2005

لقد شاهدت فيلمًا أجنبيًّا لبراد بيت وأنجيلينا جولي.. كان حول زوجين يعملان قتلة ومرتزقة.. كان الحديث الدائر بين الرفقة كلهم حول أنوثة أنجيلينا جولي وشفتيها الضخمتين اللتين دعتا دعوة مفتوحة للجنس.. التزمت الصمت وتعجبت من تبدل فكر رجب.. فهو الآن أكثر تحررًا عن معرفتي به.. ربما هي سعادة نهاية الدراسة بالنسبة له.. فهو كان يحمل أعباء آلاف الطلاب.. ابتسمت لمزاحهم ولكن صورة هشام وهو على أرض الغرفة لم تكن لتفارق ذهني..

مشينا كثيرًا في شوارع وسط البلد.. تأملنا فتارين المحلات والمعروضات المختلفة.. ملابس في تخفيضات.. أحذية.. محلات الملابس الداخلية الحريمي.. الكل هائج ومكبوت جنسيًّا.. تحول السير في شوارع وسط البلد لفقرة من المعاكسة للفتيات في الشارع.. زاد ذلك من سخطي مع الوقت..

جرى إيه يا جماعة انتوا معندكوش إخوات بنات ولا إيه؟؟

Twitter: @alqareah

التزم رجب الصمت للحظة بينما بدت الدهشة على وجه باقي الأصدقاء وقد حاول البعض منهم المداعبة وفض الإشكال بالمزاح والتحجج بالتحرر من سنوات الجامعة المقيدة.. حتى اقترح أحدهم أني أميل للرجال أكثر من النساء مازحًا.. تأففت منهم وكدت أن أتركهم فلاحقني رجب ثم الأصدقاء تباعًا في محاولة الترويح عني، ثم اقترح أحدهم أن أشاهد مقطعًا على هاتف محمول خاص بأحد الأصدقاء.. تأملت المقطع بعناية.. كان مقطعًا لن أنساه في حياتي.. كانت الغرفة التي رأيت هشام فيها في الحلم، كان المقطع لرجل عارٍ لا يتبين وجهه بينما رجال الأمن من المخبرين يكيلون له الضرب والسحل، ثم توجه الظابط فيما يبدو ناعتًا الرجل بألفاظ قاسية عن أمه وعن أهله وكيف سيغتصبهم جميعًا بينما يضحك المخبرون.. تناول الظابط عصا غليظة وشرع ليضعها في مؤخرة الرجل الذي صرخ.

حسبنا الله ونعم الوكيل..

مرارًا وتكرارًا.. الرجل يصرخ.. شعر جسدي ينتفض.. أصدقائي يضحكون.. صوت الرجل.. إنه الأخ هشام..

تركت الهاتف من يدي وأنا أصرخ فيهم من أين أتوا بهذا المقطع؟؟ كانت دهشتهم لثورتي العارمة منطقية.. ظل البعض يحاول تهدئتي بينما أنا أمسك في تلابيب صاحب الهاتف وأصرخ من أين جاء به !!! تدخل رجب والمارة في الشارع لفض الاشتباك بينما أجابني الصديق وهو في حالة ذعر لحالتي أن هذا المقطع يتداوله الطلاب منذ أيام بالكلية.. كان رجب مصرًّا أن يفهم سر

Twitter: @alqareah

غضبي وأنا لا أقدر أن أشرح له رؤيتي للأخ هشام في منامي.. كيف سيفهم ذلك؟؟

تركتهم وابتعدت.. مشيت في الشوارع غير مصدق.. ثم تذكرت.. لقد كان مقعدي في الامتحان هو نفس مكان ثريا في المدرج.. إن الأشياء لا تحدث عشوائية.. إن هناك ما نسير لأجله حتى وإن بدت حياتنا بلا هدف.. هذا البلا هدف هو هدف في حد ذاته..

مارس 2010

مشيت كثيرًا من شارع الجلاء وأنا أتذكر ما حدث ليلتها مع أصدقائي ومع رجب، وأثناء عودتي للمنزل متناسيًا خضر مررت بجنة الفواكه بالعباسية.. توقفت أتأمل المحل بينما صبي المكان قد صار هو من يقدم العصير الآن.. لم أكن أشعر بالظمأ وقتها ولكن الآن أشعر..

تناولت الكوب من يدي الصبي الذي ابتسم لي فجأة مرحبًا.

الصبي:

إزيك يا باشا !!!

كنت أكاد أن أضع الكوب على فمي ثم تراجعت لأبادله التحية، ثم شرعت في تناول القصب ونظرت تجاه الشارع للحظة وخيل لي أني مازلت أسير فيه وحدي عائدًا من معركتي مع أصدقائي ومع رجب بسبب المقطع..

Twitter: @alqareah

يونيو 2005

بدأت أدرك وقتها أن السبب الرئيسي لما حدث هو الانتقام للأخ هشام.. ربما الأمر يبدو ساذجًا وبسيطًا ولا يحتاج لعالم صواريخ لتفسيره ولكن الحقيقة أحيانًا تكون صوب أعيننا ولا نراها من شدة البساطة.. ولكن كيف؟؟ كيف سأنتقم للأخ هشام؟؟

كانت شقيقتي تستذكر مادة الحساب الأولى التي فرضتها وزارة التربية والتعليم كمادة أساسية لطلاب الثانوية العامة في مرحلتهم الأولى.. كانت شقيقتي من طلاب العلمي علوم، ولذلك لم تمانع أن تستذكر تلك المادة ولا شك أنها لم تمانع أن يقوم شقيقها الأكبر بالمذاكرة لها.. كان قد مر أسبوع على ما حدث بيني وبين أصدقائي.. كان والدي يتابع انتخابات الزمالك ومعركة مرتضى منصور من أجل كرسي الرئاسة.. كانت والدتي تجلس إلى جواره في صمت.. تتابع ما يحدث وكأنه دراما تلفزيونية رمضانية.. لم يقاطعنا جميعًا سوى طرق الباب وتوجهي نحوه كي أفاجأ برجب وقد جاء خصيصًا لزيارتي..

انتقلنا معًا إلى السطح حيث السجائر متاحة وحيث الحديث والعتاب بين الأصدقاء أسهل.. كانت زوجة سيد البواب وقتها حاملًا في مولودها الثاني لذلك لم يكن سيد يضاجعها وكان السطح هادئًا..

شرحت لرجب سبب ثورتي ليلتها وتفهم الأمر حتى إنه أدرك فيما بعد ما أدركته أنا الآخر وأنه والأصدقاء قد تملكهم الأسى لذلك، وتعاطفوا معه ومعي بشدة.. فكرت أن أحكي لرجب ما رأيته في الحلم في نفس الليلة

Twitter: @alqareah

ولكنه فاجأني بخبر عقد لساني وقتها.. لقد توفي الأخ هشام منذ يومين في السجن وهناك تحقيق مستمر حول أسباب الوفاة وإن كان من المتوقع أن تصدر النتيجة أن السبب مرضي..

التزمت الصمت وقتها.. كان رجب يحاول التهوين عني ولكني لم أكن واعيًا أو مدركًا لكلماته في ذلك الوقت.. كان كل ما يشغل بالي هو البحث عن ذلك الظابط وقتله.. تقطيع أوصاله وتعذيبه.. لقد فتكت بعباس كي أحرر ثريا فماتت.. الأخ هشام الآن ميت.. إذًا سأمزق ذلك الظابط بتلذذ.. ولدهشة رجب لم أبكِ أو أتأثر لما قاله ولكني ابتسمت في نفسي.

***

Twitter: @alqareah

12

يوليو 2005

لم يكـن وجـه الظابـط واضحًـا في المقطع المصـور ولكني تذكـرت رتبته جيدًا، لقد كان نقيبًا.. شـاهدت المقطع المصـور في تلك الأيام مرارًا وتكرارًا في هواتـف كثيرة وعلى هاتف رجب.. حفظـت تفاصيله كلها.. كان الظابط نقيبًا فعلًا، وبالتالي هو في أواخر العشرينيات، كان يرتدي دبلة في يده اليمنى مما يدل على أنه قد يكون مرتبطًا بفتاة ما.. كان جسـده ممتلئًا قليلًا.. حفظت صوته جيدًا..

توجهـت إلى الجامعة قبل إعلان النتيجـة بأيام للقاء رئيس الحرس، كنت قد بدأت أعتبره صديقي.. تحدثت معه عما حدث للأخ هشـام فأبدى أسـفه الشـديد.. في حرص سـألته عن ذلك المقطع المصور فالتزم الصمت، ثم دار ببصره تجاهي بينما كنا نسـير في حديقـة الجامعة.. نفس المكان الذي جمع بيني وبين ثريا ورجب والأخ هشام.

الظابط: انت عايز إيه بالظبط؟؟

Twitter: @alqareah

بالطبع لم أكن لأخبره أني أريد الفتك بالظابط وأسرته وأهله جميعًا ولكني اكتفيت بأن أخبره أني أريد العدالة لهذا الشاب المهتوك عرضه أمام أعين مصر كلها.. ابتسم الظابط وأخبرني أن السجون تمتلئ بأمثال الأخ هشام وأيضًا تمتلئ بالمجرمين.. فأجبته إنه من الواضح أيضًا أنها تمتلئ بأمثال هذا الظابط الفتاك.. تعلل الظابط بأن النفوس المريضة في كل مكان حتى أجهزة الأمن.. كنت قد تفهمت أن الظابط لن يساعدني كثيرًا فقررت أن أوضح له سببًا واهيًا للزيارة وهو أني مع مجموعة من الزملاء قررنا تقديم مذكرة لوزارة الداخلية تطالب بمعاقبة هذا الظابط والتمسك بدليل ملموس بين أيدينا هو المقطع المصور.. أجابني الظابط بأن هذا الالتماس من الممكن تقديمه من خلال إدارة الحرس.. وهنا طرأت لي الفكرة: لماذا أجهد نفسي بالبحث عن ذلك الظابط وأنا بين يدي وسيلة لاستدراجه نحوي كي يخرج أمامي للنور؟!

تأملت أسوار الكلية ليلًا، بينما أنا مازلت أمشي وحدي في الشارع.. تأملت الحديقة وجراج السيارات.. تذكرت الأيام السعيدة لي في الجامعة وتذكرت ضحكات ثريا.. استندت على الأسوار وشرعت أتأمل فيما بينها وكأني حبيس عالم صنعته بيدي.. هل كان خضر يعرف عن الأخ هشام وما فعلته من أجله؟؟ أكيد.. لماذا لم يسألني عنه وعن ذلك اليوم المشهود؟؟ يوم إعلان النتيجة حيث أقمت دعوة لطلاب الدفعة كلهم.. دعوة للحق هكذا أسميتها..

كان نهارًا مشرقًا.. شمسه حارقة.. المعظم سعيد بنجاحه، البعض حزين لرسوبه في عدة مواد ولكن الجميع التف حولي وأنا أنادي وأطالب بجمع

Twitter: @alqareah

توقيعات الطلاب على الالتماس المقدم لوزارة الداخلية من أجل معاقبة الظابط صاحب المقطع المصور.. همَّ الجميع لمساندتي، ولأول مرة في حياتي أرى شبابًا من جميع الفئات في بلدي يجتمع ضد الظلم.. لم يتوارَ أحد بين الظلال.. لم يتخاذل دكتور أو معيد أو حتى العميد عن التوقيع.. تكاتفنا كلنا.. ابتسمت في أسىً وتذكرت كلمات الأخ هشام لي في الحلم..

إنت اللي حتاخد بتاري منهم..

ربما كان هذا هو الانتقام.. من كان ليصدق أن كلمات الأخ هشام لي هي ما دفعت كل هؤلاء الآن للتكاتف والالتفاف حول شيء واحد.. العدالة.. لمحت الظابط صديقي وسط حرس الجامعة يقف ليتابع ما يحدث في ابتسامة رضا وتشجيع.. إن الأمن في مصر ليس كله فاسدًا كما يتصور الكثيرون.. لقد كان هذا اليوم شهيدًا على ذلك.. قدمنا الالتماس.. نجحت في الكلية بتقدير جيد..

لم تفت أيامٌ كثيرة.. كنت قد شرعت في البحث عن وظيفة.. عدة مقابلات.. قميص وكرافتة وبنطلون قماش كحلي من عند والدي مع حذاء إيطالي من وسط البلد.. ماكينات طباعة تقوم بطبع سيرتي الذاتية.. صور فوتوغرافية أربعة في ستة من محل كوداك للتصوير الفوري بشارع مصر والسودان.. خاب ظني في العديد من المقابلات لا أنكر.. حتى انتهى بي الأمر جالسًا بين صفوف المتقدمين لإحدى شركات المبيعات عبر الهاتف.. كانت فرصتي جيدة، فكل ما هو مطلوب مني لمقابلة العميل.. صوتي فقط..

Twitter: @alqareah

كان يومًا حارًّا.. كنت أجلس في صمت أقرأ أدعية يس ثم آية الكرسي ثم بعض الأدعية التي طلبت مني أمي قراءتها.. كنت قد تناسيت الأخ هشام في ذلك الوقت.. كنت أعتقد أن انتقامي من الظابط قد حل عليه بالالتماس ولكن القدر رسم لي خطواتي مرة أخرى، فبينما أنا أجلس بين صفوف المتقدمين يقترب شاب ليجلس إلى جواري ممسكًا بجريدة اليوم فيفتح صفحة الحوادث ويشاء القدر أيضًا أن أتوجه ببصري نحو الجريدة فيبدو خبرًا في نفس الصفحة عن ذلك الظابط صاحب المقطع وكيف أنه سيتعرض للجنة تأديب.. لجنة تأديب؟؟ هتك عرض علنًا في الهواتف المحمولة لشباب مصر ويتعرض للجنة تأديب ؟؟ طب ما كانوا ضربوه على إيديه وقالوا له متعملش كده تاني أحسن!! لم أكد أتمالك نفسي وقد استأذنت الشاب في الجريدة للحظة ثم شرعت أقرأ الخبر بعناية.. لقد ظهر الظابط على سطح المياه الآن.. إن اسمه هو محمد أبو بكر.. لقد كان نقيبًا فعلًا.. وها هو أمامي بوجهه.. كان يبدو عليه أنه ابن ناس.. مبتسمًا في صورة صغيرة.. أغلقت الجريدة مفكرًا.. إن انتقامي لابد منه.. الأدرينالين مرة أخرى.. القاتل بداخلي يناديني..

اتفضل يا أستاذ..

أرفع بصري فيبدو الشاب عامل الشركة يطلب مني التفضل للقيام بالمقابلة.

كانت المقابلة سريعة.. لم يمض وقت طويل حتى أدرك مدير شئون العاملين أن لي باعًا جيدًا في اللغة الإنجليزية والقليل من الفرنسية وأني أدرك

Twitter: @alqareah

قيمة الويندوز لحياة الشباب في أيامنا هذه وأن عقلي سليم وواع لما يحدث من حـولي من أحداث سياسـية وقومية.. ظـل الرجل يفكر للحظـة ثم بدا عليه التردد في الموافقة على طلبي ثم جاءت مكالمة على هاتفه المحمول لتقاطع زفه لي بخبر رفضي فاسـتأذنني للحظة ثم أجاب الهاتف.. لقد كان أحد أصدقائه يقف أمام شـباك تذاكر مباراة الكأس المقامة بين الزمالك والأهلي.. لقد كان الرجل زملكاويًّا متعصبًا.. طالب بشراء التذاكر أيًّا كان ثمنها.. أنهى المكالمة بعـد أن طالب صديقه بـشراء تذاكر لـه وللمدير ولأولاد شـقيقته.. ثم عاد إليَّ..

المدير: كنا بقول إيه معلش؟؟

أنا: هو حضرتك زملكاوي؟؟

اعتـدل الرجل في كرسـيه متوقعًا أن أكون أهلاويًّا وسأسـخر منه بشـدة ولكنـي فاجأتـه في تلك اللحظـة بحديثي عن والدي وعـن منزلي وعن كون الزمالـك وجمهـوره هم الأقلية الكادحـة والعريقة في مـصر.. لم أحصل على الوظيفـة بسـبب سـيرتي الذاتيـة أو كفـاءتي.. حصلـت على الوظيفـة لكوني زملكاويًّا..

مزقـت السـيرة الذاتية أثنـاء خروجي من بـاب المكعب الذي سـيتحول لحياتي في الأعوام المقبلة، ولم أنس أن أفك ربطة عنقي وأبتسـم ولم أنس اسـم الظابط.. محمد أبو بكر ...

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

13

مارس 2010

كنت قد وصلت إلى كوبري القبة سيرًا.. لافتات قماشية تعلق من حولي في الميدان لمرشحي مجلس الشعب من أجل الانتخابات المرتقبة.. كلها للسيد الشاب معتز الشافعي الذي يبتسم تجاهي وكأنه يريد مصادقتي غصبًا فتجاهلته وتوجهت لشراء الجرائد من الميدان ثم تأملت الطريق نحو شارع مصر والسودان وفكرت أن أستوقف تاكسيًّا ولكني قررت أن أتحامل وأكمل الطريق سيرًا فسقطت فجأة تلك الصورة المطبوعة التي توزع مع الجريدة.. كان معتز الشافعي مرة أخرى يطاردني.. مبتسمًا بينما مياه الشارع تغطيه وقد سقط على الرصيف.. لأول مرة أتنبه له.. كان شابًّا في الثلاثين من العمر تقريبًا، كان الملصق يدعي أنه أصغر مرشح وهو صوت الشباب في المجلس.. ابتسمت للحظة.. ثم عدت لطريقي نحو المنزل.. بحثت عن خضر حولي عدة مرات.. لم أجده.. أكملت الطريق نحو منزلي سيرًا.. وأنا مازلت أتذكر..

Twitter: @alqareah

أغسطس 2005

قضيت الأيام التالية أبحث عن محمد أبو بكر.. اشتريت الصحف كلها وتابعت أخباره.. لم يكن هناك ما يتحدث عن شخصه أو عن طريقة الوصول إليه.. حتى ذلك اليوم.. أول يوم لي في الشغل.

جلست خلف المكتب المصمم خصيصًا لاستيعابي واستيعاب التليفون وجهاز الحاسب الآلي.. إنه مكعبي.. أدركه لأول مرة.. اقترب مني مدير إدارة التكنولوجيا كي يشرح لي نظام العمل.. كان بشوشًا مرحبًا وأخبرني أن مدير شئون العاملين قد وصى علي تحديدًا لعلمه بكوني زملكاويًّا.. ظل يضحك ضحكة نسائية شككتني فيه طوال مدة عملي حتى الآن هناك بأنه شاذ جنسيًّا ولكنه كان لطيفًا.. يهمس لي بكلمات مثل.. حبوب وأمور ولكنه كان لطيفًا.. حتى تلك اللحظة لم أكن أدرك سبب قبولي العمل في تلك الوظيفة العجيبة.. حتى أشار لي مدير إدارة التكنولوجيا بالسبب.. إنه القدر..

مدير إدارة التكنولوجيا

بص بأه بيانات العملا كلها متسجلة عندنا على الداتا بيز..

كل الخطوط عندنا هنا إنت حتمضي على تعهد إنك مش حتتعرض لحد من العملا بمكالمات خارجية..

لم أهتم كثيرًا للتعهد ولكني سألته سؤالًا واضحًا:

أنا: يعني الداتا بيز ده زي دليل التليفون كده حضرتك؟؟

Twitter: @alqareah

نظر لي مبتسمًا.

مدير إدارة التكنولوجيا: بالظبط كده..

لم يستغرق الأمر وقتًا أن أجد النقيب محمد أبو بكر.. عشر دقائق تحديدًا..

ألو

سيادة النقيب محمد أبو بكر؟؟

أبو بكر:

أيوة.. مين معايا؟؟

مع حضرتك يافندم شركة تيلي سيل.. إحنا بنبلغ حضرتك إنك فزت معانا بعرض الشركة المقدم لعملائنا حديثي الزواج

أدوات مطبخ كاملة هدية من الشركة..

أبو بكر:

متشكر جدًّا .. أنا مش محتاج لحاجة زي كده..

متأكد؟؟

أبو بكر: نعم ؟؟؟

يافندم العرض مجاني.. مفيش أي رسوم أو ماديات..

حضرتك ممكن تتأكد..

لحظة صمت.

Twitter: @alqareah

أبو بكر: طب يا سيدي متشكرين..

تسمحلي حضرتك أتفضل بالعنوان اللي حبعت عليه الأدوات؟؟

أبو بكر: ستاشر شارع الحوفي العجوزة.. الدور السادس..

ميرسي ليك يافندم وآسف على الإزعاج.

تريك (ده صوت وضع السماعة)

قضيت ليالي طويلة أراقب السيد النقيب محمد أبو بكر.. لقد كان العنوان لمنزل والديه حيث يسكن معهم لم يكن قد تزوج بعد.. أرسلت بالفعل الأدوات المقدمة من الشركة بعد أن كنت اشتريتها من نقودي الخاصة وتحججت لمديرة إدارة المبيعات أنها لوالدتي كهدية في عيد ميلادها، وبالطبع تعاطفت معي وقامت بخصم سعر الأدوات من مرتبي الشهري، وكان الأمر كله قد كلفني مائة وخمسين جنيهًا على ثلاثة أشهر.. يعني اموتِ واحد وادفع عليه خمسين جنيه كل شهر؟ مش فارقة.. الأهم بالنسبة لي.. الأخ هشام..

كان النقيب محمد أبو بكر يستعد لإتمام زفافه على عروسه ابنة أحد رؤساء القطاع لأحد البنوك الكبرى في مصر.. الفرح سيقام بعد أسبوعين في أحد الفنادق المطلة على النيل..

نوفمبر 2005

الخطة لم تكن معقدة.. الزفة معدة كي تقام في التاسعة.. لقد استأجر النقيب محمد أبو بكر جناحًا في الفندق كي يحتفل مع أصدقائه قبل الفرح

Twitter: @alqareah

بليلة وحتى اليوم التالي.. في الصباح استيقظ النقيب محمد أبو بكر من النوم ثم توجه لحمام السباحة ثم إلى صالة الألعاب الرياضية ومن بعدها توجه للحلاق بالفندق، ثم عاد إلى جناحه كي يستعد في السابعة.. كل ذلك لا يعنيني.. إنما بعد الزفة هو الأهم ...

تأنقت بشدة ليلتها.. استأجرت إحدى البدل الخاصة بمثل تلك المناسبات وأخبرني صاحب المحل أن البدلة تسمى توكسيدو.. إشطة.. ارتديت البدلة بينما والدتي تسألني عن سر الوجاهة.. فأخبرتها أن لدي حفل زفاف صديق من الكلية ولكنه ميسور الحال فأردت أن أبدو متأنقًا في ذلك اليوم.. حاولت والدتي تبخيري أثناء خروجي من المنزل ودعت الجيران لمشاهدتي وقد وصفتني بأني أكيد العريس ومداري.

أثناء تجمع الأهالي بعد الزفة توجهت إلى الجناح، وتعللت بأني أحد أصدقاء العريس وقد نسيت أغراضي بالغرفة.. لماذا يصدقني الجميع؟؟

فتح الأمن لي باب الغرفة فعلًا وتأملت أرجاءها بعناية، ثم خرجت نحو الشرفة فبدت الغرفة المجاورة لها على مقربة وبإمكاني القفز بينهما بسهولة، كل ما يتطلبه مني الأمر.. بعض الجرأة والأدرينالين.. وأنا أملك من الاثنين الكثير الآن.. لقد صدق من قال إن من يقتل مرة من السهل عليه أن يقتل بعد ذلك ولو ألفًا.. أنا مش حقتل ألف.. فقط محمد أبو بكر وربما عروسه واللي ييجي في الرجلين بأه ..

قبل الخروج من شرفة الغرفة كنت قد وضعت الكبريت المقدم خصيصًا من الفندق ليحجب قفل باب الشرفة ثم أحكمت غلقها وتأملت الجناح بعناية

Twitter: @alqareah

في عجالة.. كان الجناح مقسمًا إلى قسمين.. صالة صغيرة بها تلفزيون ومائدة خشبية وعدة كراسي ثم مكتب صغير إلى جوار الأباجورة والثلاجة الموجودة إلى طرف الشرفة، ثم غرفة النوم.. سرير واحد كبير يتوسط الغرفة بينما دولاب خشبي بطرف الحائط الأيمن ومرآة تسريحة كبيرة بالطرف الأيسر من الغرفة في الناحية المقابلة من الدولاب.. كانت الغرفة مرتبة، بينما حقيبة النقيب محمد أبو بكر موجودة وحقيبة أخرى بها ملابس داخلية حريمي وملابس للنوم يبدو أنها لعروسه.. كان هناك حمام متصل بغرفة النوم ..أغراض النقيب محمد أبو بكر حول المرآة من أمواس حلاقة وفرشاة أسنان..

تناولت من جيب الجاكيت قفازًا مطاطيًا كنت قد اشتريته من أحد محلات بيع المستلزمات الطبية بالعباسية.. شرعت أتأمل الغرفة بعناية.. كان النقيب محمد أبو بكر يمني نفسه بليلة دخلة سعيدة.. وجدت مطهرًا للفم في حقيبته وسائل آخر لتسهيل الاختراق في الجنس ثم مطهر للمني.. لقد استعد جيدًا فعلًا.. بعض أقراص طبية ومحلول بنج موضعي للرش من الواضح أنه سيستخدم هذه المستحضرات لتأخير القذف.. توجهت ببصري مرة أخرى نحو الدولاب فتحته بينما أنا أبحث بين أرجائه وصدق حسي.. لقد احتفظ النقيب محمد أبو بكر بمسدس الخدمة بداخل الغرفة.. بدت لي الخطة واضحة أكثر الآن.. أغلقت الدولاب ثم توجهت إلى خارج الغرفة.. إن الجزء الأصعب على وشك البدء.. أحتاج الكثير من الثقة والأدرينالين.

أمام موظف الاستقبال وقفت أتساءل عن إمكانية حجز الجناح المجاور للنقيب محمد أبو بكر وعروسه.. كانت الحجة السهلة أني أحد الأصدقاء وأنوي مفاجأته في الصباح.. موظف الاستقبال كان متفهمًا وسعيدًا

Twitter: @alqareah

بالمساعدة.. طلب مني ملء استمارة البيانات.. كنت قد اتخذت قراري بالطبع أن أختار اسمًا مزيفًا ولكني للحظة ترددت في اختيار الاسم، كنت قد اخترت اسمًا من وحي خيالي.. شريف محمد نصر الدين.. ولكني للحظة بدلت رأيي وقررت أن يكون الانتقام واضحًا وصريحًا..

فين لو سمحت؟؟

أشار الرجل للخانات.. فشرعت أكتب الاسم.. هشام عبد الله سيف.. ثم وضعت عنوان مديرية أمن الجيزة ورقم الهاتف المخصص لنجدة الطريق الموجود على اللوحات أعلى المحور والطرق الصحراوية، ثم قدمت الاستمارة شاكرًا لموظف الاستقبال الذي بدوره طلب مني البطاقة الشخصية.. مثلت البحث أمامه لمدة ثوان، ثم مثلت الإدراك أنني لم أحضر حافظتي من السيارة أو ربما نسيتها في الجناح الخاص بمحمد أبو بكر.. تدارك الموظف الأمر مع بدء الزفة وأكد علي ضرورة إحضارها سريعًا كي أنهي الإجراءات.. شعرت بالقلق لفشل الخطة ولكني تذكرت ما حدث كي أصل لهذه النقطة تحديدًا وأدركت أن القدر هو ما يحركني وأنه أكيد هناك سبيل آخر.. شكرت الموظف وابتعدت عنه في خطى مسرعة في حالة تفقده الاسم أو البيانات سأكون مفضوحًا.. جدًا..

توجهت إلى قاعة الفرح بدافع الفضول.. أردت أن أتأمل ولو لمرة تلك الحفلات الأنيقة.. كانت العروسة جميلة.. سعيدة.. ترتدي فستانًا أبيض أنيقًا جدًّا ويبدو أنه أحد تلك الفساتين التي أسمع أنها تتكلف مبالغ طائلة بينما أصدقاؤها قد التفوا حولها، كان النقيب محمد أبو بكر واثقًا مبتسمًا..

Twitter: @alqareah

يمازح بعض أصدقائه.. فكرت للحظة فيما أنا على وشك أن أفعله.. سأقتل هؤلاء البشر سأنهي سعادة كل من حولهم.. تلك السيدة التي ترتدي فستانًا أسود وحجابًا أنيقًا وتزغرد في حماس ذكرتني بأمي لاشك أنها والدة النقيب محمد أبو بكر.. دفوف الزفة ثم ذلك الرجل في الخمسينات من العمر يصفق في سعادة، بينما عيناه تبكي فرحًا.. ذكرني بأبي.. لابد أنه والد العروسة.. هل يستحق الأخ هشام هذا الانتقام القاسي من كل هؤلاء البشر؟؟ عندما توجهت لقتل عباس كنت سأحرر ثريا وأمثالها منه إنما الآن.. سأحرر من؟؟ المساجين ؟؟؟ أم هل سيتوقف النظام في البلد للكشف على سلامة عقول كل ظباط الشرطة المتقدمين؟؟ سيظهر ألف محمد أبو بكر فيما بعد ولن يكون هناك ألف مني ليوقفهم.. راقصة بدينة تضع شمعدان على رأسها تتحرك بين دفوف موسيقى الزفة ..

هممت أن أبتعد وأنا أشعر بفشل خطتي لقتل النقيب محمد أبو بكر، أو ربما قررت أن أتراجع في سبيل سعادة كل هؤلاء.. لم أفكر في أعذار لنفسي ولم أكن سأمني نفسي بأن ما حدث للأخ هشام سيحدث مرة أخرى لغيره بل وأنه على الأغلب يحدث الآن في الكثير من السجون.. لم أشأ أن أفكر في الشباب المعتقل بين الجدران دون تهمة أو سبب محدد.. لم أشأ أن أتذكر الأهالي وهم يقفون في حر الجو وبرده من أجل لقاء أحبائهم دون جدوى.. فقط التزمت الصمت.. كدت أن أسير مبتعدًا حتى التفت فجأة النقيب محمد أبو بكر تجاهي.. كان يبتسم.. ابتسامة ثقة.. ذكرتني بالمقطع المصور، ذكرتني أننا نعشق الصمت.. نتلقى الضربات والركلات والإهانات في صمت.. يغرق أباؤنا وأبناؤنا وزوجاتنا في العبَّارات لتأكلهم الأسماك ويلتهمهم البرد

Twitter: @alqareah

والبحـر في صمت.. يضرب الأخ شـقيقه ويقتل الصديـق صديقه وقد يقتل الآبـاء والأبناء بعضهم البعـض من أجل المال في صمت.. يموت الآلاف في المستشفيات الحكومية.. يُشل الأطفال.. يزداد من هم مرضى مرضًا بأكياس الدم المغشوشـة.. يصـاب أطفالنا بالسرطـان، ثم نجمع المال من الشـعوب حولنا ومن جيوبنا كي نبني لهم مستشفى يعالجهم من مرض تسببنا نحن فيه لهم.. في صمت.. الراقصة ترقص والزفة تتحرك والقافلة تسير.. أقبض على يـدي في غضـب.. لن أكون الكلـب الذي يعوي الآن.. لـو ظهر من النقيب محمد أبو بكر الآلاف سـأقتلهم جميعًا.. لقد رأيت نظرات الشـباب تجاه الأخ هشام في المسجد كانوا يحبونه.. كانوا يعتبرونه بطلًا ... بطلًا لوجه الله..

كانت الزفة على وشك الوصول لقاعة الفندق.. كانت الناس تبتعد عني بخطواتها.. تلاحقت أنفاسي سريعًا محاولًا البحث عن حلول.. لم يكن رأسي يعمـل جيـدًا.. فكرت أن أسرق مسدسـه وأتوجه لقتله في قاعـة الفرح أمام الجميـع.. لم أكن عاقـلًا في تلك اللحظة ولكن يبقى السـؤال.. متى كنت أنا عاقلًا في حياتي أصلًا؟؟

يا أستاذ.. أستاذ !!!

التفـت منتبهًـا للصـوت فبدا أحـد العاملين بالاسـتقبال يقـف خلفي.. شـعرت للحظة أنه سـيطلب مني المثول أمام أمن الفنـدق ولكن ظني خاب فيه، بينما هو يمسك بمفتاح الجناح ليناولني إياه مبتسمًا.

حضرتك نسيت تاخد المفتاح.. إحنا حنسجل الغرفة باسم حضرة الظابط..

Twitter: @alqareah

إنـه القـدر.. أتنـاول المفتاح مـن يده.. أبتسـم.. أشـكره.. يبتعـد فأعود ببصري تجاه القاعة حيث اتجه النقيب محمد أبو بكر وعروسـه.. فأبادله الآن الابتسـام.. اضحك كما شـئت كما فعلت من قبل، بينـما أنت تعذب النفوس لتفيض روحها بين يديك.. إن الضحكة الأخيرة هي لي.. لي وحدي..

***

Twitter: @alqareah

14

مارس 2010

كانت الساعة الثالثة عندما وصلت فعلًا لشارع منزلي القديم بحدائق القبة.. كنت منهكًا.. متعبًا.. يكاد رأسي أن ينشطر من الصداع والتفكير في لقائي بخضر وذكريات النقيب محمد أبو بكر.. الشارع هادئ.. بعض الكلاب تنبح من بعيد.. صوت طفل رضيع يبكي.. أعمدة الإضاءة أحدها يئن من نقص الكهرباء فيرتعش ضوءه على الشارع.. أتجه إلى داخل المنزل وأصعد درجات السلم.. لقد كان يومًا طويلًا حقًّا ولكن ليلة زفاف النقيب محمد أبو بكر كانت أطول بلا شك..

أغسطس 2005

توجهت نحو المصعد مسرعًا وفي تلك اللحظة تعمدت ألا أرفع رأسي أبدًا حتى لا تلاحقني أيٌّ من كاميرات المراقبة إذا وجدت. فقط خيال يتحرك بين الأروقة.. وصلت إلى الدور السادس عشر مرة أخرى.. لم يكن هناك أمن أو حراسة بالدور أو على الأقل لم ألتق بأحدهم.. مشيت تجاه الجناح

Twitter: @alqareah

المحجوز إلى جوار جناح النقيب محمد أبو بكر.. تناولت المفتاح من جيبي وقمت بفتح الباب في هدوء متجهًا إلى داخل الجناح..

كان الجناح مطابقًا للآخر في كل شيء.. تعمدت أن أزيل بصمات يدي من على المفتاح..هذه المرة كنت قد تحولت إلى قاتل محترف.. تناولت من جيب الجاكيت قفازًا مطاطيًا آخر.. انتزعت ربطة عنقي وألقيتها من الشرفة ثم أزحت الستار الأبيض لأتأمل سواد الليل وأنوار تلك المدينة.. كانت نسمات الهواء خفيفة فتناولت أنفاسي محدقًا في الفراغ، ثم درت ببصري إلى يساري فكانت الشرفة الخاصة بجناح النقيب محمد أبو بكر وزوجته.. أحكمت غلق الجاكيت جيدًا فبدوت كأحد عملاء المخابرات الأجنبية.. لاح في عقلي بعض الصور الهزلية من الأفلام الأجنبية التي شاهدتها.. إن الواقع أشد قسوة بكثير.. إن القتل في الأفلام يشبع رغبة المشاهد كالمخدر أو المسكِّن، وإنما القتل في الحقيقة يشبع رغبة المنتقم تمامًا.. كعلاج لمرض خبيث لا علاج له سوى القتل..

أقف أعلى سور الشرفة وأتخذ قراري بالقفز إلى الشرفة المقابلة.. لو أن القدر كان حليفًا للنقيب وزوجته فسأسقط بين الشرفتين وأموت.. ولكن القدر في تلك الليلة كان حليفي أنا.. أقفز فأسقط بداخل شرفة جناح النقيب محمد أبو بكر.. لم يعد هناك مفر الآن.. لقد أوشكت على إتمام مهمتي..

أزحت باب الشرفة في هدوء ودخلت إلى جناح النقيب محمد أبو بكر مرة أخرى.. إن الجزء الأصعب من الخطة قد شارف على النهاية وتبقى أداة الجريمة.. لم يكن من السهل أن أدخل الفندق محملًا بالأسلحة أو المطاوي

Twitter: @alqareah

والسكاكين.. إن الأمن المفروض من قبل وزارتي السياحة والداخلية على أركان الفندق كله كان سيحول بيني وبين دخول الفندق من الأساس.. لو أني كنت أحمل جنسية أخرى غير المصرية حتى لو كوستاريكي كنت سأمر دون أعباء.. إن مصر هي الدولة الوحيدة في العالم التي تعامل سكانها الأصليين معاملة الدرجة الخامسة، بينما من يأتي من جنسيات أخرى حول العالم يأتي تباعًا في الترتيب وتصنيف المعاملة.. لقد صدق هتلر عندما صنف مصر والدول المجاورة كدول عالم متخلف.. نحن بأنفسنا أثبتنا لهتلر تلك المعلومة.. رحم الله هتلر.. كان قاتلًا عالميًا..

كان لا بد من التفكير في سلاح بديل من عناصر الفندق نفسه.. لم يكن الأمر صعبًا ولكن تنفيذه كان يحتاج لبعض الوقت.. تأملت ساعة يدي فكانت الثانية عشرة من منتصف الليل.. على حد تقديري أمامي ليس أكثر من ساعة ونصف لإنهاء ترتيباتي وأبقى قابعًا في دولاب الملابس في انتظار اللحظة المناسبة.. توجهت نحو ستائر الشرفة وانتزعت حبال المزلاج المخصص لفتح الستائر وغلقها.. لم تكن الستائر لتتأثر من ذلك إلا إذا احتاج أحد تحريكها وفي حالة النقيب محمد أبو بكر وشغفه لإجراء الفحص الطبي الشامل على زوجته لم أكن أتخيل أنه سيبالي بستائر صالة جناحه في تلك الليلة.

تناولت الحبال وتوجهت إلى غرفة النوم.. بالطبع إن أول ما جاء في رأسي هو مسدس الخدمة ولكنه كان اختيارًا خطيرًا.. فهو سيصدر صوتًا عاليًا كما أنه حل بسيط ومتواضع لما أنوي أن أفعله في النقيب محمد أبو بكر.. لم أستبعد الأداة ولكني فضلت أن استخدمها في شيء آخر.. عدت ببصري نحو المرآة الموجودة بغرفة النوم.. تأملت انعكاسي فيها وللحظة لم أدرك من أكون..

Twitter: @alqareah

كنت قد تبدلت ملامحي.. صرت أكثر قسوة وقوة.. كان الانتقام يحركني.. اقتربت أكثر من المرآة.. الغضب يسيطر علي.. ضربت المرآة مستخدمًا فرشاة خشبية على التسريحة فتهشمت المرآة.

مارس 2010

أذان الفجر.. كان المنزل نائمًا في هدوء.. غطيط والدي المتقطع، بينما أنا أقف في حمام المنزل أتأمل انعكاسي في المرآة.. حمام المنزل صغيرًا يكاد يكفيك وحدك بداخله.. شرعت أتوضأ، بينما أتذكر ليلة انتقامي من النقيب محمد أبو بكر.. المياه تتساقط عن وجهي ثم مرفقي وقدمي.. إن السنة تفيد بأن نقاط المياه المتساقطة عن أجسادنا أثناء الوضوء هي غسيل للمعاصي والذنوب.. لقد تساقطت المياه عن جسدي كثيرًا أثناء الوضوء وستظل المياه تسقط عن جسدي.. إن ما فعلته ليلتها بالنقيب وزوجته لم يكن ليقدر على القيام بفعله أعتى المجرمين وأكثرهم خللًا بالعقل.. هل أنا عاقل فعلًا؟؟ إن ما حدث مع خضر اليوم يؤكد أنني في الأغلب لست عاقلًا بالمرة.. تأملت وجهي في المرآة مرة أخرى.. ثم عادت لي الذكريات..

Twitter: @alqareah

15

أغسطس 2005

كانت الساعة الثانية صباحًا.. كنت قد اختبأت بداخل دولاب غرفة النوم.. تناولت المسدس من مخبئه وأحكمت القبض عليه.. في حالة الخطر أو انكشافي سأطلق الرصاص على النقيب وأفر.. أو ربما لن أفر سأتركهم يقبضون علي.. إن حياتي لن تعني الكثير.. ولكن إحساسي الداخلي كان قويًا.. سأنجو بفعلتي.. سأنجح في الفتك بالنقيب.. لم أكن قد اتخذت قرارًا بعد في قتل زوجته أم لا.. ولكني على الأقل أدركت الآن أني سأقتله بكل حال من الأحوال..

أصوات خارج الغرفة.. ضحكات.. شباب وفتيات.. الباب يفتح.. دقات قلبي تتسارع.. لقد حانت ساعة الحسم مرة أخرى.. تناولت غطاء رأس من جيب البنطلون.. غطيت وجهي ورأسي تمامًا.. شرعت أذكر نفسي أن ما أفعله هو الصواب.. أنا أقتل مجرمًا يستحق القتل آلاف المرات.. ذكرت نفسي ببكاء الأهالي وعويل والدة الأخ هشام ومثلها من الأمهات اللاتي فقدن أبناءهن على أيدي أمثال النقيب محمد أبو بكر..

Twitter: @alqareah

تصبحوا على خير..

يغلق باب الغرفة بينما يخرج الأصدقاء مودعين العروسين.. الصمت.. ضحكات بين النقيب وزوجته.. حوارا لم أكد أسمعه يأتي من خارج الغرفة بالصالة.. باب غرفة النوم يفتح.. النور يضاء.. عروسه تدخل الغرفة بينما هو يلحقها.. أنفاسي تتلاحق.. المسدس في يدي.. أخشى أن أطلق الرصاص على نفسي من التوتر..

يحاول النقيب محمد أبو بكر أن يقبل زوجته فتتجاوب معه في قبلة طويلة تسقط إثرها على السرير وهو من فوقها.. يمرر يده على جسدها فتئن هي في شهوة... فستان العروسة الضخم يحول دونها ودون النقيب إلا أنه قد نجح على الأقل في الفتك بصدرها.. تضحك هي في خجل بينما تتدحرج من أسفله فيبقي هو وجهه على السرير ليضحك هو الآخر.. تطلب هي منه الخروج من الغرفة والسماح لها بتبديل ملابسها.. يحاول أن يعترض فتدفعه مازحة إلى خارج الغرفة.

يلا بأه يا أخي بلاش غلاسة..

يخرج النقيب محمد أبو بكر فتغلق عروسه باب الغرفة ثم تغلق القفل مازحة..

و اهه كمان..

تضحك هي في سعادة بينما تشرع في خلع فستان الفرح عن جسدها.. كنت أتابعها بخليط من الشفقة والغضب.. شفقة تجاه ما سيحدث لها وغضب تجاه النقيب محمد أبو بكر.. لقد اغتصب صديقي وصوره، والآن

Twitter: @alqareah

يبحث عن السعادة مع زوجته في تلك الحياة.. عفوًا أيها النقيب محمد أبو بكر.. لن تحظى بسعادتك في تلك الحياة.. بدءًا من هذه الليلة..

كانت العروسة قد تناولت من حقيبتها ملابس داخلية فضفاضة هي حريرية في الأغلب وقامت بوضعها على السرير.. الفستان يتجرد من جسدها.. كانت نحيفة ذات جسد ممشوق.. لم تكن ترتدي حمالة للصدر بينما ملابسها الداخلية كانت صغيرة الحجم.. مجرد خيط رفيع يمر بين مؤخرتها الممشوقة.. وضعت شعرها الأسود خلف رأسها بينما مرت يديها على جسدها كله في تأهب ثم التفتت نحو المرآة.. لدهشتها.. لم تكن هناك مرآة..

وقفت للحظة في تعجب بينما وجهها نحو التسريحة وأنا أتابعها من الخلف ثم التفتت فجأة تجاه الدولاب واقتربت مسرعة مني لابد وأن المرآة بداخل الدولاب.. ستفتحه.. يدها تمتد.. تفتح الدولاب.. ثم تزيح الملابس.. لتكبس يدي في قوة على فمها بينما عيناها تجحظ من المفاجأة فتحاول أن تصرخ ولكن يدي كانت قوية بينما أنا أضع المسدس في رأسها..

ششششششششششششش

لم أكن خارج غرفة النوم كي أتابع النقيب محمد أبو بكر بكل تأكيد ولكن من الأصوات التي سمعتها خارج غرفة النوم وما رأيته من النقيب لاحقًا توقعت الآتي.

لقد خلع النقيب محمد أبو بكر بدلته تقريبًا بينما ظل يتابع التلفزيون ثم توجه بصره نحو الثلاجة ليفتحها متناولًا صفيحة مياه غازية.. أغلب الظن كانت بيرة.. لم يفاجئه اختفاء زجاجة مياه معدنية كبيرة من الثلاجة وأشك أنه أصلًا

Twitter: @alqareah

قد اهتم لذلك ولكن عندما مرت الدقائق الطويلة بدأ يدرك أن هناك خطب ما بغرفة النوم.. توجه بخطوات بطيئة نحو الباب ثم طرقه ثلاث طرقات..

سارة..

لم تأت إجابة بكل تأكيد من داخل غرفة النوم لسبب سيعرفه النقيب خلال دقائق.. طرق عدة مرات أخرى دون جدوى ثم قرر أن يفتح الباب ليجد القفل مغلقًا.. عنف القفل بشدة وظل ينادي على زوجته ثم دفع الباب بقوة ليفتحه.. لن ينسى ما رآه ليلتها أبدا..

كانت زوجته عارية تماما وكنت قد لففتها بحبال الشرفة كلها وصارت مقيدة بكرسي التسريحة الصغير بوسط الغرفة بينما حشوت فمها كاملًا بغطاء إحدى الوسائد.. كانت يديها حول جسدها تكاد أن تغطي صدرها الصغير، بينما قدماها قد ربطتهما بقدمي الكرسي فصارت محارمها في متناول يدي.. مسدس النقيب محمد أبو بكر في رأسها بينما هو يقف على الباب غير مصدق.. صرخ بشدة في.. سبني كل السباب المتعارف عليه في مصر وسباب آخر لاشك أنه من اختراعه.. إبتسمت خلف القناع ثم همست..

لو مسكتش حخلص عليها وعليك.. قرب..

بدأ يهدأ تدريجيًا، بينما هو يخطو إلى داخل الغرفة.

بس..

توقف في مكانه ثم بدأ يسأل عن مطالبي.. كان ساذجًا جدًّا .. تصور أني هناك كي أسرقه أو أني أحد المختلين في الفنادق أريد مشاركته زوجته ولم يأتِ في ذهنه ولو للحظة أنني قد جئت لأنتقم منه..

Twitter: @alqareah

أنا

أنا جيت عشان أساعدك

ينظر لي بدهشة وقلق

محمد أبو بكر

تساعدني في إيه؟؟

مازلـت أنظـر تجاهه مصوبًا مسدسـه أيضًا تجاهه في حزم ثـم أدس غطاء الوسـادة في فم زوجته مكممًا إياها وأنزل على ركبتي متحسسًـا ساقي زوجته وأردافهـا المرتعشـة وقـد بدا عـلى وجهه القلـق.. يدي تكاد تصـل إلى محارم زوجته.. هو يصرخ أفتحها لك ؟؟؟

الـصراخ المكتوم من فم زوجته وقد بدا هو يصرخ متوسـلاً في رجاء بينما أنظر إلى عينيه وهي تصرخ في فزع

بتعيط؟؟ بتحس؟؟ غريبة يعني !!! أمال محستش ليه

بالناس اللي عذبتهم في السجن وقطعتهم واغتصبتهم..

محستش ليه ؟؟؟ انطق ...

ينظر تجاهي باكيًا، بينما هو يجيبني بأنه لم يعذب سوى المجرمين والخارجين عـن القانون.. طلب مني الرحمة تجاه زوجتـه وتوعدني أنني لن أنجو بفعلتي أبـدًا.. كان قد بدأ يتوعدني أن الأمـن كله في مصـر سـيلاحقني وأني ميت لا محالة فلم أتردد أن أجيبه..

أنا ميت من زمان..

Twitter: @alqareah

ساد الصمت للحظة ثم أخبرته أن زوجته على وشك الموت وأنه الوحيد القادر على إنقاذ حياتها فمسدسه سيطول رأسها لا محالة.. من خلفه زجاجة مياه معدنية.. كل ما عليه هو أن يشربها كلها.. نظر إلي باكيًا مستسلمًا.. كاد يرجوني أن أتركه وأن تموت زوجته.. فهمست له .

خايف تقابله؟؟

كنت محقًّا في كل شيء.. لقد كان النقيب محمد أبو بكر واعيًا ومدركًا لكمٍّ الجرائم التي ارتكبها في السجون.. كان مدركًا أن عذابي له الآن أخف وطئًا وقِيلا، ولكنه توجه ببصره تجاه زوجته المقيدة التي تعاني بينها تفارق حياتها، فتوجه نحو الزجاجة وتناولها كلها.. لم يدرك أن المرآة بزجاجها المكسور والمهشم بينها.. الزجاج المهشم والمكسور الذي أدرك انعكاسي فيه أخيرًا.. الذي سيخترق صدره ثم أمعاءه ثم كليتيه فمثانته.. سيمزقه.. لحظات ثم انساب الدم من فمه ثم سقط على الأرض يتلوى.. الدماء تنفذ منه.. حتى سكت ومات.. فارق الحياة.. تلك الحياة..

وضعت مسدسه جانبًا في صمت، ثم تأملت وجه زوجته كانت قد فارقت الوعي من الصدمة ولكنها ماتزال حية ستعاني صدمة عصبية طوال عمرها ولكنها ستعيش.. مسرعًا خرجت من باب غرفة النوم اتجهت نحو الشرفة وقفزت إلى جناحي المجاور لجناح النقيب محمد أبو بكر.. انتزعت غطاء رأسي ثم وقفت للحظة أحاول إدراك ما حدث.. مرآة الصالة بداخل الجناح حملت انعكاس وجهي مرة أخرى.. كنت أكثر راحة.. خرجت مسرعًا من الغرفة.. لم أنس أن أحافظ على رأسي وبصري تجاه الأرض.. لم

Twitter: @alqareah

يكن هناك أفراد أمن.. توقفت أمام المصعد في انتظاره.. خيالات كثيرة مرت في رأسي.. انتزعت قفازي المطاطي ووضعته في جيبي مع غطاء الرأس.. وصل المصعد..

كان هناك تجمع من أصدقاء النقيب محمد أبو بكر وزوجته بالاستقبال مما ساعد على سهولة عودتي لمكتب الاستقبال وإعادة المفتاح بحجة أن الحفل الصباحي قد ألغي.. تفهم الموظف مبتسمًا.. ابتعدت.. إلى خارج الفندق.... ابتعدت..

مارس 2010

انتهيت من صلاة الفجر.. رقدت على سريري محاولًا النوم.. لم أنس أن أتأمل هاتفي باحثًا عن مكالمة خضر ولكن لم يكن هناك اتصال منه.. أو من غيره.. توجهت ببصري نحو سقف الغرفة.. لقد قتلت ثلاث مرات.. الأولى باسم الحب.. الثانية باسم الناس والضمير.. والثالثة كانت باسم الصداقة.. مات كل من أحببت وكل من صادقت.. لماذا أتوقع اتصالًا هاتفيًا الآن؟؟ مِمَّن؟؟ لم يبق لي سوى خضر.. أيا كان من هو خضر؟؟

توجهت ببصري نحو باب الغرفة وتذكرت.. لقد عدت في تلك الليلة منهارًا.. أغلقت باب غرفتي وخلعت تلك البدلة المسماة توكسيدو.. جلست بملابسي الداخلية قابعًا في سريري أبكي.. حتى غفوت، ثم رأيت الأخ هشام في منامي.. كان يقف مرتديًا جلبابًا أبيض بينما أنا كنت قابعًا عاريًا بنفس الغرفة التي رأيته فيها.. اقترب مني مبتسمًا ثم وضع يده على رأسي قائلًا..

Twitter: @alqareah

اللي حصل وحيحصل مش في إيدينا نغيره..

كانت الجرائد في الأيام التالية لا حديث لها سوى ما حدث في الفندق.. لم تستطع المباحث تبين أي شيء سوى أن أحد أعضاء تنظيم ما قد أقدم على فعل هذه الجريمة المجنونة وأنها قد تمت بدافع الانتقام واستندت لذلك بتوقيعي بمكتب الاستقبال باسم هشام عبد الله سيف..

مرت أيام علي وأنا في انتظار المباحث أن تطرق بابي لكي تقبض علي ولكن ذلك لم يحدث.. تم التحقيق مع عدد من طلاب دروس الأخ هشام بالكلية ولكن أحدًا لم يسأل عني.. لم أفكر في الهروب ولم أفكر بتسليم نفسي أمام بكاء والدة النقيب في التلفزيون وعلى صفحات الجرائد وبكاء أهل زوجته الراقدة بالعناية المركزة.. كنت أدعو لها بالشفاء في صلواتي.. حتى غابت عن عقلي صورة النقيب وزوجته تمامًا مع الأيام.. حتى ذلك اليوم الذي جلس فيه والدي لمتابعة مباراة نادي الزمالك مع المقاولون العرب في بداية الدوري وكان يقرأ الجريدة من قبلها بحثًا عن التشكيل الذي سيلعب به الزمالك المباراة.. تحركت الصفحات بين يديه حتى توقف أمام صفحة الحوادث فوجد خبرًا عن أحد الظباط كان قد تحرش بفتاة في عرض الشارع.. فبدا عليه الأسف من العالم الذي نعيش فيه وتمنى لو لقي ذلك الظابط نفس مصير النقيب محمد أبو بكر ثم أغلق الجريدة وتناول جهاز التحكم الآلي الخاص بالتلفزيون ليرفع حدة صوت معلق المباراة فهمست لنفسي.. صدقت يا والدي..

لقد أصبح العالم مكانًا قبيحًا للعيش فيه..

Twitter: @alqareah

أنا وأنتِ سنتحد ضد العالم

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

1

قبـل كل شيء كانت هناك الموسـيقى.. قبـل أن يخلق آدم وتخلق حواء من ضلعـه لسـكينته وصحبته فيعمرا الأرض معًـا بأبنائهم، ويسـود القتال هذا العالم وتسـود الدماء، وتنشـأ الحروب من أجل إقامة مؤتمرات سـلام ودعاة مـن الكاذبين للحرية الكاذبـة وشركات ضخمة في صورة مؤسسـات تبتلع أحـلام وطموح شركات شـابة وصانعـي دواء مبتكري فيروسـات تحقن في طيور وخنازير الدول الفقيرة ثم تقوم ببيع الدواء في الأسواق متاجرة بأرواح أبناء آدم وحواء.. قبل كل هذا كانت الموسـيقى.. كانت الرياح بين الأشجار تعزف لأصوات الطبيعة من أمطار وحيوانات وطيور.. كان الكون جميلًا..

شـواطئ واسـعة لم يمسسها بشر، وبحار لا تخشاها شـمس النهار فتقبلها فجـرًا في سـعادة وتغـرب عنها بعين حمـراء حزينة لمغـادرة هذا العـالم الجميل وتوصي أقمار ونجوم السماء كي تحتضن الأرض بحب وعطف.. الأرض التي لم يطأهـا إنسـان بعد.. لم يخلق بعد من يدنسـها من يستنشـق مـن هواها بدون حسـاب.. للأسـف لم يهلك الأرض سوى الإنسـان ولم يعمرها سواه أيضًا..

تلك الحقيقة المؤسفة من ضلعين.. آدم وحواء.. رجل وامرأة.. أنا وأنتي..

Twitter: @alqareah

منذ قيامي بقتل النقيب محمد أبو بكر وقد صار نومي متقطعًا.. لم يكن ذلك بسبب الندم أو القلق مما حدث وإنما قلق مما سيحدث بعد.. من سأقتل ياترى؟؟ أو هل انطوت صفحات الوفيات على يدي في حياتي عند ذلك الحد؟؟ كنت أتمنى..

مارس 2010

استيقظت في الثامنة صباحًا كعادتي يوميًا تأهبًا للذهاب للمكعب.. بعد مرور عدة سنوات من عملي هناك وترقيتي عدة مرات وثبات مستواي بين زملائي في مكعباتهم لم أعد بحاجة إلى ارتداء قميص وكرافتة يوميًا.. يكفي فقط أن أبدو على الأقل مرة أو مرتين في الأسبوع في مظهر مناسب كي أترك انطباعًا جيدًا عن نفسي، وهذا الصباح كان أحدهما.. كنت مبتسمًا وفرحًا دون سبب.. ربما هي الذكريات التي استرجعتها مع خضر بالليلة الماضية..

إن الإفطار هو إحدى الوجبات الرئيسية لنا كأسرة في هذا المنزل.. تجمعنا أربعتنا خلف مائدة الطعام.. كان والدي يطالع جرائد اليوم التي أتيت بها مساءً كعادته على المائدة الصباحية مع جرائد اليوم التي يتناولها صباحًا من السبت المعلق من الشرفة الصغيرة بغرفة نومه.. الجرائد كلها تتحدث في صفحاتها الأولى عن الانتخابات المرتقبة لمجلس الشعب.. لم يبالِ والدي لأمر الانتخابات كثيرًا فهو يعلم مصيرها.. لا شيء.. صب والدي سخطه على تشكيل نادي الزمالك الذي لاقى به بترول أسيوط في الليلة الماضية وقد أكد خبراء نقاد الرياضة كلامه على صفحات الجرائد.. ظل والدي يدعو على

Twitter: @alqareah

لاعبي النادي الأهلي متمنيًا سقوط طائرتهم بينما هم في طريقهم إلى زامبيا لملاقاة أحد الأندية هناك في البطولة الإفريقية.. تتدخل والدتي كالعادة، بينما أنا أقسم رغيف العيش البلدي الساخن كي أحشي نصفه فولًا، ألا يدعي والدي على الآخرين خصوصًا أنهم من أبناء الوطن ويحملون اسم مصر وأهاليهم عاليًا في تلك المباراة فينشق والدي عن الوطن فجأة ويعلن أن الأهلي مؤسسة حكومية الغرض منها تنويم الشعب مغناطيسيًّا بالالتفاف حوله، وأن التمويل الذي لا ينقطع عنه يمكنه من شراء أي لاعب يريده والفوز بكل المسابقات المحلية والإفريقية والسفر للنزهة كل عام في كأس العالم للأندية والعودة ذليلًا منها كالعادة.. أبتسم لنظريات أبي بينما أتأمل شمس النهار من خارج شيش غرفة شقيقتي التي تجلس على المائدة في صمت كعادتها فأشق أحد الأرغفة إلى نصفين وأحشو لها نصفه فولًا مع بعض الخيار لأناوله لها بينما هي تحلم بموادها الصعب علي فهمها فتبتسم لي شاكرة.. إن تلك اللحظة لم أنعم بها منذ زمن بعيد بالرغم من تكرار عادة الإفطار شبه اليوميِّ؛ فإن الراحة النفسية والشعور الأسري والدفء الموجود هذا الصباح مع أشعة الشمس التي تملأ جنبات المنزل تعطيني شعورًا بأن اليوم سيحمل حدثًا جميلًا.. لا أظن بعد ما رأيته في حياتي.. أن هناك أسوأ.. ولكن الأيام إن كانت قد علمتني شيئًا هو ألا أحد يعلم ما في غيابات الجب مخبأ له..

كدت أنهض عن المائدة حينما التفت تجاه والدي كي أقبل يده في رضا ودعوة مني لكي أهدئه من ثورته وخلافه مع أمي النابع من الملل الزوجي والبحث عن مشكلة من لا مشكلة بعد ثلاثين عامًا من الزواج فالتفت تجاه الصفحة الأولى من جريدة الصباح الباكر..

Twitter: @alqareah

حادث مروع بسبب السرعة أعلى كوبري 6 أكتوبر

لم ألاحظ دهشة والدي أثناء تناولي الجريدة من يده دون استئذان ولم أعِ للصمت الذي ساد فجأة على المائدة بينما توجه بصر كل من بالمائدة تجاهي وأنا أبحث بين الصفحات عن الحادث حتى بدا أمامي مصورًا في صفحة الحوادث.. تسارعت دقات قلبي بينما أنا أقرأ الحادث في عناية.. كان الحادث قد وقع كما وصفه خضر تمامًا.. سيارة الشباب قد انحرفت لتصطدم بالجزيرة الوسطى للكوبري بسبب القيادة المتهورة لتتسبب في حادثة من الناحية الأخرى بالكوبري ثم انضمت للحادث سيارة جيب بيضاء قد كان قائدها سارحًا فتوقف بالسيارة فجأة لتصطدم السيارات من خلفه تباعًا فيه ..كان الحادث قد وقع في الواحدة صباحًا تقريبًا.. الصور المنشورة كانت فعلًا لسيارة الشباب.. السيارة مهشمة تمامًا وسط عدة سيارات أخرى وعدة سيارات إسعاف حولها.. السيارة الجيب البيضاء مقدمتها محطمة بينما قائدها كما رأيته مع خضر يبدو ممسكًا بوجهه في صدمة بينما رجال الأمن من حوله ثم تلك الصورة الأخيرة لفتاة غارقة في دمائها ويبدو أنها قد فارقت الحياة.. إنها نفس الفتاة التي كانت تجلس بالمقعد الخلفي في سيارة الشباب.. رفعت بصري تجاه شقيقتي وكأني أطمئن لوجودها في عفوية ثم أطوي الجريدة في دهشة وحزن..

والدي

فيه حاجة يابني ؟؟؟

أنا

Twitter: @alqareah

لا أبدًا يا بابا.. بس أصلي كنت على الكوبري إمبارح بالليل وكان الكوبري واقف ونزلت منه قبل ما اعرف ليه..

ودلوقتي عرفت..

أضع الجريدة على المائدة بينما صور الحادث وأخباره تتوسط الصفحة فينكب والدي مع والدتي وشقيقتي بعيون الفضول لتأمل الصفحات فيتملكهم الضيق للحظة.

والدي

لا حول ولا قوة إلا بالله !!

أنهض عن المائدة حاملًا طبقي نحو المطبخ بينما تلعق شفتي ولساني بواقي الفول بين أسناني وأترك المائدة في حالة ضيق بينما والدتي تدعو على السرعة وقائدي السيارات وصانعيها وتطلب من شقيقتي لم المفرش ووضع الأطباق في الحوض ثم تدعو أن يستر الله طريقها وطريقي ويحمي كل من هو في طريقه عائدًا لأهله ويحرس لاعبي النادي الأهلي في طريقهم لزامبيا وتحيي جارتها جورجيت من نافذة منور السلم في طريقها للمطبخ.. كل ذلك في أقل من دقيقة واحدة.. كم أحب أمي!!

كان يومًا هادئًا في المكعب.. رغم كوننا في منتصف شهر مارس إلا أن الجو كان حارًّا بشدة مما دعا بعض أصحاب الخلق الضيق طلب فتح أجهزة التكييف بشكل مستمر ومما استدعى ذلك قرارًا عامًّا من كل من بالمكان حتى لا يعترض البعض على الإصابة بالمرض مما يتعارض مع سياسة

Twitter: @alqareah

المكعب.. كانت المناظرة سائدة بين خمسة وثلاثين من موظفي الشركة بينما أنا كنت قد أدليت بصوتي منذ البداية كي أتجنب هذا الالتحام وأوضحت أنني لن أكون متضررًا من فتح أو غلق أجهزة التكييف.. كانت أصواتهم عالية بينما أنا قد انسدلت في كرسي المكتب مفكرًا فيما حدث من خضر تجاهي ولقائي به.. كنت قد بدأت أدرك أنه حقيقة لا محال ولكنه يملك قوى خفية لا أفهمها.. لاشك أنه أحد الجن أو العفاريت أو ربما هو قريني.. فركت عيني براحة يدي وقررت أن أخرج كل الأفكار من رأسي في تلك اللحظة.. لو كان خضر يقصدني بشرٍّ أو كان من المباحث لكنت الآن في السجون ولو كان كائنًا فضائيًا، فهذا سبب يدعوني للسعادة أن أهل المجرات الأخرى قد اهتموا بدراستي شخصيًا من بين أهل الأرض وإن كان قرينًا أو جنيًا أو عفريتًا حقًّا لابد وأنه قد أدرك الآن أني على مقدرة على القتل وسفك الدماء وقد يرهبه ذلك مني بعض الشيء توجهت ببصري نحو شاشة الحاسب الآلي متأملًا عرض اليوم للمتصل صاحب الحظ والرقم السعيد.. كان العرض مغريًا هذا اليوم، مدام ليلى نصير تقدم هدية من محلاتها لمشغولات الفضة، تأملت الكتالوج الخاص بأعمالها الأنيقة القيمة لاشك أن الفائز اليوم سيكون سعيدًا للغاية.

عليَّ اختيار رقم عشوائي من بين الأرقام المسجلة أمامي كي يفوز صاحب هذا الرقم بالهدية، كنت معجبًا بصور أعمالها وتمنيت لو كنت أستطيع سرقة الهدية من أجل والدتي أو شقيقتي، مع الأسف رغم كوني قاتلًا محترفًا كنت لصًّا فاشلًا، تكاسلت ومددت يدي تجاه الهاتف ثم انحنيت بجسدي وملت تجاه الشاشة مفكرًا في رقم مسجل ثم تراجعت عن قراري ذلك وفكرت أن

Twitter: @alqareah

أقوم بانتقاء اسم بنفسي دون الحاجة للعشوائية والفردية في الأداء.. كان الأمر في البداية مفاضلة بين الرجال والنساء.. كان فائز الأمس رجلًا ولذلك فضلت أن أكـون محايـدًا فأختار من بين قـوم حواء هذا اليوم، كما أن الجائزة تستحق امرأة ... تأملت الأسـماء من أمامـي طويلًا.. أقوم بعدة اتصالات ومحاولات بيع ثم أعود مرة أخرى للأسـماء.. إيمان.. إيناس.. باكينام.. تماضر.. دوللي.. داليا.. ثم قررت الاتجاه للعشـوائية دون الحاجة لترتيب الأحرف.. شـيراز.. نورما.. كاترينا.. يولاندا حسن زكي؟؟ الأسماء دي في مصر !!!!

نسرين محمود سـلام.. بدا لي الاسـم عاديًّا ولطيفًا حامـلًا وقع وأثر فتاة طالبة في السنوات الأخيرة من الجامعة ولن أخفي أني تصورتها فتاة أحلامي ودار سـيناريو في رأسي حـول اتصـالي بهـا ثم قبولهـا عـرضي شرط أن أقوم بتوصيله لها بنفسي.. صوتي يأسرها على حد قولها فأتوجه للقائها في فيلتها في جاردن سيتي حيث تقطن وحدها.. جميلة هي ووحيدة ثم سياراتها العشر في الجراج إلى جوار دراجتها البخارية.. كانت تبتسم ولكن كيف ستكون ملامح تلـك الفتاة؟؟ لا أعلم لماذا تذكرت فتاة التيدا السـوداء.. كانت هي الأقرب لخيالي في تلك اللحظة.. جرس الهاتف يرن.. أين أنتِ يا نسرين؟؟ إن الساعة الثالثـة عـصرًا ... هي في الأغلب بطريقهـا من الجامعة للمنـزل.. أتذكرفتاة التيدا بوجهها الجميل برسمة شفتيها الورديتين بينما نظارتها الشمسية تحجب نصف وجهها وأنفها الصغير يحمي النظارة من السقوط بينما شعرها الفاحم الأسـود ينسـدل كشـلال متجانس حول رقبتهـا الطويلة التي تحمل رأسـها الصغير كي يكسوه الشعر ويغطيه حتى كتفها.. الهاتف يرن.. إنتي فين بأه يا نسرين؟؟ أكاد أن أضع سـماعة الهاتـف متأففًا من نسرين.. حتى يأتي صوت

Twitter: @alqareah

ناعم من الناحية الأخرى كانت الشركة قد اختارت لنا أرقامًا سهلة وملفتة كي يشعر العميل مع أول اتصال أن المكالمة هامة..

آلو..

كان صوتها قلقا مترقبًا.

مساء الخير يافندم.. آنسة نسرين؟؟

نسرين

مين معايا؟؟

مع حضرتك يافندم شركة تيلي سيل.. إحنا كل يوم بنعمل

اتصال عشوائي ومن غير سحب ولا مسابقة.. صاحب المكالمة

بيكسب هدية اليوم من الشركة.. وحضرتك صاحبة المكالمة دي النهاردة.. حضرتك كسبتي معانا

هدية من محلات ليلى نصير للفضة

لحظة صمت بينها وجهي يملؤه الترقب أحاول تبين مكان نسرين أو من قد يكون حولها.. كان الهدوء يسود المكالمة مما يدل أنها قد تكون بسيارتها أو في غرفة نومها أو ... صوتها يقاطعني..

نسرين:

مش فاهمة معلش.. يعني أنا كسبت الهدية بتاعتكوا من غير ما تعرفوني ولا أعرفكوا.. just كده بتتصلوا برقم وصاحبه بيكسب؟!!

Twitter: @alqareah

نطقها في الإنجليزية يدل أنها فتاة راقية.. جاردن سيتي يارب.. نمشيها الزمالك حتى..

أيوة يافندم..

تضحك نسرين في دهشة.

نسرين:

طب والله إنتوا طيبين أوي.. هدية مرة واحدة من عند ليلى نصير

كانت صاحبة ثقة وقوة فقررت أن أظهر لها قدراتي في النطق السليم.

حضرتك الأوفر ممكن تستلميه من فرع المحل في محيي الدين أبو العز لو الجيزة أقرب لحضرتك.. لو كنتي من سكان مصر الجديدة يبأه فرع تريومف.. إحنا حنبلغهم ببيانات حضرتك وتقدري تستلمي الأوفر من بكره إن شاء الله

ولحد يومين بس بعديها العرض بينتهي .

لحظة صمت بينما تفكر نسرين ثم صوت آلات تنبيه.. إنها في السيارة فعلًا.

نسرين

طب وسكان جاردن سيتي

دول عندكوا يتحسبوا من أنه منطقة بالظبط ؟؟

لابد وأن أعتاد على كل تلك الصدمات والمفاجآت في حياتي.. أتمالك نفسي كي لا تلاحظ هي بينما شفتاي تكادان أن تتلعثما وتسبًا من الصدمة على الهاتف..

Twitter: @alqareah

بيتهيألي في حالة زي دي يبأه الفرعين.. أي واحد فيهم يافندم أنا حبلغ في الإتنين..

نسرين

متشكرة أوي..

كان علي أن أنهي المكالمة الآن ولكن لسبب ما تجرأت في السؤال.

معلش يافندم ممكن أسأل حضرتك نوع عربيتك إيه؟؟

نسرين

ودي حتفرق معاكوا في إيه ولا مع مدام ليلى نصير؟؟

لأ أبدًا بس عشان أبلغهم بالبيانات كاملة..

حجة مقنعة وليدة اللحظة.

أوكي.. عربيتي نيسان تيدا.. سودا..

تأملت ساعة الهاتف للحظة في يدي ثم عدت ببصري نحو الشاشة ثم نهضت عن كرسي لأتأمل المكتب.. أنا بلا شك واع ومستيقظ.. تأملت الساعة في يدي كي أتأكد أنها ليست حالة من حالات ليلة الأمس الزمنية العجيبة ليبدو الزمن يتحرك بطبيعية.. الساعة الثالثة وعشر دقائق.. صوت نسرين..

نسرين

آلو.. آلو..

أتنبه للصوت فأعود للمكالمة لم أكن أقدر على السباب بعد.

Twitter: @alqareah

مع حضرتك يافندم بس كنت بسجل البيانات.. ميرسي ليكي وإن شاء الله حنتصل بحضرتك لو فيه أوفر تاني..

نسرين

ميرسي ليكوا.. باي..

تنتهي المكالمة بينما فمي ينقض على سماعة الهاتف فيقترب مني مدير إدارة التكنولوجيا ليفيقني من شرودي.

بلاش ترفع السماعة كتير يا بيبي..

أتنبه له بينما هو يبتسم لي في مودة وقد بدا كوب شاي في يده يرفع الفتلة عنه ثم ينزله. الحرارة بتقطع من الخط..

الفتلة تعلو ثم تهبط.. يبتعد مدير إدارة التكنولوجيا وأضع السماعة ببطء فيرن جرس الهاتف فجأة... تتملكني الدهشة.. هل هي نسرين؟؟ لا يمكن!! إن الأرقام تظهر عشوائية والاتصال بها يصلك إلى إدارة المبيعات وخدمة العملاء.. كيف يرن هذا الهاتف إذًا؟؟ أتأمله للحظة مفكرًا.. ثم يقف عن الرنين فأتنهد في هدوء وراحة ثم يرن مرة أخرى الهاتف.. لا شك أني سأجيب هذه المرة قبل أن ألفت نظر كل من حولي لهذا الموقف غير المفهوم فقد يتصور البعض أني قمت بسب أحد العملاء أو تسببت في مشكلة مع أحدهم.. أتناول سماعة الهاتف في توجس لأضعها على أذني مترقبًا..

آلو !!!

Twitter: @alqareah

لحظة صمت.. ثم أنفاس هادئة.. ثم صوته يخترق جدار أذني ليصل إلى عقلي ويكاد يصيبني بالسكتة الدماغية..

صوت خضر

أنا قلت أسيبك إمبارح بالليل لوحدك شوية.. حسيتك محتاج تقعد مع نفسك.. وراك إيه بالليل؟؟

ذلك السؤال البارد الهادئ كان هو تلك القشة التي قسمت ظهري ونجحت في فك عقدة لساني وشفتاي معًا؛ فلم أجب خضر إلا بكلمة واحدة ...

نعم !!!!!

Twitter: @alqareah

2

كان موعـدي مـع خـضر في الثانية عشرة مسـاء.. منتصف الليـل تحديدًا بمحطـة مـترو السـادات بالتحرير.. كنت متشـوقًا لهـذا اللقـاء.. بعيدًا عن المفاجـآت اتخـذت قراري بسـؤاله عـن كل شيء تلـك الليلة.. سـأمتنع عن الكلام حتى يحدثني هو عن نفسه..

لم أشـأ أن أعـود للمنـزل في ذلـك اليوم.. بقيـت في الشركة حتـى الثامنة مسـاء.. كنت وحدي تقريبًا بالمكان عدا عامل البوفيه وموظفي الحسابات.. ظللت أتأمل رقم هاتف نسرين على الشاشة.. فكرت قليلًا ثم قمت بتدوينه عـلى هاتفي.. إن هذا يعرضني قانونًا للتحقيق في الشركة ولكني تذكرت كم المصائـب التي تلاحقني قانونًا فلم أبال كثيرًا.. سـجلت رقم الهاتف بالفعل ثم درت ببصري من حولي لأتأمل المكعبات الفارغة في صمت.. كان المكان هادئًـا.. صامتًـا.. تأملت المكاتب الأخـرى المجاورة لمكتبـي.. ربما هي أول مـرة في حيـاتي منـذ عملي بالمـكان التي أقوم بمثـل هذا الأمر.. اكتشـفت أن مكعبـي هو الوحيـد الخالي من أي نوع مـن الحياة.. المكاتـب الأخرى تمتلئ بصـور وملصقات وكـروت أعياد ميـلاد وأعياد حب.. لمحات السـعادة في

Twitter: @alqareah

حياة البشر تتشكل في هذه الأشياء البسيطة.. إنهم يزينون متاعبهم اليومية بالسعادة.. إذًا ربما السعادة تكمن في الذكريات.. لا أنكر أنني رغم ضيقي الليلة الماضية فإنني كنت سعيدًا في حديثي عن ثريا ورجب والأخ هشام.. تذكرت أيامًا سعيدة في حياتي كنت أتمنى أن أحتفظ بها في ألبوم صور مثلهم أو كروت وإهداءات على صفحاتها من كلمات حب أو تشجيع من أهلي وأصدقائي..

أضع الصور على مكاتب أصحابها أسفًا.. ولكن للأسف.. لم يبق لي أحد حي كي يهديني مثل تلك السعادة.. لم يبق لي سوى ذكرياتي معهم، والتي تنتهي في عقلي بحوادث مفجعة.. إنها سخرية القدر فعلاً.. بالرغم مما قمت به في حياتي من انتقام تجاه من أحببت.. فإنهم تركوني وحدي في تلك الحياة.. إن الموتى هم أسعد حالًا بكثير من الأحياء دون شك ولكنني سئمت الوحدة.. لماذا لم أصادق أحدًا من الشركة طوال تلك الفترة؟؟ لماذا لم أستخدم المواقع الإلكترونية مثل الفيسبوك وخلافه لتكوين صداقات علاقات أو حتى روابط بيني وبين العالم الخارجي؟؟ إن السبب الوحيد المنطقي هو إحساسي الدائم بأن العالم لا يستحق أن تصادق أحدًا منه.. إن الصديق في هذا العالم يبحث عن منفعة شخصية من معرفتك.. هذا العالم الذي تحارب دوله بعضها البعض لن يصادقني سكانه.. أنا لا أمثل أهمية ولا منفعة لأحد.. إنني حشرة.. حشرة تتعلق بجنبات التواليت تنتظر الفيضان الناتج من السيفون.. سيجذب أحد الرافعة يومًا ما وسأغرق تاركًا الحياة دون شيء يذكر.. سيظل هناك أشخاص مثل رجب تسيطر عليهم فكرة الهروب من الواقع ومحاربة الفقر والجوع؛ قد ينتهي بهم المطاف خلف شهواتهم

Twitter: @alqareah

وأنفسهم ليقعوا فريسة للآخرين في هذا العالم.. وسيظل أمثال عباس الجزار يشتهون النساء مثل التجارة يبتاعون النفوس بالمال والأمن فينتهي الأمر بأمثال ثريا.. جواريَ حبيسات.. حتى المثل العليا في هذا العالم أمثال الأخ هشام ستهدم صورهم أمام أتباعهم على الهواتف المحمولة وهم عراة حفاة تغتصب أجسادهم وأرواحهم المسلوبة.. والعاملون الكادحون سينتهي بهم الأمر كأبي.. في انتظار العد التنازلي لنهاية فترة الخدمة دون معاش يذكر أو حتى تقدير.. فقط مباريات كرة قدم.. كم هو قاس هذا العالم !!!

لا يفيقني من شرودي سوى عامل البوفيه.

أعملك قهوة يا بيه؟؟

أتوجه ببصري نحوه وقد تناسيته تمامًا.. إن هذا الرجل البسيط ينتظر طلبًا مني كي يشعر بقيمته في المكان.. إنه لا يدرك أن ساعات العمل قد انتهت وأنني هنا لتضييع الوقت ليس أكثر.

كتر خيرك يا عم فاروق.. أنا خلاص نازل..

أتناول أغراضي من على المكتب مسرعًا بينما هو يتأملني في حرج.

لامؤاخذة أنا مكنش قصدي والله.. أصل الحسابات مشيوا

فقلت أكيد سعادتك وراك شغل هنا ولا حاجة..

ابتسمت له.

لأ أنا بس كنت مستني حد يعدي علي.. الظاهر إنه حيتأخر..

Twitter: @alqareah

حاول الرجل أن يقنعني بالبقاء في انتظار موعدي الخيالي متأسفًا لي عدة مرات ومحاولًا توضيح نيته بمساعدتي وأنه لم يقصد استعجالي أو طردي ولكنني كنت أدرك نيته الفعلية.. إنه في حاجة كي يعود لأسرته.. لمنزله.. للحظات السعادة التي يتوق لها.. أنا لا أملكها ولذلك لا أشعر بها..

الشارع المظلم.. الأمسية الباردة.. أضع الجاكيت الجلدي وأحكم إغلاقه بالسوستة حولي وأمشي.. تركت سيارتي في مكانها أمام الشركة وقررت أن أمشي.. منذ أن التقيت بخضر وأنا أمشي ليلًا.. إن تلك الخطوات من السير وحدي تذكرني بما فات من حياتي.. تساءلت في نفسي عن الغد.. لأول مرة أفكر في الغد.. كانت حياتي الماضية مجرد لمحات من الماضي في نفسي وكأني في انتظار الموت.. إن خضر جعلني أدرك أهمية الوقت.. تأملت الشوارع من حولي.. كانت الساعة تقارب التاسعة.. الزحام في ميدان تريومف لافتات من حولي في كل مكان لمرشحي مجلس الشعب.. رمز الجمل والفيل والقطة.. أسماء ستحمل أعباء المواطنين على عاتقها أم أسماء للشهرة والجاه والقوة؟؟ تأملت اللافتات والأسماء محتارًا.. حتى بدت لي تلك اللافتة التي يقوم بعض العمال بتركيبها بعرض الشارع.. معتز الشافعي.. طموح الشباب في مصر ثم صورة معتز ملصقة في كل مكان حولي على عواميد الإنارة والأشجار.. إن هذا المعتز يلاحقني فعلًا..

أتنهد ليحمل الهواء الدافئ من صدري بخار الماء خارج فمي ذكرني بشراء السجائر التي لا يسمح لي بتدخينها في المكعب.. توجهت نحو أحد الأكشاك الصغيرة عند ناصية الميدان وتأملت النقود في جيبي فتناولت منه عشرين جنيها كانت هي النقود الأخيرة معي وبينما أنا أقترب من الكشك

Twitter: @alqareah

تنبهت لعدة شباب لا تزيد أعمارهم على الثامنة عشرة وقد وقفوا أمام الكشك لتبادل الحديث وتناول السجائر الفرط.. كان الحوار الدائر بينهم حول المستقبل كانوا يحلمون بكليات فارهة كلها ثلاثة حروف.. إم إس إيه.. بي يو سي.. إيه يو سي.. لم يكن لديهم طموح محدد؛ فقط حيث الدراسة سهلة والنسوان وفيرة.. هل انتهى طموح الشباب لهذه الأمور؟؟ لم يعد أحد يحلم أن يكون طبيبًا أو مهندسًا أو حتى محاميًا؟؟ استمر الحوار بينهم حول السفر فكان أحدهم يخالف الجميع الآراء..

يا معلم أم البلد دي !!! دي بلد وسخة..

انت مش شايف الناس عاملة إزاي ؟؟

أنا حسافر وأهج قبل ماندفن هنا ..

أجابه أحد أصدقائه مازحًا.

خدلك مركب واغرق في البحر ..

تدخل صديق ثالث.

نغرق في البحر أحسن ما نعيش هنا..

المصريون دول ولاد كلب يا عم..

لا أعلم لماذا شعرت بوطنيتي في تلك اللحظة وشعرت بالحزن لإستهزائهم من البلد الذي يؤويهم ومن قبل ظل يؤوي أهلهم فأقتربت منهم في هدوء.

يعني إنت إبن كلب؟؟

بدت الدهشة على وجوههم للحظة بينما قرر أحدهم التحفز تجاهي.

Twitter: @alqareah

نعم؟؟؟

هو صاحبك مش قال إن المصريين ولاد كلب؟؟

هو مش مصري ولا إيه؟

تبادل الشباب النظرات فيما بينهم.

و إنت مالك.. يقول اللي يقوله..

بدا عليهم التحفز الآن لجرأة صديقهم ولكني احتفظت ببرود أعصابي.

لما تمشي في أي حتة في الدنيا وتقف عند كشك وتلاقي حد بيشتم بلدك.. أمريكاني ولا روسي ولا صيني.. حتف في وشه.. ما بالك بأه لما نمشي في وسط بلدنا ونشتم فيها.. لو البلد خلص منها الرجالة مش حنلاقي حد يتف في وشنا..

لحظة صمت حتى تدخل الشاب الجريء بصوت عال.

وسعادتك بأه الراجل اللي هنا؟؟

لم أفكر كثيرًا.. صفعته بقوة.. صفعته بقوة المواطن المصري المطحون الذي يكد يومًا بعد الآخر كي ينام هنيئًا ليلًا على بيته وأولاده..

سقط الشاب أرضًا من صفعتي ولدهشتي لم يكن صاحب الصوت القوي الجهوري والجرأة في الكلام قويًا كما تخيلت لقد تحسس خده وانسابت دموعه من الغضب بينما تحفز أصدقاؤه تجاهي وهبوا جميعًا للفتك بي.. تدخل صاحب الكشك وبعض المارة لفض الاشتباك فيما بيننا بينما ظل الشاب

Twitter: @alqareah

المصفوع ينعتني ويشتمني ويتوعدني أنه سيعود مرة أخرى للفتك بي بعد أن يحضر جيشه من الأصدقاء..

وحياة أمي مانا سايبك !!!

كان رواد الكشك قد استمعوا لحوار الشباب فيما بينهم فتعاطفوا معي ومع وطنيتي وفوجئت بأنهم ينهرون تلك الشلة ويسبونهم ويسبون أهلهم لسوء التربية وعدم الوعي والفهم.

ابتعدوا عن الشارع بينما وقفت أمام الكشك أتأمل الناس من حولي.

حصل خير يا بيه دي عيال مش متربية..

البعض ينفض عني غبار المعركة بينما الآخر يحييني لما فعلته.. لماذا لم يتدخل أحد من كل هؤلاء حتى صفعت الشاب؟؟ هل هو الخوف؟؟ أم هل هو الشعور بقلة الحيلة؟؟ إن الأمر لم يتطلب مجهودًا؛ فقط صفعة من القلب.. لا أظن أن أحدًا منهم سيتجرأ ويسب بلده الآن علنًا.. شعرت بالبطولة للحظة، شعرت بالأخ هشام.. لقد التف حولي المارة في الشارع ونظر لي صاحب الكشك مبتسمًا في نصر بينما هو يفتح لي زجاجة مياه غازية..

اتفضل يا باشا.. روق دمك..

تناولت الزجاجة في صمت بينما انفض المارة من حولي ثم تذكرت العشرين جنيهًا فبحثت عنها بين جيوبي فلم أجدها.. ابتسمت لسخرية القدر وأعدت الزجاجة لصاحب الكشك.

متشكر يا حاج..

Twitter: @alqareah

وضعت الزجاجة أعلى الثلاجة الحمراء الموجودة بطرف الكشك بينما عدت ببصري نحو الميدان مفكرًا في العودة للسيارة من أجل الوصول لميدان التحرير في الموعد ولكن لدهشتي كان في الناحية الأخرى من الشارع ذلك المحل المضيء وحده بين المباني.. كان محل ليلى نصير للفضة.. تملكتني الدهشة للحظة من الصدمة.. ولكني بدأت يقينًا أدرك أن الصدفة لا وجود لها في تلك الحياة.. إن وجود المحل في هذا المكان وفي تلك اللحظة تحديدًا لابد وأنه يعني شيئًا.. وضعت يدي في جيبي وبحثت عن رقم نسرين مسرعًا وتأملته للحظة كان هناك على الورقة مدونًا.. لقد قمت بقتل الكثيرين ولم أفكر كثيرًا وقتها.. لماذا ترددت لوهلة قبل أن أطلب تلك الفتاة التي لن يضرني شيء منها؟؟ إنها الوحدة.. كنت أخشى أن أفقد نسرين من حياتي ... لقد دخلت حياتي منذ ساعات.. إنها صديقي الوحيد الآن ولكنها لا تعلم ذلك بعد.. اتخذت قراري وتوجهت لصاحب الكشك وطلبت منه استخدام هاتف الكشك شارحًا له ظروفي وفقداني للنقود فتعاطف معي سامحًا لي أن أستخدم الهاتف ثم قمت بالاتصال.

آلو ...

خطواتي تهدأ وأحاول أن أتماسك كي لا تتسارع دقات قلبي.

آنسة نسرين.. أنا آسف على الإزعاج متأخر..

أنا من شركة تيلي سيل وببلغ حضرتك إن هدية حضرتك جاهزة في فرع ميدان تريومف..

بكره الساعة ستة تقدري حضرتك تستلميها ..

Twitter: @alqareah

لحظة صمت ثم عادت نسرين للحياة.

نسرين

سوري بس هي دي اشتغالة؟؟

لا والله يافندم.. حضرتك ممكن تتصلي بالشركة وتتأكدي..

قلبي لم يعد بإمكاني السيطرة عليه.

نسرين

أوكي.. ميرسي أوي.. حاجة تانية؟؟

أفكر للحظة وأنا تكاد شفتاي أن تطلبا منها لقاءها أو تقبيلها.

لا يافندم.. بس ياريت حضرتك متفوتيش الميعاد عشان الأوفر ميروحش عليكي.. وآسف مرة تانية لو كنت أزعجتك ؟؟

تبتسم ابتسامة خفيفة من الناحية الأخرى أكاد أسمعها.

نسرين

مفيش مشكلة.. باي ...

تنتهي المكالمة فأسحب نفسًا عميقًا ثم أتأمل الشارع من أمامي وأمشي وحدي.. لا أعلم لماذا أحسست أنني قريبا لن أمشي وحدي مرة أخرى.. ربما بسبب ملصقات معتز الشافعي..

■■■

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

3

الساعة الآن الحادية عشرة والنصف.. أتوقف بالسيارة في أحد الشوارع الجانبية الضيقة من شارع التحرير.. يقترب مني المركناتي مسرعًا.. يمين.. شمال.. اكسر كله.. هات ورا بأه.. كأني لم أمر باختبار قيادة صارم.. كأني لم أستيقظ في السادسة صباحًا كي أقف في أول الطابور لعجزي عن الواسطة في المرور.. كأني لم أحفظ ورقة علامات الإشارة.. كأني لم أدفع رسوم السيارة كاملة ولم أقف في قيظ الحر كي أمسك في يدي بتلك البطاقة الصغيرة التي تحمل صورتي وبياناتي وتدعى رخصة ...

أترجل من السيارة بينما المركناتي يسألني عما كنت سأتأخر في موعدي وكأن الشارع من أملاكه.. فأجيبه بأني سأعود سريعًا.. كاذب أنا.. إنه لا يعلم خضر وحواراته.. ربما سأعود غدًا.. قلتها في نفسي..

توجهت نحو ناصية شارع محمد محمود ونزلت إلى النفق المؤدي إلى المترو.. تأملت الساعة في يدي.. كانت الثانية عشرة إلا خمس دقائق.. كنت قد وصلت إلى المحطة ثم تأملت المكان من حولي.. كان خاليًا.. هل وصلت مبكرًا؟ هل أنا في المكان الصحيح؟ ربما علي أن أعبر إلى الناحية الأخرى..

Twitter: @alqareah

آخر قطر الليلادي يا بيه اللي جاي دلوقت..

تنبهت للصوت فبدا فرد أمن يقف أمامي على مقربة.. شكرته بينما أفكر في حيرة بحثًا عن خضر ثم تحركت نحو ممر التذاكر وتذكرت أنني لا أملك نقودًا كي أشتري تذاكر المترو تنهدت في نفسي وبدا القطار بالفعل على وشك الوصول.. كان يمر من أمامي في المحطة ثم توقف على مرمى بصري ليفتح باب إحدى العربات ولدهشتي كان خضر جالسًا بداخل العربة ينظر تجاهي مبتسمًا.. إن القطار يقف في المحطة لمدة عشر ثوان ثم يغلق بابه كانت تلك الثواني العشر بالكاد تكفي أن أجري مسرعًا متخطيًا الأمن وأقفز أعلى ممر التذاكر بينما يصرخ الأمن مناديًا علي ومحاولًا إيقافي من أجل الغرامة.. أجري مسرعًا بينما خضر ينظر تجاهي في تحد.. سأصل رغمًا عن ابتسامتك المتحدية يا خضر.. سأصل.. الباب يكاد أن يغلق على جسدي.. القطار يتحرك.. أنا بالعربة.. لهاثي يلاحقني بينما أكاد أن أفرغ ما في بطني.. ثم أنظر بداخل العربة التي تتحرك الآن في طريقها بين النفق.. العربة خالية.. لم يكن هناك سواي وخضر الذي يجلس ينظر إليَّ في هدوء.. والعديد من ملصقات مرشحي مجلس الشعب تملأ العربة كلها.. أقترب فأجلس أمام خضر بينما أنفاسي تتلاحق.

ما له البتاع اللي كنا قاعدين فيه إمبارح؟؟

مش أرحم من الجري ده؟؟

يبتسم خضر.

خضر:

Twitter: @alqareah

محدش قالك تتخانق مع العيال عند الكشك

وتضيع العشرين جنيه..

أضحك في سخرية غير مصدق قدرة هذا الرجل على الإقناع.

أنا:

بيتهيألي أنا مقدرش أكدب عليك في حاجة مش كده؟؟

يبتسم خضر للحظة.

خضر:

تقدر.. بس السؤال إنت عايز تكدب علي؟؟

نظراته المتحدية.

أنا:

أنا مش حتكلم الليلادي معاك في حاجة.. إنت اللي حترغي..

وأنا اللي حسمعك..

القطار يرتج بينما خضر يضحك تدريجيًا.. ضحكات تخترق عقلي كالأزيز.. ذلك الخبل العقلي الأزلي.. الضحكات المتقطعة والسعال المتحشرج ببلغم عتيق معجون بضحكات خضر العالية.. إنه يسخر مني كعادته.. يتحدى ذكائي وفطنتي وكأنه يطلب مني أن أفكر أكثر قبل أن أسأله إنت مين؟؟ وعايز مني إيه؟؟ بتعمل فيا كده ليه؟؟ إن خضر يسعى لإدهاشي دومًا منذ أن التقيته أول مرة.. وإحقاقًا للحق.. إنه يجيد المفاجآت..

Twitter: @alqareah

خضر

إنت جاهز تعرف أنا مين؟؟

تتملكني الدهشة.

أنا:

يعني إيه؟؟ المفروض أتحزم وارقص قبل ما تتكلم؟؟

يبتسم خضر بينما يعقد ذراعيه حول جسده.

خضر:

أنا عن نفسي معنديش مشكلة

أنا خايف إن إنت اللي متفهمش ..

أنا:

جربني..

يومئ خضر برأسه للحظة ثم يتأمل النافذة من جواره وقد توقف القطار بالمحطة التاليـة.. المحطة خالية.. خضر يسرح.. الأبواب تغلق مرة أخرى.. القطار يتحرك.. خضر يلتفت تجاهي.

خضر :

تفتكر لو واحد خبط على باب بيتك وفتحتله وقالك إنه جاي من بكره..

حتصدقه ؟؟؟

الدهشة ... لم يخطر ببالي هذا الأمر..

Twitter: @alqareah

أنا:

على حسب..

القطار يتحرك.. يهتز.. عقلي مشوش..

خضر:

خمسين سنة تفرق بيني وبينك..

لحظة صمت بينما أدرك الموقف الآن.. إن خضر يدعي أنه زائر من المستقبل..

أنا:

أستاذ خضر.. أنا مش عارف أقولك إيه..

فيه حاجات كتير حصلت إمبارح مش فاهمها..

وواضح من كلامك إنك مش عايزني أفهمها..

أنهض عن الكرسي من أمام خضر.

أنا:

مش عايز أضيع وقتك

أكيد في حد غيري تقدر تتسلى عليه.. بعد إذنك..

أبتعد نحو الباب بينما قطار المترو الآن قد خرج عن النفق ويسير بين الشوارع في طريقه نحو حلوان.. أقف في انتظار المحطة المقبلة بينما خضر لا يبالي بما أفعله.

خضر:

Twitter: @alqareah

الزمن له اتجاه واحد

منقدرش نتحرك فيه لقدام بس نقدر نرجع لورا..

بشرط إننا منغيرش حاجة من اللي حصل.. عشان المستقبل ميتغيرش.. مش أي حد مسموحله بكده.. أنا بس اللي قدرت أرجع بالزمن مخصوص عشان أقابلك..

المحطة تقترب.. التردد يملؤني.. ماذا لو كان محقًّا.

خضر:

يوم سبعة وعشرين خمسة.. البوليس حيعرف كل حاجة عنك..

حيتقبض عليك الساعة تسعة بالليل في البيت.. أبوك حيكون

قاعد بيتفرج على ماتش الزمالك وغزل المحلة.. الزمالك حيكسب

الماتش وحيكسب الدوري ليلتها ..

المترو يخفض من سرعته بينما أنا ألتفت تجاه خضر في دهشة.

خضر:

أبوك مش حيستحمل يشوفك بيتقبض عليك.. حتجيله ذبحة وحيموت حيتحكم عليك بالإعدام.. في السجن حتألف كتاب.. حتحكي فيه.

كل اللي حصلك.. رجب.. ثريا والأخ هشام..

أفكر في والدي ثم في رجب وثريا والأخ هشام تباعًا بينما سرعة قطار المترو تهدأ رويدًا رويدًا.. خضر ينهض عن كرسيه ليقترب مني في هدوء.

خضر:

Twitter: @alqareah

الكتـاب ده حيعيـش سـنين طويلـة.. البلد حيزيـد فيه الفسـاد والسرقة البيوت حتتقفل على نفسها.. كل بيت حيشيل سلاح علشان يحمي نفسه..

خضر يقترب مني أكثر ... القطار يكاد يقف.

خضر:

الكتاب بتاعك في ناس حتصدقه وحتصدق اللي إنت عملته

وعملته ليه.. صورتك اللي كانت قدام الناس مجرم.. حتتغير

وحتبقى في عيون الناس بطل واللي آمنوا بيك حيحاولوا يغيروا

كل حاجة.. بس هم مش كتير.. الضلمه حواليهم في كل مكان

وكل اللي حييجي في بالهم ساعتها.. ياريتك كنت لسه عايش..

القطار يقف ... الباب يفتح من أمامي.. أنظر تجاه الباب المفتوح ثم أعود ببصري تجاه خضر.

خضر:

أنا منهم أنا آمنت بيك..

ممكن تمشي دلوقتي ومتصدقنيش.. أنا مش حمنعك..

وممكن تستنى معايا وتسمعني لحد الآخر.. جايز كلامي يقنعك..

لحظات تمر كالدهر على قلبي بينما الباب المفتوح من أمامي ثم ألتفت تجاه خضر فيغلق الباب..

■■■

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

4

المترو يتحرك مسرعًا ليشق ظلام الليل وبنفس السرعة تتحرك الأفكار في رأسي لتخترق عقلي.. لا أعلم على من تحديدًا أقلق.. على نفسي؟؟ أم أبي؟؟ أمي وشقيقتي من بعدي وبعد وفاة أبي؟؟ إن السؤال الذي ظل يراودنا أطفالًا.. هل تحب أن تعرف ما يخبئه لك الغد؟؟ كنا نصرخ ونهتف بالإيجاب ونحلم بمن يخبرنا الحقيقة.. الآن أدرك سذاجة الأطفال.. ياليتني لم أعرف...

كنت شاردًا.. ساكتًا.. لا أعلم ماذا أقول.. تناول خضر من علبة سجائره الذهبية سيجارة الدانهيل ووضعها بين شفتيه ثم أشعلها بينما ينفث الدخان بين شباك عربة المترو الخالية.

أنا:

إنت قلت إنك جيت عشان تقابلني.. عايز مني إيه؟؟

ينفخ خضر دخان السيجارة.

خضر:

Twitter: @alqareah

عايز أتأكد لو كنت فعلًا تستاهل إن الناس تموت عشانك

وتضحي بحياتها عشان فكرة في دماغك ولا لأ..

أتعجب للحظة من ألغاز خضر المستمرة.

أنا:

مش فاهم..

خضر:

عايزك تقتل حد كمان..

أبتسم في سخرية.

أنا:

يعني مكلف نفسك وعامل كل ده عشان عايزني أموتلك حد؟؟

وآمنت بيك وصدقتك واشتريت الكتاب بتاعك وعلقت صورك عالحيط..

أضحك عاليًا..

أنا:

و ياترى بأه اللي عايزني أموته ده عملك إيه؟؟ نام مع مراتك؟؟

ولا سرق عربيتك اللي بتطير في الجو؟؟

Twitter: @alqareah

هيستيرية من الضحك تنتابني بينما خضر في صمت يتأملني بينما تهدأ ضحكاتي وأفرك عيني من دموع الضحك ثم تأملت وجه خضر كان حزينًا بحق كان صامتًا وبدا كأنه يراجع نفسه في أمري ثم نظر إليَّ بحدة وقوة.

خضر:

ستاشر مليون واحد في العالم ماتوا بسببك وعشانك

وإنت بتضحك بمنتهى البساطة ؟؟؟

أنا:

ستاشر مليون واحد اشتروا الكتاب بتاعي؟؟ طب يا عم اديني

من تمنهم خمسين ألف جنيه

و أنا معنديش مانع أموتلك كابتن ماجد حتى ..

أضحك مرة أخرى بشدة ثم يمسك خضر بملابسي في قوة.

خضر:

إنت اللي طلبت تعرف الحقيقة.. دلوقتي بتضحك ومش عايز تصدقني؟؟

إنت حر.. أنا مش صعبان علي

غير الناس اللي ماتت بسببك..

يتركني فجأة ثم ينظر لي باحتقار.

خضر:

Twitter: @alqareah

إنت كان عندك حق.. إنت ولا حاجة.. إنت فاشل.. كلامك عن الوحدة وعن الناس اللي اتجمعت كلها ضد الظلم يوم وقفتك في الكلية عشـان الأخ هشـام.. كلامـك عن الحاجات البسـيطة اللي بتسـعد النـاس الحكايات اللي جوانا وذكرياتنا اللي بتعيش.. النقر اللي في الشوارع: العيال اللي

بتقف عند كل ناصية وكشك وتشتم في بلدها..

الصمـت يكسـو وجهي بينـما أنا أتذكر عـلى كلمات خضر تلـك الأفكار والخيالات التي راودتني.

خضر:

ثريا اللي حرَّكت فيك حب الأم والأخت والحبيبة..

الأخ هشام اللي كان مثلك الأعلى وكنت مستغرب أوي إزاي

بيقـدر يلـم الناس حواليـه.. لحد ما جالـك في المنام وقالـك إن إنت اللي حترفع راسـه ..إنت اللي حتتلم الناس حواليه..حتى رجب صاحبك ..اللي طلـب منك أصعـب حاجة يقدر الصاحب يطلبها مـن صاحبه.. تخلصه من عذابه

كلامك كان كله كدب..

يسود الصمت الآن وجهي.. إنه يتحدث عن كل ما في رأسي..

خضر:

يا خسارة.. كان عندي أمل فيك.. فعلًا زي ما قلت في الكتاب إحنا كلنا حشرة متشعلقة في قعدة تواليت

Twitter: @alqareah

مستنيين اللي يشد الميه علينا..

ينهض خضر عن كرسيه فأمسك في يده بقوة.

أنا:استنى..

ينظر لي خضر غاضبًا.

أنا:

استنى من فضلك.. أنا آسف..

لحظات من الصمت بينما هو ينظر تجاهي مفكرًا.

أنا:

حط نفسك مكاني.. أنا تايه.. إنت تعرف اكتر مني..

ساعدني عشان أقدر أساعدك..

تتحرك عربة القطار وتهتز بينما أنا أكاد أن أتمالك نفسي واقفًا.. يتوجه خضر ببصره نحو ملصقات مرشحي مجلس الشعب ثم يفلت يده من يدي ليمدها تجاه أحد الملصقات وينزعها عن حائط العربة ثم يعود إلي بالملصق فأتأمله.. كان معتز الشافعي..

خضر:

لازم تقتله..

أتأمل الصورة غير مصدق..

أنا:

Twitter: @alqareah

إشمعنا ده يعني؟؟ ليه مش كل دول؟؟

أشير حولي بالعربة تجاه ملصقات المرشحين جميعًا.

أنا:

تلت تربعهم حرامية ولاد كلب.. إنت فاكر يعني إني لما أموت محمد أبو بكر ولا عباس الجزار.. كانوا آخر ناس من جنس ملتهم؟؟

لحظة صمت على وجه خضر.

أنا:

البلد دي بيتولد فيه شياطين قبل الملايكة.. واللي النهاردة بتقطع راسه بكره بيطلع لك براسين.. إشمعنا بأه الجدع ده اللي مضايقك؟؟

مازال خضر يلتزم الصمت بينما عربة المترو تهتز وأمسك بيدي المقود الجلدي كي لا أسقط بينما يحافظ خضر على توازنه.

أنا: الله.. ما ترد علي يا عم.. هو أنا اللي جاي من المستقبل ولا انت؟؟

يتناول خضر الملصق من يدي.

خضر: معتز الشافعي مش حيبأه عضو مجلس شعب بس..

أترقب الجملة التالية في قلق.

خضر:

معتز الشافعي حيوصل لأبعد من كده بكتير..

الآن خضر أصبح أكثر إقناعًا.. الآن خضر بدأ يجذب انتباهي..

Twitter: @alqareah

خضر:

في نفس اليوم اللي حيتقبض عليك فيه.. حيكون فرح معتز الشافعي.. بعد كام سنة حيخلف من مراته ولد.. بعد معتز ما يموت.. الولد ده حيحكم مصر وفي وقتها مصر مش حتكون

المليون كيلو متر مربع بس.. البلد حيكبر ويتغير

وابن معتز حيتجنن أو جايز هو كان مجنون في الأساس

حيعلن الحرب..

أنا:

حيعلن الحرب على مين؟؟

الصمت في عيون خضر للحظة

خضر:

حيعلن الحرب على الإيمان.. أي حد مؤمن.. أي حد بيصلي

أيا كان دينه إيه.. أفكاره إيه.. ابن معتز الشافعي حيقتله

يقترب خضر مني في محاولة للشرح

خضر:

مع الأسف حييجي وقت علينا الناس حتتوه بين الحق وبين الضلمة

الجهل يا صاحبي بيولد الكفر.. الناس حتصدق كلام كله رجعية

كله تخلف وتخاريف.. معتز لما حيحاول يقنع الناس بالاعتدال

Twitter: @alqareah

قالوا عنه إنه كافر وقتلوه.. عشان كده ابنه أعلن الحرب عليهم.

الشرود على وجه خضر الذي بدا وكأنه يتذكر

خضر:

وعلينا

أنا بدهشة

عليكوا؟؟

خضر:

أيوه.. احنا اللي كنا مؤمنين إن تجارة الدين بالسياسة جريمة لازم كل اللي بيمارسها يتشنق.. بس ده ممنعش إننا

ندور ونآمن إن في الآخر فيه خالق للكون ده كله

معتز رفض حتى وجودنا

وقال إن الدين كله حيتحاسب عليه صاحبه

العربة تهتز بشدة وكأنها على وشك الانقلاب.. لم أهتم كثيرًا بعدم توقف المترو في محطاته منذ توقفنا الأخير حيث قررت البقاء مع خضر ولم أهتم بالنظر خارج الشباك حيث سرعة المترو الفائقة تمنع النظر تجاه خارج العربة.. إن كل ما كان يسيطر على رأسي الآن هو كلمات خضر.

أنا:

وبسبب ابن معتز ده.. الناس دي كلها ماتت؟؟

Twitter: @alqareah

خضر:

بالظبط كده.. تخيل كل واحد مؤمن إن ربنا موجود بيموت

الناس بقت تصلي وهي خايفة.. بتستخبى منه ومن جيوشه

المساجد الكنايس المعابد كلها اتهدت

أتنهد بينما أبحث عن مقعد يتحمل عبء جسدي وحملي الثقيل.

خضر:

حاولنا نقتله.. مقدرناش.. الثورة قامت ضده بس الجيش معاه

الناس بتموت كل يوم بالألوفات.. إنت آخر أمل لينا..

ظللت أتأمل صورة معتز الشافعي في مقعدي بالعربة بينما أفكر.. ما الذي سيضرني من قتل ذلك المعتز؟؟ لقد قتلت ما يكفيني في حياتي.. لن أمانع أن أضيف إلى القائمة فردًا آخر.. نعم إنه رمز الشباب والطموح وأصغر مرشح لعضوية مجلس الشعب ولكن في النهاية الأمر يستحق.. خضر يبدو مقنعًا.. ربما كان خضر يريد الانتقام منه لأي سبب كان.. ولكنه يبدو لي مقنعًا..

أنا:

أنا لي طلب واحد بس عندك.. لو قتلت الراجل ده..

أرجوك.. بلاش أهلي يجرالهم حاجة..

ينظر لي خضر في شفقة.

خضر:

Twitter: @alqareah

لو قتلت الراجل ده فعلًا.. أنا مش حبأه موجود.. المستقبل حيتغير..

أفكر للحظة بينما هو يربت على يدي.

أنا:

أنا كنت فاهم إن اللي حصل وحيحصل مش في إيدينا نغيره..

خضر:

مفيش حاجة بتحصل صدفة.. مجيتي ليك مش صدفة..

كلامي معاك مش صدفة.. هو ده القدر اللي كنت إنت مستنيه..

القدر اللي ندهلك في امتحان الشركة.. القدر اللي قعدك مكان ثريا.. القدر اللي مجمعنا أنا وإنت دلوقت.

مكتوبلك تعيش وتموت مرتين..

أبتسم في سخرية وشفقة بينما أفكر ... المترو يدخل نفقًا آخر.. السرعة تهدأ تدريجيًا.

خضر:

متخفش.. مش حتقع..

أنظر لخضر الآن.. يبدو هو مبتسمًا في ثقة.. إنه يدرك ما يقوله.. يعتدل بظهره ثم يستند على كرسيه بينما المترو يخفض من سرعته ليقترب من المحطة التالية.. أنهض عن الكرسي ممسكًا بالملصق..

أنا:

Twitter: @alqareah

حشوفك إمتى تاني؟؟

ينظر لي خضر.

خضر:

وقت ما تبقى جاهز.. أنا حلاقيك..

أومئ برأسي إيجابًا بينما القطار يقترب من المحطة.. أبتعد عنه متجهًا نحو الباب ثم تهدأ العربة تدريجيًا قبل الوقوف على رصيف المحطة.. ألقي نظرة أخيرة تجاه خضر الذي يبدو يجلس بنفس الكرسي الذي كان يجلس فيه أول دخولي عربة المترو.

أنا:

متشكر على الحقيقة..

يفتح الباب مصدرًا صوت ضغط الهواء.

خضر:

أنا اللي متشكر إنك سمعتني..

أترجل خارج العربة بينما ما أزال أنظر تجاهه فيبتسم لي مودعًا ثم تتحرك عربة المترو وقطاره ليبتعد عني ثم أدور ببصري داخل المحطة فتبدو محطة التحرير كما كنت فيها عند وصولي بالضبط.. لم أتعجب كثيرًا وأنا أنظر في ساعتي لتبدو الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل.. لم تعد هناك مفاجآت من خضر.. أمشي تجاه ممر التذاكر.. أقفز لأعبر الممر فيقترب مني فرد الأمن مسرعًا فأتجاهله.

Twitter: @alqareah

فرد الأمن

يا بيه.. ممنوع اللي عملته يا بيه..

أنظر تجاهه مبتسمًا بينما أمشي مبتعدًا نحو النفق.

معلش بأه يا دفعة.. كل سنة وإنت طيب ده آخر قطر الليلادي ..

■■■

Twitter: @alqareah

5

لم أكذب في النهاية على المركناتي في شارع التحرير ولكنه صبَّ غضبه عليا لما امتنعت عن إعطائه النقود.. إنه لا يدرك فيما ضاعت نقودي.. ضاعت في سبيل الدفاع عن كرامة الوطن.. السيارة تتحرك في ميدان الشهيد عبد المنعم رياض.. لقد أعطاني خضر سببًا للحياة.. للصحو من النوم مبكرًا.. للنظر في وجوه الناس في الشوارع.. لتدخين السيجارة أثناء القيادة.. لربط الحزام.. للوقوف في الإشارات الحمراء.. إن حياتي ليست بلا هدف كما تصورت وتخيلت.. كنت أقل الناس أهدافًا في الحياة.. لا أملك حبيبة ولا أصدقاء.. أحببت مكعبي الآن بعدما تخيلت أنه مقبرتي.. السيارة تصعد كوبري أكتوبر في طريقي لحدائق القبة..

أبتسم في راحة.. سأموت الآن سعيدًا.. إن كل ما يشغل بالي هو أن أمنع وفاة الملايين من أولئك الذين اتبعوا كتابي من بعدي في الغد.. ولكن هل خضر هو نصير الحق فعلًا أم هو نصير الشر؟؟ أليس الاحتمال الأوقع أن يكون معتز الشافعي طموح الشباب والمستقبل هو البطل الحقيقي؟؟ أليس من الممكن أن يكون خضر قد جاء خصيصًا لدفعي لقتله كي يحكم خضر

Twitter: @alqareah

العالم في المستقبل؟؟ راودتني تلك الأفكار بينما أنا أقود أعلى الكوبري ثم بدت من أمامي آثار حادثة الأمس كان هناك جزء من سور الكوبري وحاجزه مهشمين.. هنا وقعت الحادثة.. إنه القدر يدفعني كي أمر الآن من أمام هذا المكان.. لقد كان خضر محقًّا فيما قاله أمس والأغلب أنه محقٌّ فيما قاله الليلة.. أتأمل الطريق مرة أخرى ثم يخطف بصري في المرآة تلك السيارة المسرعة القادمة من خلفي فأفسح لها مجالًا في بطء حتى تمر.. وياليتها لم تمر.. كانت سيارة نيسان تيدا سوداء مسرعة.. لم أكد أرفع بصري تجاه قائدها حتى بدت نسرين خلف عجلة القيادة تمر من جواري مسرعة.. هل العالم ضيق فعلًا لهذه الدرجة؟؟ أم هل هو صراعي الداخلي مع القدر؟؟؟

عدت إلى المنزل في تلك الليلة مفكرًا.. لم يخطر ببالي يومًا تأليف كتاب.. ولكن الفكرة في حد ذاتها قد تخطر لي فعلًا في يوم من الأيام.. ربما إذا حكم عليا بالإعدام فعلًا هذا الكتاب قد يكون ملاذي الوحيد في وحدتي بالسجن حتى نفاذ الأمر..

خلعت قميصي وربطة عنقي بينما أنا أقف في غرفتي متأملًا نفسي في المرآة بينما ساعة الحائط في صالة المنزل تتحرك عقاربها تباعًا لتعلن بدء العد التنازلي في رأسي.. كنت قد تبدلت كثيرًا عن الأعوام الماضية.. صار جسدي نحيلًا وعيناي يسودهما السواد أسفل الجفون.. إن أحلامي الدامية تمنع عني النوم في راحة.. أتذكر ثريا وهي تحترق في ليلة، وأتذكر الأخ هشام في ليلة أخرى، ولكن حتى الآن لم يأتني رجب محمد عبد العاطي في منامي.. ربما الليلة.. فهو مازال في طريقه لحساب القبر إذا كان لمثل ذلك الأمر وجود.. ألمس المرآة وألمس وجهي.. هل تلك الصورة حقيقية؟؟ هل هذا أنا فعلًا كما

Twitter: @alqareah

يراني الناس؟؟ تذكرت ملصق الانتخابات الذي يحمل صورة معتز الشافعي فتناولته من جيبي لأضعه على المرآة.. كان وجهه مبتسمًا كعادة ملصقاته.. بشوشا ويحمل ثقة واضحة.. إن هذا المعتز هو الصورة التي كنت أحلم أن أكونها في يوم من الأيام.. ناجحًا.. قدوة للناس.. فخرًا لأهلي.. ربما سأكون كذلك كما قال خضر في يوم من الأيام ولكن الحاضر بظلاله يرهقني.. أتنهد في نفسي ثم أدور ببصري تجاه الصالة المظلمة ثم أخطو في هدوء وحذر نحو غرفة والدي بينما أنا أخلع حذائي عن قدمي..

كان والدي يغط في نومه العميق بينما والدتي قد تكورت على نفسها في جانب السرير.. اقتربت في صمت من طرف السرير حيث ينام والدي مرتديا تلك الجلابية البيضاء واضعًا وسادة صغيرة بين ساقيه ثم جلست على طرف السرير لأتأمله.. ماذا لو كان حديث خضر حقيقيًّا فعلًا !! ماذا لو كان والدي سيموت بسببي؟؟ نوعًا ما هي عدالة السماء ولكنه لا يستحق أن يموت بسببي.. إنه يستحق العيش كي يرى أحفاده ويهنأ بتلك الحياة.. ولكن أي حياة تلك التي سيهنأ بها؟؟ إن الأمر معقد في رأسي.. والدي يتقلب.. ياليت خضر كان من الفضاء أو من مجرة أخرى.. ياليته كان قريني أو من الجن.. الأيام المقبلة ستثبت صدق حديثه من كذبه.. أغطي والدي بطرف اللحاف ثم أخرج من الغرفة في هدوء..

كنت منهكًا بشدة ... رأسي يكاد أن ينفجر.. جلست في الصالة المظلمة لأن قدمي لم تسعفني على السير لغرفتي.. استندت برأسي للوراء على الكنبة الصغيرة أمام التلفزيون وما إن توقفت عن الحركة حتى داومتني الخيالات تباعًا.. أمي تصرخ لوفاة والدي.. حبل المشنقة يلتف حول رقبتي بينما

Twitter: @alqareah

عشماوي يجذب الرافعة فيلتف الحبل حول رقبتي كي يدق عنقي ولكن رقبتي تعاند فأتعلق مختنقًا للحظات أعاني فيها سكرات الموت.. هل سأرى عزرائيل؟؟ ما هو شكل ملاك الموت الحاضر من حولنا ليقبض أرواحنا؟؟ يقال إنه أقبح ما يكون !!! شقيقتي تبكي في ذل وكسرة.. مستقبلها ينتهي.. لأول مرة أشعر بالخوف تجاه ما فعلته في حياتي.. كنت سابقًا لا أهتم للموت أو للقبض عليا ولكن الآن الأمور تختلف.. لقد كان الانتقام يحركني، لم أكن أعي نتيجة ما فعلت.. سأجذب رافعة السيفون كي أغرق أغلى الناس في حياتي.. إن قدر كل من عرفني في تلك الحياة وصادقني أو كان من أهلي هو الموت..

عيناي تصارع النوم.. لاشك أن خضر قادر على إنقاذهم.. لابد وأن هناك طريقة تمنع غرق عالمهم.. عيناي تقاوم الإجهاد.. سأغفو قليلًا على تلك الكنبة الصغيرة.. ربما هي دقائق ثم أقدر على السير لغرفتي.. الدقائق هي كل ما أحتاج الآن.. الوقت.. الساعة في الصالة تتحرك عقاربها لتعلن قرب فوات الأوان.. عيناي تستسلم للظلام.. لأحلامي الدامية.. من سيسكنها الليلة؟؟ رجب؟؟ ثريا؟؟ أم الأخ هشام؟؟ عقارب الساعة في الصالة تتحرك تباعًا ثم تتوقف.. الصمت ...

Twitter: @alqareah

6

أفتـح عينـيَّ تدريجيًّا لأتأكد من سـير الوقت في السـاعة ولكن لدهشـتي كانت أشـعة الشمس هي السـبب الحقيقي الذي دفعني لفتح عينيَّ والرمال مـن حولي في كل المكان.. قاومت كي أنهض بجسـدي ثـم جاء صوت موج البحـر عاليًا حتـى داومتني ميـاه البحر لتغطي جسـدي تقريبًا بينـما أنا أدفع الأرض كي أنهض عنها لأتأكد مما يحدث حولي..

كنت على شاطئ البحر

التفـت من حـولي ليبدو شـاطئ بحر واسـع.. أزرق فـيروزي جميل بينما السـماء صافيـة تمامًا.. قرص الشـمس يتوسـطها بينـما أنا ما زلـت بملابسي كـما هي.. بنطلـوني القـماش.. شرابي.. الفانلة ذات الأكمام التـي أرتديها من أسـفل القميص.. كنت نائمًا بصـدري على رمل البحر بينما الأمواج تتسـابق للوصول نحوي.. شـعرت وكأني غريق ناجٍ من مركب حتى وصل بي الأمر لهذا الشاطئ.. نهضت عن الأرض ثم درت ببصري ليبدو لي الشاطئ واسعًا بينـما الخضرة تملؤه بعرض الشـاطئ كلـه.. فيما يبدو أنا على جزيرة في وسـط

Twitter: @alqareah

المياه.. نسيم الهواء يحمل رائحة البحر إلى أنفي.. لست نائمًا بلا شك.. أنا أشعر بكل شيء.. النخيل بقامته العالية ثم الأشجار تحيط بظلالها من أمامي إلى خضرة جميلة تحمل رائحة الندى العذب.. يا له من شعور.. لا شك أنني في أجمل مكان على الأرض.. كنت منهكًا.. قدماي لا تقويان على حملي.. فسقطت مرة أخرى على ركبتي.. لا أعلم لماذا شرعت في البكاء.. هل هي دموع الندم على ما فعلت في حياتي، أم هي دموع الفرح؟؟ إنه قد انتهى بي المطاف هنا لحظات ثم خيم على جسدي ظلال صغيرة رفعت بصري تجاهها لأفاجأ بفتاة صغيرة في العاشرة من العمر.. كانت أجمل ما رأيت في حياتي.. ترتدي فستانًا واسعًا أبيض اللون بينما شعرها البني يحمي وجهها الملائكي من نسمات الهواء ويكتفي فقط بأن يشعرها بوجود ذلك النسيم بانسيابه معه.. عيناها العسليتان الواسعتان تحدقان فيا بفضول وحذر.. كان وجهها مألوفًا لي.. اقتربت في توجس مني بينما قدماها الحافيتان تغوصان في الرمال ثم همست..

إنت إيه اللي جابك هنا؟؟

نظرت حولي للحظة ثم عدت ببصري تجاهها.

مش عارف.. أنا نمت وصحيت لاقيت نفسي على الشط..

هو إحنا فين بالظبط؟؟

تأملتني للحظة مفكرة ثم همست في ثقة.

إحنا الناحية التانية ..

Twitter: @alqareah

تساءلت في نفسي عن معنى تلك الإجابة الغريبة وكدت أن أعود برأسي تجاهها كي أكرر سؤالي لها حتى فوجئت بأطفال مثلها يخرجون من بين أغصان تلك الأشجار.. كلهم في سن واحدة تقريبًا.. كلهم يرتدون الأبيض من فتيات وأولاد صغار.. ملامحهم جميلة هادئة.. يقتربون في حذر تجاهنا بينما الفتاة تنظر إليهم وتبتسم مشجعة لتشير لهم أن يقتربوا أكثر فيقتربوا.. عشرات الأطفال من خلف الأشجار.. أنهض في دهشتي من هذا العالم الغريب.. تنظر لي الفتاة بعينيها الجميلتين ثم تمد يدها لي وكأنها تدعوني لعالمها..

إنتي اسمك إيه ؟؟؟

تبتسم الفتاة أكثر فتكشف عن أسنانها البيضاء.

ثريا..

للحظة يكاد قلبي يتوقف.. تلك العينان وهذا الوجه ثم يد ثريا الطفلة الرقيقة تمسك بيدي لتسحبني معها تجاه الأطفال الآخرين.. أنظر حولي ناحية البحر.. المكان خالٍ تمامًا.. سوانا.. أنا والأطفال.. إنهم يقتربون مني فيربتون عليا في دهشة.. يضحكون في سعادة لوجودي وكأنهم لم يروا شخصًا في حجمي أو سني من قبل.. لحظات أشعر فيها بالقلق حتى أشاركهم الضحك ثم يلتفت الأطفال كلهم نحو البحر صارخين في سعادة فألتفت معهم تجاه الشاطئ فيبدو العديد من الخيول السوداء الجميلة تجري بحريَّة على الشاطئ بين المياه والرمال.. تلهو في البحر بينما الأطفال تلاحقها.. أكاد أمنعهم خوفًا عليهم ثم أفاجأ أن الخيل هي من تناديهم لمشاركتها السعادة.. ثريا الطفلة

Twitter: @alqareah

تلوح تجاهي كي أقترب.. فأجري معهم فرحًا نحو الخيول التي تسابقنا فنسابقها على الشاطئ.. أبكي فرحًا بينما أنا بينهم.. أتعرقل في المياه ثم أخرج بأنفاسي خارجها هاتفًا في حرية.. الشاطئ لا نهاية له.. بصري يكاد أن ينتهي دون أن ينتهي هذا العالم الجميل.. الأطفال في كل مكان.. أرى في أعينهم كل شيء.. لقد كذب كل من وصف الحب والصداقة والسعادة والفرح.. إن ما في أعين هؤلاء الأطفال هو كل هذا. مجتمع في لحظة واحدة تكاد أن تخطف أبصار من يراها دون أن يصدق ما يراه فيفرك عينيه حتى تكاد عيناه أن تقسما أن ما يراه حقيقة..

رأيت في أعينهم رجب محمد عبد العاطي والأخ هشام أيضًا كان هناك.. رأيت أبي وأمي وشقيقتي.. كادت الشمس أن تغرب بينما أنا أدور من حولي.. أنفاسي تتلاحق بينما الأطفال تركض وتلعب في كل مكان.. ألتفت فتبدو لي هي تقف وحدها على الشاطئ بين المياه.. كانت طفلة صغيرة تقف وحدها بين المياه.. تنظر لي مبتسمة بينما تمسك ببعض الورود البيضاء في يدها ثم لوَّحت لي مرحبة فاقتربت منها بينما قدماي تغوصان في المياه.. ألهث من ثقل المياه التي تحمل قدمي على البقاء أكثر في أحضان البحر.. الألوان.. الأسماك.. هذا العالم ثم تلك الفتاة الجميلة ذات الشعر الأسود والعينين الواسعتين.

الفتاة:

مبسوط؟؟

أدور حول نفسي في سعادة بينما أنا أضحك من قلبي فعلًا وأضرب المياه في سعادة وطفولة فتبتسم الفتاة بينما تسرح للحظة بعينيها.

Twitter: @alqareah

الفتاة:

بعد الوقت.. لما كل حاجة تخلص.. هنا حنكون وهنا حنعيش..

تدريجيًّـا أدرك ما تعنيه الفتاة بينما هي تـترك الورود للمياه التي تحملها ثم تحكي لي شـارحة وقـد دارت ببصرها عـدة مرات متأملة الأطفـال والخيول والسماء.

الفتاة:

البني آدم إتخلق ضعيف.. جبان.. ممكن أخ يقتل أخوه..

أو يقتل أمه وأبوه عشان يعيش.. وبعد ما ياكل ويشرب يكتشف إنه لسه جعان وعطشـان.. يندم ساعتها على اللي عمله في حياته.. مسكين الإنسان.. لـو يعـرف الحقيقة.. مكنش تعب نفسـه وخـاف من بكـره.. كان عاش زي مـا هو لأنه مهما عمل حسـاب لبكرة.. اللي حصـل وحيحصل مش في إيديه يغيره..

ألتفت حولي بينما الشمس تكاد أن تغرب.

أنا:

أنا مش عايز أمشي من هنا.. من فضلك.. سيبيني هنا..

تبتسم الفتاة.

الفتاة:

إنت جيت هنا لوحدك.. ويوم ما ترجع هنا تاني .. حترجع برضه لوحدك..

Twitter: @alqareah

يتملكني القلق بينما قدماي يسحبهما التيار فأحاول أن أمشي تجاه الشاطئ ولكن المياه ثقيلة تمسك بقدمي.. فأرجع للوراء نحو البحر.. أسقط ثم أنادي الأطفال بصوت عال.. بينما الفتاة تبتعد عني تدريجيًا وقد ظلت تلوح لي مودعة ثم أصرخ عاليًا ...

ثريا ... ثريا..

الأطفال تقترب من الشاطئ بينما هم يلوحون لي مودعين.. أرفض وأصرخ معاندًا..

رجب ... هشام..

أغرق الآن بينما هم يلوحون لي في هدوء.. أكاد أراهم الآن بينما أنفاسي تزهق بين المياه.. أضرب بيدي وقدمي وأحاول أن أسبح دون جدوى.. المياه تغمرني.. أشعة الشمس تودع الشاطئ وتقبل المياه ووجوه الأطفال.. أصرخ فتملأ المياه رئتي.. فأستسلم غارقًا ...

■■■

Twitter: @alqareah

7

استيقظت من نومي على الكنبة الصغيرة بالصالة شاهقًا وكان الظلام يسود المنزل بينما أنا ألهث وأدرك تدريجيًا أن ما رأيته كان حلمًا جميلًا.. لأول مرة في حياتي على ما أذكر أشاهد حلمًا بمثل هذه الروعة.. أتذكر كلمات خضر جيدًا.. توجهت ببصري نحو الساعة الموجودة بالصالة بينما عقاربها عادت للحياة.. إن كل ما غفوته كان دقائق معدودة.. هي كل ما احتجت إليه فعلًا كي أدرك أن تلك الحياة التي نعيشها ليست سوى نفق مظلم نتخبط فيه كي نعيش نخشى الخطوات التالية بداخل النفق.. نخشى أن نتوه أو نضيع غير مدركين أن في نهاية هذا النفق عالمًا آخر.. عالم جميل.. ليس كمثله شيء.. لم تره أعين من قبل ولم يصفه أعتى شعراء الكون.. تحاملت على نفسي واتجهت إلى غرفتي.. ظللت مستيقظًا طوال الليل.. لم أعد بحاجة إلى النوم.. لقد كانت تلك الدقائق تكفيني..

عدت إلى مكعبي صباحًا . كنت قد وصلت مبكرًا نظرًا لأني لم أنم.. كان المكتب خاليًا عند وصولي عدا مدير شئون العاملين الذي أثنى بطبيعة الحال على مواعيدي وانضباطي في العمل متمنيًا أن يدب حماسي في باقي العاملين

Twitter: @alqareah

بالمكان.. إنه لا يعلم الحقيقة.. إن ذلك الحماس الذي يتحدث عنه ويحركني ليس سوى رغبة في الخروج من تلك الحياة والهرب بعيدًا عنها.. ضغطت على زر تشغيل الحاسب الآلي فأعلنت الويندوز بصوتها الشهير عن بداية يوم جديد في حياتي بالمكعب.. تأملت الهاتف وتمنيت أن يتصل بي خضر كما فعل أمس كي أتحدث معه وأحكي له عن حلمي.. لا شك أنه يعرف هذا الحلم جيدًا.. بكل تأكيد وصفته في كتابي.. لم أكن أفوت مثل تلك الرؤيا للناس.. كنت قد اشتريت الجرائد في طريقي للمكعب فتناولتها كي أتصفحها قبل بداية العمل.. اقترب مني فاروق عامل البوفيه المسن ووضع النسكافيه أمامي كما تعودت أن أشربه.. أسود دون الحليب بملعقة سكر واحدة.. جاء إليَّ هذا الصباح من نفسه في محاولة منه للاعتذار عمَّا بدر منه تجاهي ليلة أمس.. ابتسمت له شاكرًا.. لم يكن يعرف أنه لم يهن شخصي بأي شكل من الأشكال وإنما هي طبيعة النفس البشرية.. الشعور بالذنب لا ينتهي.. لابد أنه قد أمضى ليلته مع زوجته وأبنائه يفكر في طريقة كي يصالحني ويكسب ودي هذا الصباح.. عدت إلى الجريدة.. لا تزال العناوين تتشابه.. مؤتمرات قمة مقبلة ومؤتمرات سلام تنعقد.. أطفال يموتون جياعًا وجرحى وقنابل تنفجر في أسواق وشوارع بين المارة.. الأهلي وبعثته يصل إلى زامبيا للقاء العودة بينه وبين النادي الزامبي.. كان الأهلي قد فاز في مباراة القاهرة بنتيجة مقلقة.. هدف للا شيء.. العناوين في الصفحة الرياضية تحث الأهلي على التعويض في زامبيا وتكرار نتائج هذا الفريق المبهرة في السنوات الأخيرة.. كانت الصفوف مكتملة والفريق ليس في حاجة لمعجزة.. فقط التركيز.. قلبت الصفحات حتى وصلت لصفحة الحوادث.. لا يزال التحقيق مستمرًّا

Twitter: @alqareah

في قضية مصرع شباب 6 أكتوبر.. تحليل الطب الشرعي أثبت إصابة الشباب الخمسة وعامل المحارة بفيروس الإيدز.. كان ذلك الخبر يتوسط الصفحة.. تنهدت في نفسي بينما أقرأ السطور التالية.. لقد حدَّت الشرطة من علاقات الشباب في الجامعة وصداقاتهم فوصلوا إلى آخرين قد أصابهم الفيروس.. لولا ما قام به عامل المحارة لانتشر ذلك المرض بين العديد من شباب تلك الفئة من المجتمع وربما شباب آخرين.. لقد تحقق ما كان يرجوه رجب محمد عبد العاطي.. نجح في تطهير نفسه وتخليصها من ذلك الذنب الذي كان يطارده.. صورة أخرى لوالدة رجب وأشقائه كانت أول مرة أراهم فيها.. عائلة بسيطة جدًّا .. والدته ترتدي السواد بينما عيناها تفيضان بالدموع شارحتين أن ابنها كان متفوقًا في دراسته وأنه لم يكن ليقدم على فعل مثل هذا الأمر.. كانت محقة فعلاً.. لم يكن رجب يقدر على ذلك ولكن أنا من يقدر.. طويت الصفحات بينما الجهاز الآن كان على أهبة العمل.. الويندوز انتهت من التحضير.. لم يعد الحاسب يصدر أنين مجهود الهارد ديسك.. فقط مروحة الجهاز تدور والشاشة تضيء نصف وجهي.. إلى العمل.. وضعت الجريدة جانبًا وتناولت كوب النسكافيه وأمسكت بسماعة الهاتف بينما أنا أضغط على ملف العملاء والأرقام وأكاد أبدأ أول اتصال حتى اقترب مني مدير إدارة التكنولوجيا ممسكًا بكوب الشاي.. وجهه يحمل ابتسامة خافتة وخبيثة على عكس الأيام كلها وكأنه اكتشف سرًّا عن مغامراتي الجنسية.

صباح الخير..

أنتبه له ولابتسامته الواضحة فأردها له بابتسامة أكثر وضوحًا.

Twitter: @alqareah

صباح النور يا باشمهندس..

يتكئ على مكتبي بينما هو يقترب مني برأسه وكأنه سيقبلني قبلة العريس لعروسه في الصباحية.

فيه حد اتصل في خدمة العملا وسأل عليك يا مزة..

أفكر للحظة بينما أحاول أن أدرك هوية المتصل.. لا بد أنه خضر..

مين يا باشمهندس؟؟

يتراجع بجسده عني بينما يرشف من الشاي ثم يعود لابتسامته.

كلاينت اسمها نسرين محمود سلام.. كانت عايزة تعرف مين اللي اتصل بيها امبارح واداها الأوفر ليلى نصير..

للحظة أتنهد في نفسي فرحًا بأنه لم يكن خضر ثم تتبدل الأمور في رأسي مفكرًا في نسرين.

بيتهيألي ده كان أنا فعلًا..

يبتسم مرة أخرى وكأنه يشعر بكذبي تجاهه.

يا بيبي أنا مليش دعوة.. مش أنا اللي بحاسبك على حاجة زي كده

أنا هنا عشان السيستم وخطوط التليفون.. الماوس والكي بورد..

خدمة العملا هي اللي لو عملت حاجة غلط حتعورك.. وخدمة العملا برضه هي اللي قالت للآنسة نسرين على اسمك..

Twitter: @alqareah

يحرك حواجبه كأنه يتمنى لي قضاء ليلة سعيدة مع نسرين.. فابتسم لتلك الحركة محاولًا تبريرها لفهمي مزحته..

متشكر يا باشمهندس..

يهم مدير إدارة التكنولوجيا بالابتعاد عني بينما أنا أتنهد في نفسي مفكرًا في هذا الموقف ثم أتأمل التليفون للحظة متذكرًا الموعد الافتراضي بيني وبين نسرين عند محل ليلى نصير في ميدان تريومف في السادسة.. فأتناول الهاتف ثم أبحث مسرعًا بين البيانات عن رقم المحل حتى أجده.. ثم أقوم بالاتصال..

جاليري ليلى نصير.. آلو..

آلو صباح الخير.. مع حضرتك شركة تيلي سيل..

كنت باتصل بس عشان أأكد عليكوا إن الكلاينت حييجي النهاردة الساعة 6 يستلم الأوفر..

الكلاينت اسمه إيه يافندم معلش؟؟

نسرين محمود سلام.

الساعة الخامسة والنصف كنت في طريقي إلى خارج المكعب.. الشمس على وشك المغيب.. الشوارع مزدحمة بالعائدين من مكعباتهم.. تنازلت عن السيارة وقررت المشي كي أتجنب زحام الشوارع.. تذكرت الليلة الماضية بينما أنا أمشي نحو الحديقة والميدان.. شتان بين هذه المدينة في النهار وبينها

Twitter: @alqareah

في الليـل.. القلق والوجوم يبدوان واضحين نهـارًا.. لا تزال ملصقات معتز الشافعي تلاحقني في كل مكان..

توقفت عند الكشـك متنـاولًا زجاجة الميـاه الغازية التي لم أهنـأ بها ليلة أمس وكان صاحب الكشك قد رفض أن أدفع له ثمن مكالمة الهاتف فشكرته وتأملت المحل في الجهة المقابلة ثم توجهت ببصري نحو ساعة يدي.. كانت السادسة إلا خمس دقائق.. خمس دقائق تفصلني عن موعدي مع القدر.. هل ستأتي نسرين محمود سلام؟؟ خيالاتي تحدثني أنها لن تأتي ولكن قلبي يؤكد لي أنهـا في الطريـق.. في ظل الزحـام والاختناق المروري الدائـم في هذا البلد لا شـك أنها سـتتأخر بعض الوقت.. السادسـة إلا ثلاث دقائق.. سـيجارة أشـعلها.. هاتفي أتأمله.. زجاجة المياه الغازية تنتهي فأضعها على الثلاجة.. أتأمل رواد الكشـك.. طلاب المدارس يشـترون السـبارس من الكشك بينما رفيقاتهـم مـن مـدارس البنـات في انتظارهم يحلمن بـزوج المسـتقبل ورفقة القلوب الصغيرة، وفتاة شابة تتحدث في الهاتف المحمول مع من تأخر عليها في موعده معها بينما صاحب الكشـك يراجع معها أن الدقيقة بجنيه واحد.. موظفون شباب يبتاعون الحلوى والسجائر من الكشك..

بكام دي لو سمحت؟؟

عـلى الناصية يقف حشـد مـن منتظـري الأتوبيس الحكومـي في ترقب.. أصـوات آلات التنبيـه.. ضحكات طـلاب المـدارس.. الموظفون وصاحب الكشك.. الفتاة تنهر رفيقها..

ربع ساعة وحمشي يا عمر.. مش حفضل ملطوعة كده !!!!

Twitter: @alqareah

إنها موسيقى النفس البشرية.. أدور ببصري تجاه جاليري ليلى نصير.. إنها السادسة.. لا داعي للدهشة.. إن السيارة «النيسان تيدا» السوداء تقترب كي تقف أمام المحل وتترجل نسرين محمود سلام من السيارة بصحبة صديقة لها.. كانت ترتدي جينز أزرق وقميصًا أبيض بينما تحمل جاكيت أسود في يدها.. شعرها الأسود الفاحم قد وضعته خلف رأسها على هيئة ذيل حصان بينما هي تخلع نظارة الشمس عن عينيها.

مع خطواتي تجاه المحل أفكر وأراجع ما سأقوله في رأسي عدة مرات.. كنت قد اتخذت قراري مبكرًا أن أبدو في مظهر أنيق قدر المستطاع.. كان الخدر يتسلل لجسدي بسبب الدقائق القليلة التي نمتها ليلة أمس ولكن الأدرينالين الذي يسري في جسدي الآن أفاقني متنبهًا لما يحدث من حولي.. لما أنا على وشك أن أقدم عليه.. عبرت الشارع نحو المحل.. كانت نسرين تقف بالفعل مع أحد العاملين بداخل الجاليري.. نسرين تتابعه ببصرها ثم ترفع رأسها تجاهي وتتلاقى عيناي مع عينيها اللتين تخليتا الآن عن النظارة الشمسية فصار وجهها الصغير واضحًا.. كانت جميلة فعلًا.. لقد أحسنت يا قلبي باختيارك لها.. أسرع إلى داخل الجاليري وقلبي يكاد تهرب منه نبضاته.

مساء الخير.. آنسة نسرين؟؟

كانت نسرين تنظر تجاهي بالفعل بينما للحظة كان وجهها في حالة دهشة وكأنها تتعجب من وجودي بهذا المكان وأنها تعرفني من قبل..

نسرين:

Twitter: @alqareah

أيوه..

أبتلع ريقي في حذر ثم أمد يدي تجاهها مقدمًا نفسي.. ناطقًا باسمي ثم اسم تيلي سيل فتبتسم مرحبة.

نسرين:

آه هاي إزيك؟؟

تصافحني الآن بيدها الصغيرة.. كانت باردة قليلًا مما يوحي أنها كانت تجلس في تكييف السيارة.. ناعمة.. رقيقة.. تخشى أن تضغط عليها فتتكسر أناملها في يدك.

أنا:

الحمد لله يافندم ... أنا هنا عشان بس أتأكد إن حضرتك استلمتي الأوفر..

تسحب يدها فأسحب يدي بينما هي تبتسم.

نسرين:

ثانك يو والله.. مش عارفة أقولك إيه..

تذكرت نسرين وجود صديقتها معها فقدمتني لها متداركة الموقف ثم عادت ببصرها نحوي بينما أنا أصافح صديقتها.

نسرين:

إنت عارف أنا بجد لحد النهارده الصبح كنت فاكرة الموضوع مقلب معمول فيا.. أصل إنت مش فاهم أنا تركيزي صفر..

Twitter: @alqareah

أضحك مجاملة بينما أحاول تكوين صورة عن شخصيتها.. كانت لطيفة وغير متكلفة.. لا شك أنها أدركت الفارق الاجتماعي الواضح بيني وبينها ومع ذلك شاركتني في شخصها.. بالرغم من رقتها وجمالها الهادئ فإنه من الواضح عليها الجدية في التعامل والثقة بالنفس.. لا شك أن والدتها من الصغر قد عودتها أن الجمال قد ينتهز ويستغل من قبل من حولها فلا بد عليها أن تكون شخصية مستقلة.. التزمت صديقتها الصمت بينما نسرين تقود العامل وتوجهه كي يتعامل مع السيارة بحرص.. تابعتها في صمت وأنا أبحث عن مدخل للحديث حتى تحدثت صديقتها لتنبهها لأمر ما ويا ليتها لم تتحدث..

نيسو ..شفتي صور معتز ؟؟

بقت مش ممكن مالية الشوارع في كل حتة..

تتنبه نسرين لها وقد أشارت إنجي نحو الشوارع والملصقات.

نسرين:

آه يا بنتي ده خلاص.. حينزلي من الحنفية.. بقى عامل زي تامر حسني كده.

تضحك صديقتها ويشاركها العامل الابتسام ولكن الوحيد بالتأكيد الذي لم يضحك لهذه المزحة كان أنا:

هو حضرتك تعرفي معتز الشافعي؟؟

تنظر نسرين تجاهي.

نسرين:

Twitter: @alqareah

أنا خطيبته..

أصرخ في رأسي بكل أنواع السباب المتعارف عليه دوليًا.. إلى متى سأظل أفاجأ؟؟ لا بد أن أدرك الآن.. لا مجال للدهشة.. نسرين هي الزوجة المرتقبة لمعتز الشافعي.. هي والدة ذلك الطفل الذي سيقود ذلك البلد للتهلكة.. هي أم عدوي..

نسرين:

وبعدين إيه حضرتك دي يا عم.. إنت عندك كام سنة؟؟

أتدارك نفسي متنبهًا لسؤالها.

أنا:

تلاتين..

نسرين:

طب دانا اللي أقولك حضرتك وأستاذ كمان..

أبتسم بينما أخفض بصري تجاه الأرض في احترام.

أنا:

ربنا يوفقه في الانتخابات إن شاء الله..

تفكر نسرين للحظة ثم تتخذ قرارها بالكلام.

نسرين:

من واحنا في الجامعة ومعتز بيحلم بده.. بصراحة عمري ماقتنعت

Twitter: @alqareah

إنه حيوصل لحاجة في البلد دي.. بس بجد أنا فخورة بيه..

أتنهد.

أنا:

أكيد..

نسرين:

النـاس حالتها بقت صعبة أوي.. الـدور والباقي على الجيـل اللي طالع . لو ملقاش حد يقف جنبه ويساعده ويوصل صوته ويديله أمل في بكرة ممكن جدًّا البلد تخرب..

ألتزم الصمت وأنا أتمنى أن أخبرها بالحقيقة.

نسرين:

إنت خريج إيه؟؟

أتعجب للحظة من السؤال.

أنا:

تجارة عين شمس..

نسرين:

وبتشـتغل تيلي سـيل.. إنت عـارف أنا في واحـدة قريبتنا خريجة هندسـة معلومات.. فتحت مزرعة كلاب في القطامية..

أضحك للمعلومة في سخرية.

Twitter: @alqareah

أنا:

بيتهيألي في البلد دي حتشتغل كويس..

تضحك نسرين وصديقتها.. كانت ضحكتها جميلة بحق..

نسرين:

وجهة نظر برضه..

يلتفت العامل ليقترب منها ويهديها الهدية، كانت عبارة عن حلق فضي رائع مشغول بالذهب.. تأملته في سعادة وأنا أيضًا تأملته جيدًا كان جميلًا بحق في أذنيها وهي تقوم بتجربته أمام صديقتها ثم تلتفت تجاهي..

نسرين:

فيه استمارة لازم أملاها ولا بيانات محتاجينها مني؟؟

أنا:

لا أبدًا.. خلاص كده..

تفكر نسرين للحظة وكأنها لا تريد الرحيل.

نسرين:

متشكرة جدًا بجد.. ولو عندكو أي حاجة مجانًا تاني ياريت تكلمونا..

أبتسم لها مجاملة بينما أؤكد لها أننا سنتصل بها مرة أخرى ثم تمتد يدها لتصافحني فألاحظ خاتم الخطوبة في يدها اليمنى فتتنبه نسرين لنظراتي.

أنا:

Twitter: @alqareah

مبروك على الخطوبة وإن شاء الله الانتخابات تبقى وشها حلو عليكو..

أسحب يدي من يدها فتبتسم لي شاكرة.

نسرين:

إن شاء الله.. تحب أوصلك؟؟

أنا:

لأ كتر خيرك.. أنا عربيتي الناحية التانية..

تومئ نسرين برأسها مبتسمة بينما أنا أصافح صديقتها فتتجه هي نحو مقعد القيادة فأتنبه وأفتح لها الباب في ذوق فتبتسم شاكرة.

أنا:

معلش هو سؤال غريب شوية ..

إنتو حددتوا ميعاد الفرح ولا لسه؟؟

تتملك نسرين الدهشة للحظة بينما تتبادل النظرات مع صديقتها التي تجلس الآن إلى جوارها ثم تعود ببصرها نحوي.

نسرين:

في مايو إن شاء الله.. سبعة وعشرين..

أغلق باب السيارة في هدوء.

أنا:

بعد الانتخابات يعني.. يارب تبأه الفرحة واحدة..

Twitter: @alqareah

تبتسم نسرين شاكرة بينما تتناول حزام الأمان ثم تودعني وتتحرك السيارة مبتعدة عن جاليري ليلى نصير بميدان تريومف وتلاحقها عيناي بينما تختلط الأمور في رأسي.. المشاعر تتضارب.. هل ستكون نسرين هي طريقي لمعتز؟؟ أم هي مجرد صدفة؟؟ من معرفتي بتلك الحياة جيدًا.. ليس هناك ما يسمى الصدفة ...تناولت علبة سجائري من جيبي وشرعت في تناول سيجارة منها حتى تنبهت أني قد فرغت من آخر سيجارة في العلبة فتوجهت نحو الكشك مرة أخرى وأنا أراجع ما تبقى معي من نقود حتى لا أتعرض لموقف مشابه لما حدث ليلة أمس.. كان صاحب الكشك يتحدث في الهاتف المحمول بينما أنا أقترب منه.. كان يبدو عليه الدهشة بينما أنا أقف أمامه.. ظل يرمقني للحظة بدهشة وقبل أن أمد يدي إليه بالنقود قدم لي هو الهاتف المحمول ..

تليفون عشانك يا بيه..

تعجبت للحظة ثم أدركت على الفور هوية المتصل.. لا داعي للتعجب..

آلو.

يأتي صوته من الناحية الأخرى.. هادئًا.. واثقًا.. إنه خضر..

عمرك رحت القلعة بالليل؟؟

Twitter: @alqareah

8

آلوان تو إيت البيضاء تقف أمام حديقة القلعة في الثانية عشرة ليلًا.. هكذا أراها من أعلى السور الحجري للقلعة.. تعمدت الوصول مبكرًا عن موعدي كـي أتأمل هذا المـكان.. لم أكن قد زرته من قبل.. تناولت أنفاس السـيجارة تباعًا بينما أفكر في لقائي بنسرين.. أتمنى ألا تكون هي طريقي لمعتز الشـافعي كنت قد تعلقت بها أكثر.. لم تكن كثريا في شيء وإنما كانت مختلفة.. متفردة.. لم تكن تشـبهني كثريـا في الظروف والحالـة الاجتماعية ومنطـق العلاقات.. كانـت تشـبهني أنا.. تتحدث مثـلي.. تتفحص ببصرها.. تلاحـظ ما هو آتٍ في وجههـا.. عندما سـألتها عن موعـد الفرح.. أكاد أجزم أنها شـعرت بأني سـأحاول إيقاف تلك الزيجة بشـكل أو بآخر.. سـأقتل ذلـك المعتز. إن حبه لنسرين وتعلقه بها قد أعطاني الآن سببًا كي أقتل معتز.. أعتصر السيجارة في فمي ثم أنفخ الدخان في غضب.. خطوات في الظلام تقترب.. أتأمل سـاعة يـدي.. إنها الثانية عـشرة.. إنه خضر.. لقد وصـل.. توجهت ببصري نحوه بينـما هو يخترق الظلام كي تظهر ملامحه تدريجيًّا على الضوء الخافت المتسـلل من ساحة القلعة.

Twitter: @alqareah

خضر:

عندك فكرة إن ناس كتير مقتنعة إن جامع محمد علي هو القلعة؟

ألتزم الصمت مفكرًا للحظة بينما هو يقف الآن أمامي.

أنا:

القلعة هي السور الحجر اللي أنا وانت واقفين عليه دلوقت..

يبتسم خضر موافقًا.

خضر:

السور الحجر ده هو الحاجة الوحيدة تقريبًا اللي حتعيش الخمسين سنة الجايين..

أنا:

و الهرم وأبو الهول؟؟ والأهلي والزمالك؟؟

يبتسم خضر بينما هو يتكئ على السور.

خضر:

مصر حتتغير كتير عن مصر اللي انت شايفها دلوقت ..

أنا:

حتتنيل أكتر من كده إيه ؟!!

خضر:

بالعكس مش حتتنيل خالص..

Twitter: @alqareah

يبـدو على وجهي الاهتمام الآن بينما هو يبتسـم شـارحًا.. كان خضر هذه الليلة أقل عبئًا.. أكثر راحة.. كان صديقًا فعلًا..

خضر:

مـصر بعد عشرين سـنة من دلوقـت.. حتبأه أغنى بلـد في العالم.. ودي بداية النهاية ..

أنا:

مصر؟؟ إزاي يعني؟؟ البلد دي؟؟ اللي كلها خرابات وعشش؟؟

يقترب مني خضر وقد بدا السؤال منطقيًّا نوعًا ما بالنسبة له.

خضر:

الخرابات والعشش اللي قدامك دي مليانة ناس و الناس لحم ودم وروح.. محدش نفسه يعيش ويموت في عشة.

أنا:

ولا في خرابة أكيد.

يبتسم خضر للتعقيب.

خضر:

بالظبط.. من غير ماوجع دماغك في التفاصيل.. بس السر كله

في ورقة الفلوس اللي في جيبك.. العالم اللي انت شايفه دلوقت

Twitter: @alqareah

مبني كله من ساســه لراســه على ورقة الفلوس دي، بس الأنظمة اللي بنته حتقع وتنهار.

ألتزم الصمت للحظة مفكرًا فيما قاله خضر.

أنا:

هو بعد خمسين سنة حيكون لسه في أمريكا وإسرائيل؟؟

يتنهد خضر.

خضر:

لأ.. أمريكا حتتفكك.. زي الاتحاد السوفيتي كده..

الصراعات فيها حتزيد.. الإســلام حيحتلها.. حيبـأه دين الأغلبية هناك وبالتالي إسرائيل حتقع بس الخطر حييجي من ناحية تانية..

أنا:

الصين ولا إيه؟؟

خضر:

طب ما انت شاطر أهه.

يشير خضر بأصبعه منبهًا.

خضر:

الشرق حيعلن حربه على الإيمان بكل صوره.

أنا:

Twitter: @alqareah

و طبعًا ابن معتز حيكون معاهم.

يتنهد خضر في أسـى متذكرًا بينما هو يتناول سيجارة من علبته الذهبية ثم يشعل السيجارة في هدوء.

خضر:

لأن مصر أقوى بلد في المنطقة.. الكل حيسمع كلام الحاكم.. بس الثورة حتلاقي قانون يحركها.

واحد من بلدها.. عاش ومات فيها..

أتنهد في نفسي بينما خضر يوجه كلامه تجاهي.

أنا:

الكتاب بتاعي اللي أنا لسه مكتبتوش..

الصمت على وجه خضر وهو ينفس دخان سـيجارته رافضًا التعقيب ثم أتنهد للحظة بينما نسمات الهواء الباردة تدفعني لفرك يدي.

أنا:

إمبارح حلمت حلم غريب أوي.. كنت على زي جزيرة

كده.. كلها أطفال.. كان أجمل مكان شـفته في حياتي.. حسـيت إني عايز أعيش في المكان ده طول عمري..

يتنبه خضر لكلامي.

أنا:

Twitter: @alqareah

شفت هناك ثريا وأبويا وأمي وأختي ورجب والأخ هشام..

بنت صغيرة قالت لي إن المكان ده اسمه «بعد الوقت».. وإني حرجع تاني ليه لوحدي.. الكلام ده موجود في الكتاب؟؟

يفكر خضر للحظة ثم يتناول من جيبه كتابًا أحمر بلون الدم القاتم، غلافه جلدي بينما الحروف على الغِلاف بخط عربي ذهبي أنيق ويتوسطه ساعة قديمة كانت تشير للثانية عشرة.. كان عنوان الكتاب.. «بعد الوقت» وكان اسمي مكتوبًا أسفل العنوان ...

خضر:

من ساعة ما قريت الكتاب ده

و أنا كان نفسي أعرف إنت ليه سميته كده..

لحظة صمت بينما أتأمل صفحات الكتاب وأتصفحه سريعًا.. كان الكتاب يحمل كل ما دار في رأسي على مدار ثلاثة فصول.. كل فصل منها يتكون من مقاطع أحكي فيها عن كل شيء بالترتيب.. معاناتي ومعاناة الناس من حولي.. التفاصيل كلها حقيقية.. لا شك أنني فعلًا من ألف هذا الكتاب.. كانت ثريا هناك وكان الأخ هشام ولقائي به في المسجد ثم رجب محمد عبد العاطي وشقته على سطح العمارة في شارع المبتديان..

أمسك بالكتاب في يدي غير مصدق..

أنا:

تسمحلي آخد الكتاب ده؟؟

Twitter: @alqareah

يبتسم خضر تجاهي في تفهم

خضر:

أنا حافظه حرف حرف.. وبعدين ده كتابك..

أتأمل الكتاب مرة أخرى ثم أضعه في جيب الجاكيت.

أنا:

أنا مش عارف أصدقك ولا اصدق ايه بالظبط

ينظر خضر تجاهي مبتسماً.

خضر:

مش مهم تصدقني.. المهم تصدق نفسك.. قتلك لمعتز مش حيمنع إن العالم كله يتغير.. بس حيوحد الصفوف في وقت مهم قوي.. خليك فاكر إن زي ما فيه يوم بيعدي النهارده

فيه يوم بيعدي كمان خمسين سنة..

أفكر للحظة وأدرك أهمية الوقت الآن..

أنا:

فيه أمل أبويا يعيش؟؟

خضر:

من اللحظة اللي خدت فيها قرارك تسمعلي.. كل اللي جاي

حيتغير نتيجة اللي إنت حتعمله.. محدش يعرف إيه اللي حيحصل ..

Twitter: @alqareah

أتنهد مفكرًا بينما يبتعد خضر عني فأتحرك بالاتجاه المعاكس خارج القلعة حتى أتذكر شيئًا ما فألتفت تجاه خضر الذي لا يزال يسير في طريقه مبتعدًا عني.

أنا:

تقدر تاخدني معاك لبكره ؟؟؟

يتوقف خضر عن المشي ثم يلتفت تجاهي فأكرر سؤالي مؤكدًا.

أنا:

لو قتلت معتز.. في طريقة تقدر تاخدني معاك لبكره؟؟

خضر:

مأنا قلتلك.. لو قتلت معتز.. أنا مش حبأه موجود..

بس يمكن يبأه في طريقة تاخدك لهناك..

الراحة تتسرب في صدري وشبح ابتسامة خافتة يعلو شفاهي.. بينما يلتفت خضر مرة أخرى في طريقه ليبتعد في الظلام.. أطمئن لوجود الكتاب معي في مكانه وأتأمله في يدي لثوان ثم أمشي مبتعدًا أنا الآخر.. لم تكن الوان تو إيت تعاني الوحدة.. كانت كما تركتها منذ دقائق فالساعة لا تزال الثانية عشرة من منتصف الليل.

***

Twitter: @alqareah

9

قضيت الليل كله في قراءة الكتاب.. لا شك أني فعلًا من ألَّفه.. التفاصيل كلها حقيقية.. لا أحد يعلم عني كل هذا سـواي.. لو أن هناك كاميرا مراقبة حـولي في مكان ما بالأرض طوال عمري لم تكـن لترصد كل تلك التفاصيل أبدًا.. أحاسيسي المتخبطة ومشاعري المختلفة.. كل ما دار في رأسي من فلسفة دون هدف أو لهدف.. كان هناك على الورق.. سطور متتالية وحروف تحمل تاريـخ حيـاتي كلـه.. بعض المقاطع كان خـضر قد وضع خطوطًـا عليها كي يتذكرها..

أمـا يمكـن لأحد أن يجذب رافعة شيء ما مشـابه للسـيفون ليغرق عالمي الذي يبدو له كالحشرة أيضًا؟!!

سـيأتي اليـوم الـذي يحتفظ فيـه كل رب أسرة بسـلاح حـي في منزله لرد المعتديـن والمجرمـين.. سيسـكن أصحاب الجريمـة المنظمة المنـازل القديمة بوسـط البلد بينما سيسكن أصحاب الأعمال التجمعات والفيلات بعيدًا عن المدينة..

إنها فعلًا موسيقى النفس البشرية..

Twitter: @alqareah

لقد كان رجب محمد عبد العاطي من أكثر طلاب كلية التجارة جامعة عين شمس اجتهادًا ..

أنفاسي تتلاحق ودقات قلبي تسرع من نبضها بينما أنا أتأمل الصفحات تباعًا..

كان الأخ هشام من طلاب الفرقة الثانية وهو على حد كلامه يمثل جماعة من الطلاب التي تدعم بعضها البعض من خلال أنشطة مختلفة مثل التكافل وحتى تحفيظ القرآن.. التزمت الصمت بينما أنا أتابع وجوههم وأثر الاستماع لحديث الأخ هشام عليهم.. إنهم يؤمنون بكلامه.. يحبونه.. فأبتسم في نفسي.. إنهم يبحثون عن بطل يتعلقون به ..

اللي حصل وحيحصل مش في إيدينا نغيره..

كانت تلك أجمل أيام حياتي فعلًا.. كل نهار من يومي أجد سببًا واضحًا وصريحًا للاستيقاظ.. سألتقي بثريا..

أشعار وكلمات حب لم أكن أصدق معانيها حتى تلك اللحظة.. رأيت ثريا في كل النساء من حولي.. الأيام تمر كالحلم وأدعو ألا تنتهي تلك السعادة.

أستمع لدروس الأخ هشام في المسجد وبينما هو يتحدث عن علامات الساعة ونهاية العالم أدعو ألا ينتهي العالم قبل أن يرى العالم ثمار حبي لثريا من أطفال وبيت دافئ ..

لقد كانت سعيدة معي.. أنا من سيحررها.. أنا من سيحررها ..

Twitter: @alqareah

تناولت ثريا علبة الكبريت في يدها الأخرى وأشعلت العود.. كانت الحرب الآن ستشتعل بينها وبين عباس.. حاولت أن أهمس لثريا أن تتوقف.. ولكن نظراتها الحنون الباسمة تجاهي استوقفتني.. ثم همست ..اجري..

أحاول أن أدرك ما حدث فلا أصدق نفسي.. حبيبتي احترقت أمام عيني..

أبكي بينما أتذكر ما حدث.. أمسح بيدي على الصفحات وقد تعالى الحمل على صدري.. فأحاول تجاوز هذا المقطع من الكتاب باحثًا عن سطور أخرى كان خضر قد اهتم بها.

لن أكون الكلب الذي يعوي الآن.. لو ظهر من النقيب محمد أبو بكر الآلاف فسأقتلهم جميعًا.. لقد رأيت نظرات الشباب تجاه الأخ هشام في المسجد كانوا يحبونه.. كانوا يعتبرونه بطلًا ... بطلًا لوجه الله ..

كنت محقًّا في كل شيء.. لقد كان النقيب محمد أبو بكر واعيًا ومدركًا لكمِّ الجرائم التي ارتكبها في السجون.. كان مدركًا أن عذابي له الآن أخف وطئًا ولكنه توجه ببصره تجاه زوجته المقيدة التي تعاني بينما تفارق حياتها فتوجه نحو الزجاجة وتناولها كلها ..

لقد صرخ بقوة.. وسقط على الأرض بينما هو يزحف متألمًا اقتربت من رجب الذي كان يصارع الموت على أرضية الصالة وقد غطى الدم السجادة فملت تجاهه بحرص فبدا يبتسم تجاهي.

مش بإيديك يا صاحبي.. شفت النصيب؟؟ مقتلتنيش بإيديك..

Twitter: @alqareah

لقد أدركت الآن من أين جاء خضر بكل ما يعرفه عني.. إنه يملكني أنا شخصيًّا.. كنت قد وصلت إلى منتصف الكتاب بالفعل.. العديد من السطور قام خضر بوضع علامات ملونة عليها.

عالمي أشبه بمكعب صغير يتوسط ملايين المكعبات المتداخلة بين ملايين المكعبات الأكبر حجمًا التي تتجمع لتكون مكعبًا هو أحد ملايين المكعبات الأخرى التي تتجمع لتكون مكعبًا آخر.. ذلك هو عالمي..

لمحات السعادة في حياة البشر تتشكل في هذه الأشياء البسيطة.. إنهم يزينون متاعبهم اليومية بالسعادة.. إذًا ربما السعادة تكمن في الذكريات..

إن الموتى هم أسعد حالًا بكثير من الأحياء دون شك ولكنني سئمت الوحدة.

هذا العالم الذي تحارب دوله بعضها البعض لن يصادقني سكانه..

أنا لا أمثل ذات أهمية ولا منفعة لأحد.. إنني حشرة.. حشرة تتعلق بجنبات التواليت تنتظر الفيضان الناتج من السيفون.. سيجذب أحدٌ الرافعة يومًا ما وسأغرق تاركًا الحياة دون شيء يذكر..

سيظل هناك أشخاص مثل رجب تسيطر عليهم فكرة الهروب من الواقع ومحاربة الفقر والجوع قد ينتهي بهم المطاف خلف شهواتهم وأنفسهم ليقعوا فريسة للآخرين في هذا العالم..

سيظل أمثال عباس الجزار يشتهون النساء مثل التجارة يبتاعون النفوس بالمال والأمن فينتهي الأمر بأمثال ثريا.. جواريَ حبيسات..

Twitter: @alqareah

حتى المثل العليا في هذا العالم أمثال الأخ هشام ستهدم صورهم أمام أتباعهم على الهواتف المحمولة وهم عراة حفاة تغتصب أجسادهم وأرواحهم المسلوبة..

العاملون الكادحون سينتهي بهم الأمر كأبي.. في انتظار العد التنازلي لنهاية فترة الخدمة دون معاش يذكر أو حتى تقدير.. فقط مباريات كرة قدم.. كم هو قاسٍ هذا العالم !!!

نغرق في البحر أحسن ما نعيش هنا..

المصريين دول ولاد كلب يا عم..

لم أفكر كثيرًا.. صفعته بقوة.. صفعته بقوة المواطن المصري المطحون الذي يكدُّ يومًا بعد الآخر كي ينام هنيئًا ليلًا على بيته وأولاده ..

لماذا لم يتدخل أحد من كل هؤلاء حتى صفعت الشاب؟؟ هل هو الخوف؟؟ أم هل هو الشعور بقلة الحيلة؟؟ إن الأمر لم يتطلب مجهودًا.. فقط صفعة من القلب.. لا أظن أن أحدًا منهم سيتجرأ ويسب بلده الآن علنًا.. شعرت بالبطولة للحظة.. شعرت بالأخ هشام ..

البعض يتحدث عن عشوائية هذا الكون وأن الحياة لا يحكمها ربط أو إله كما يتصور الآخرون ولكن إذا أمعنت في النظر في أحداث يومك من وجهة نظر الآخرين من حولك فقد تدرك أن الكون ليس عشوائيًا كما يتصور البعض، وأن هناك ميزانًا من القوى لكي تسير الحياة في اتجاه واحد قد نسخط على تلك الحياة وذلك الخط والاتجاه ولكنك إذا أمعنت في النظر ستراه وربما حين تراه ستبتسم وستدرك أنك متى أحسست بالظلم بالحب

Twitter: @alqareah

بالقهـر بالوحـدة فإنك من ناحية أخرى تشـعر شـخصًا آخـر بالزهو بالغدر بالنصر بالصحبة..

كانـت صفحات الكتـاب الأخيرة تتحدث عن وصـول الشرطة لدلائل إدانة تجاهي وكيف تم القبض عليَّ عشـية مباراة كرة القدم التي كنت أتابعها مـع أسرتي بالمنزل ليلة السـابع والعشريـن من مايو.. لم أقـاوم القبض عليَّ.. سقط والدي فعلًا على الأرض محاولًا منع الشرطة عني ولكن عناصر الأمن دفعتـه حتـى سـقط صريعًـا.. في تلـك اللحظة قاومـت كثـيرًا.. حاولت أن أمنعهم ولكن دون جدوى..

السطور التالية كانت تحكي عن معاناتي بالسجون.. لقد اغتصبني رجال الأمـن انتقامًـا للنقيب محمد أبـو بكر.. كانت وكالات الإعـلام كلها منصبة تجاهـي.. تم الإعلان عن حكـم الإعدام في نوفمبر.. لم تنجح والدتي بالرغم من بيعها كل ما تملك في إيجاد محامٍ يخرجني من تلك المحنة ..

توقفـت عن القراءة مرة أخـرى.. لم أكن قد تحدثت في الكتاب عن الحلم الذي راودني ولكن أثار انتباهي شيء ما.. إنه بالرغم من دخول خضر حياتي فإن الأحداث كما هي.. لقد تعاركت مع الشـباب عند الكشك فعلًا من قبل بالرغم من أن تلك الليلة كنت أمضي الوقت حتى ألتقي خضر.. هل يمكنني حقًّا أن أمنع ما سـيحدث أم لا؟؟ لم يكن هناك ما يشـير لنسرين ولقائي بها.. هـل تعمـدت ألا أكتب عنها شـيئًا كـي لا تزج معي في تلـك الورطة؟؟ هذا أمـر وارد.. عدت مـرة أخرى لصفحات الكتـاب.. كان هناك فصل بأكمله يتحـدث عن مرافعات المحكمة وكيف اعترفت بكل شيء أمام الهيئة.. هناك

Twitter: @alqareah

خطبة طويلة قد قلتها أمام المحكمة.. كنت أتحدث عن العدل وميزان القوى في الأرض وعـن إيماني بقدري وسـلامة قواي العقليـة فيما فعلت.. لم أصف نفسي بالرسـول أو النبي كما ادعت بعض وكالات الأنباء ولكني مجرد شاب يدافع عن كرامة من حوله بنفسه.. قادته الأقدار لما فعله وقد أسلم لما شاءت الأقدار أن تقوده إليه.. ثم كانت تلك الجملة الختامية المكتوبة..

الناس حالتها بقت صعبة أوي.. الدور والباقي على الجيل اللي طالع

لو ملقاش حد يقف جنبه ويساعده ويوصل صوته ويديله أمل في بكرة

ممكن جدًّا البلد تخرب..

كانـت تلـك كلـمات نسريـن.. لا بد أنني قـد التقيـت بهـا ولم أذكرها في كتابي..

بعد النطق بحكم الإعدام كنت أتوق للموت.. إن الموتى هم أسعد حالًا دون شـك مـن الأحياء وأنا سـئمت الوحـدة في تلك الحياة وأعلـم جيدًا أن الموت ليس سـوى بوابة لعالم آخر يترقبني.. عالم يتوقف فيه الزمن ويجمعني بـكل مـن أحببـت والتقيت في حياتي السـابقة.. إنـه عالم يقـترب ويدنو مني بخطـوات المـوت يمد يده لي كي يسـحبني تجاهـه.. لا أخشـاه.. فهو قدري الذي أنتظره.. أنا في طريقي إليه ربما بعد أيام أو ساعات ولكني سأعيش فيه يومًا ما.. بعد الوقت..

في تلك اللحظة أدركت لماذا سـميت الكتاب بهذا الاسـم.. فابتسمت في نفـسي لقد رأيت الحلم أيضًا من قبـل بالرغم من عدم وجود خضر في حياتي مسـبقًا.. ولكن يبقى السـؤال هل سـأنجح في قتل معتز الشافعي فعلًا؟؟ أم

Twitter: @alqareah

أني مهما فعلت سيقودني إلى نفس النهاية الموجودة بالكتاب؟؟ تحقيق الشرطة كان مباشرًا ولم يكن هناك في الكتاب ما يفيد عن أسباب القبض عليَّ سوى اعترافي أثناء التحقيق بعدما أثبت شهود العيان في مدينة 6 أكتوبر وجودي بالفيلا ليلة الحادث.. لابد أنني قد تعرضت للتعذيب في التحقيق. إن هذا يفسر الأمر..

كانت الصفحة الأخيرة للكتاب تحمل إهداء مني لكل من قابلته في حياتي في جملة واحدة..

إهداء مني لكل من قابلته في تلك الحياة.

ثم عنوان دار النشر والمكتبة التي اشترى منها خضر الكتاب وتاريخ الصدور.. كانت نسخة قديمة على خضر بلا شك فهي تحمل تاريخ 2011.. صاحب تلك النسخة اشتراها من مكتبة الشروق في وقتها بالزمالك..

إن مذكرات سجين محكوم عليه بالإعدام ليس من السهل نشرها لابد أن كان لي علاقة بشخص ما ذي قوة وسلطة مكنته من هذا الأمر.. هل هو صاحب دار النشر مثلًا؟؟ هذا أمر وارد.. قمت بتدوين اسم دار النشر على ورقة صغيرة ورقم هاتف الدار وقررت القيام بزيارة هذا المكان في الغد لا شك أني سأجد هناك الإجابة عن أسئلتي...

دار نشر الأمل.

Twitter: @alqareah

10

كـي أمنع مفاجـآت خضر في مكالماته ليَّ توجهت في الصباح للحسـابات طالبًا سـلفة من المكعب.. كنت أنـوي شراء هاتف محمول أخيرًا ولأول مرة في حيـاتي ... لم أواجـه صعوبة في إقناع مدير الحسـابات الذي هلل فرحًا من طلبـي هذا.. كنت دومًا مثار الدهشـة في المكان لعـدم امتلاكي هاتفًا محمولًا في هذا الزمان..

سـاعدني مديـر إدارة التكنولوجيـا عـلى اختيار هاتف مناسـب لي بحكم خبراته في مثل هذه الأشـياء ولم تمض سـوى ساعات وبالفعل صرت أمتلك رقـمًا وهاتفًا صغير الحجم ولكنه يفي بالغرض المطلوب.. يرسـل ويسـتقبل وكان يحمـل كامـيرا صغـيرة تلتقـط الصور بشـكل يفي بالغـرض أن تصنع ألبومًـا صغـيرًا تتأمل ما فيه مـن ذكريات قبل النوم ليـلًا.. تبادلت رقمي مع كل مـن بالمكعب.. كنت فرحًا بالهاتف فعلًا كالأطفال وما إن انفض الجميع مـن حولي حتـى تأملت الهاتف كثـيرًا بينما أنا أجلس في مكعبـي الصغير.. لم يكـن خضر قـد اتصل بي بعـد.. إن قيامي بـشراء الهاتف لم يكـن مذكورًا في

Twitter: @alqareah

الكتاب.. ابتسـمت بينما أنا أتخيل خضر من أمامـي وأنا أفاجئه بالهاتف.. أنا الآن أغير المستقبل..

كانـت السـاعة الثالثة عـصًرا عندما قـررت الرحيل مبكرًا عـن العمل.. تعجب مدير إدارة شئون العاملين من النشاط المغاير لطبعي في هذا اليوم.. في الصباح أشتري هاتفًا والآن أستعد للرحيل مبكرًا لأول مرة منذ اشتغلت في الشركة منذ سنوات حتى إن إجازاتي لم أتحصل عليها.. سألني عدة مرات..

إنت كويس؟؟ مش محتاج حاجة؟؟

كنت أنفي مبتسـمًا له شـارحًا أن لدي أمورًا عائلية تتطلب مغادرة العمل مبكرًا..

يبقى شكللك كده ناوي تتجوز ..

أضحك نافيًا ولكنه يصر على أنني في حالة عشـق وهيام.. لم أشأ إحراجه ولكـن للحظـة أدركـت أنه قد يكـون محقًّـا.. إن نسرين لم تفـارق خيالي منذ التقيتهـا.. ربـما هـي السـبب في حالـة الإشراق الداخلي التي أشعر بها الآن بالرغم من أن عقارب الساعة تحمل مع دقاتها نهايتي التي تقترب تدريجيًّا..

وصلـت إلى مـكان دار النـشر في الرابعـة عـصًرا.. كان العنـوان بمـصر الجديـدة.. لم يكن الوصول للمـكان صعبًا.. لم تكن بعيدة عن مقر المكعب.. كانـت الدار مكونة مـن ثلاثة طوابـق.. أنيقة المدخل.. حديقـة صغيرة أمام المبنـى الـذي يبدو أنـه كان إحدى عـمارات مصر الجديـدة القديمة.. فكرت كثيرًا فيما سأقوله أو عمّا سأبحث عنه في هذا المكان.. هل سأدخل الدار باحثًا

Twitter: @alqareah

عمن قد يعرفني أو كنت أعرفه يومًا ما؟؟ أم هل سـأكتفي بلقاء شـخص ما هناك؟؟

مشـيت في الحديقة الصغيرة متجهًا نحو بوابة العمارة القديمة الحديدية.. كانـت السـلالم قديمة والأدوار تتكون من شـقتين متقابلتـين في كل دور ... الدور الأول حمل لافتة الدار ويبدو لي أنه الإدارة.. كان هذا الدور ما أنشده.. باب الشـقة مفتوحًا ثم الاسـتقبال بوسط الصالة الفسـيحة بينما الأثاث كله حديث الطراز من الجلد الأسـود والنوافذ الكبيرة التي تسـمح بمرور أشعة الشمس لتملأ جنبات المكان.. اقتربت من مكتب الاستقبال حيث بدا شاب في منتصف العشرينات مبتسمًا في ترحاب تجاهي.

تحت أمرك يافندم..

فكرت للحظات ثم اتخذت قراري بالسؤال.

من فضلك كنت عايز أسأل عن شروط النشر هنا في الدار..

أنا مؤلف وبدور على دار نشر للكتاب بتاعي..

ابتسم الموظف الشاب متفهمًا ثم رفع سماعة الهاتف بالمكتب.

لحظة واحدة من فضلك..

تأملـت المـكان مـن حولي بينما الشـاب يتحـدث مع من سيسـاعدني على الهاتف.

أيوه يافندم.. فيه حد بيسأل عن شروط النشر.. لأ مؤلف..

التفت الموظف تجاهي.

Twitter: @alqareah

اسم حضرتك إيه معلش؟؟

نطقت بحروف اسمي بينما هو ينقلها للناحية الأخرى من سماعة الهاتف ثم التزم الصمت للحظة وشارك من يحدثه الموافقة ثم أشار لي تجاه الكنبة الجلدية بالصالة..

اتفضل حضرتك يافندم ارتاح.. ثواني بس وفيه حد حيقابل حضرتك.

ابتسمت له شاكرًا ثم اتجهت نحو الكنبة كي أجلس ولم تمر ثوان فعلًا حتى اقترب مني عامل البوفيه مسرعًا.. ربما هو من سيقابلني في النهاية..

تشرب إيه يافندم؟؟

لم أكن في حاجة لما أشربه فشكرته بينما هو لا يزال مصرًّا على أن أشرب شيئًا وسط إحراجي.. حاولت أن أقنعه دون جدوى حتى تدخل ذلك الصوت..

مش معقولة يعني تيجي لحد عندنا ومتشربش حاجة..

التفت تجاه مصدر الصوت وكانت نسرين.. تقف مبتسمة بينما تمسك بملف ورقي في يدها تضمه لصدرها.. تملكتني الدهشة للحظة حتى أدركت سريعًا في رأسي الأحداث.. لاشك أن نسرين هي من قامت بنشر مذكراتي ولا شك أنها قد وجدت طريقة كي تتحصل عليها بينما أنا في السجن.. كان من المنطقي ألا أشير تجاهها في الكتاب كي لا يتم مصادرة الكتاب من أصله.. ابتسمت لها في راحة ثم نظرت تجاه عامل البوفيه بينما أنا أنهض عن مجلسي في ذوق كي أصافحها.

قهوة مغلية من فضلك..

Twitter: @alqareah

كانـت نسرين هـي ابنة صاحب الـدار وهي المديـر التنفيـذي للمكان.. ظلـت تشرح لي كيف عاشـت طوال عمرها بين الكتب والأشـعار.. قادتني إلى الدور العلـوي بالمبنى حيث كان مكتبها بالطابق الثاني.. فتحت لي الباب وقادتني إلى الداخل مبتسمة.

اتفضل..

كانت الشـقة كلها عبارة عن مكتبة كبيرة بدون حوائط أو جدران تفصل الغـرف بعضهـا عـن البعـض.. فقـط عالم كبـير ونافـذة ضخمة تمتـد بطول السـقف العالي الذي يصل لأربعة أمتار وحتى الأرضية الخشـبية التي كانت تحمـل أقدامنا.. الكتب كلها تم رصها بين أرفف المكتبة الضخمة التي تدور بعرض المكان كله..

نسرين

دي كلها كتب بابا وجدّي الله يرحمه..

أتأمل المكان من حولي مبهورًا بينما تأتي موسيقى بيانو ناعمة من سماعات بداخل المكان..

ما شاء الله هما الإتنين بس كتبوا كل الكتب دي؟؟

تضحك نسرين.

نسرين:

لأ.. مش فيه ناس غاوية تلم طوابع أو فلوس قديمة؟؟

بابا وجدّي هوايتهم الكتب.. عاشوا حياتهم كلها بين الورق..

Twitter: @alqareah

تتناول نسرين كتابًا من بين المكتبة بينما أنا أتابعها ببصري في شغف.

نسرين:

بابا علمني القراية من وأنا عندي ست سنين ..

مكنش عندنا تلفزيون في البيت.. يمكن عشـان كده أخويا إتجنن وساب البيت وراح كمل تعليم برة وعاش هناك.. أنا بس اللي فضلت مع بابا.

تتأمل صفحات الكتاب مفكرة بينما أنا أقترب منها.

نسرين:

طـول عمري بسـأل نفسي ليه عملت كـده؟؟ كان في حاجات كتير نفسي أعملها.. بس اخترت الكتب في الآخر ..

عارف الإحساس ده؟؟

إن حياتـك مـش في إيديك وإنك مهما كان اختيـارك في النهاية إنت مجرد خط وسط خطوط كتير بتقاطع بعض في الدنيا..

تعود ببصرها نحو المكتبة بينما أنا أقف إلى جوارها الآن.

أنا:

اللي حصل وحيحصل مش في إيدينا نغيره..

تعود ببصرها تجاهي مبتسمة.

نسرين:

بالظبط..

Twitter: @alqareah

أفكـر للحظة بينما يبـدو مكتب نسرين بطرف المكان.. كان مكتبًا خشـبيًّا أنيقًا يبدو أنه لوالدها. كان هناك العديد من الأوراق قد تناثرت من حوله مما يدل على أنها تعمل على أرضية الغرفة بينما أنا أمشي وسطها.

نسرين:

معلش أنا لما بشتغل ببهدل الدنيا شوية..

أنحنـي لأتناول إحدى الأوراق عـن الأرض.. كان نصًّا شـعريًّا مكتوبًا على إحدى الأوراق..

يومًـا مـا سـنعود لنتنفس من ميـاه الرحـم. سـتحملني بذراعيـك لنقطة البداية، سنغرق سويًّا وسأصرخ ولكنك ستطمئنني.

لم تكـن أبـدًا تلك هي النهاية، هناك على شـاطئ بعيد حيث تسـكن ثمار الحياة، سنحيا أنا وأنت.

عدت ببصري نحوها بينما هي تقترب مني في صمت.

نسرين:

تسمحلي أقولك على حاجة بس متقولش عليَّ مجنونة..

أبتسم في دهشة بينما أعيد الورقة على الأرض.

أنا:

إتفضلي..

نسرين:

Twitter: @alqareah

أول مرة سمعت صوتك على التليفون.. حسيت إني عارفاك..

ده اللي خلاني افتكر الموضوع اشتغالة.. ولما شفتك حسيت إني شفتك قبل كده..

أفكر للحظة في ردٍّ مناسب.

أنا:

في ناس بنعرفهم سنين وفي دقيقة واحدة بنكتشف إننا مكناش نعرفهم،

وناس بنعرفهم دقيقة ونحس كأننا نعرفهم بقالنا سنين..

تبتسم نسرين لكلامي.

نسرين:

شكلك كده الكتاب بتاعك ديوان شعر..

أبتسم للحظة.

أنا:

أبدًا ده ملوش علاقة بالشعر خالص..

تستند نسرين بيديها على المكتب.

نسرين:

أُمَّال إيه؟؟

أتنهد للحظة مفكرًا بينما أراعي ألَّا تضغط أقدامي على الورق المتناثر حولي.

Twitter: @alqareah

أنا:

تقدري تقولي إنه قصة حياتي..

تبتسم نسرين.

نسرين:

سوري أنا مش قصدي حاجة.. بس إنت مش شايف إنه غرور شوية إنك تشوف حياتك مهمة أوي لدرجة إنك تألف عنها كتاب؟؟

أنا:

بالعكس أنا حياتي مش مهمة خالص وده اللي مخليني أألف الكتاب ..

نسرين:

مش فاهمة..

أنا:

أنا حياتي ملهاش هدف.. قررت إني أخلق هدف لنفسي

أحكي كل حاجة عشتها في حياتي للناس.. جايز حد يتأثر بيها

و ساعتها يبقى لحياتي هدف..

تبتسم نسرين لكلامي.

نسرين:

أنا أول مرة أقابل حد بيفكر زيك.. إنت بتحب القراية أوي كده ؟؟

أنا:

Twitter: @alqareah

أنا عمري ما قريت كتاب على بعضه..

تبدو الدهشة على وجه نسرين.

أنا:

بس حاسس إني أقدر أخلص الكتاب ده.. ممكن تساعديني؟؟

في تلك اللحظة.. كان سؤالي يحمل الكثير من المشاعر لنسرين.. الصمت على وجهها بينما هي تفكر في ذلك الزائر الذي أطلَّ عليها من حيث لا تدري أو تحتسب.. أحسست بها.. كانت تشبهني كثيرًا في لقائي الأول بخضر.. كنت تائهًا شاردًا.. ما إن تعرفني وتدرك الحقيقة تباعًا حتى يهدأ ذلك الفضول والتيه الذي تمشي فيه الآن..

نسرين:

ممكن طبعًا..

أبتسم لها بينما يطرق باب الشقة عامل البوفيه حاملًا القهوة ويقترب مني في بطء وحذر فأتناول الكوب من أعلى الصينية الفضية.. كانت نسرين تتابعني بنظراتها المتشككة.. حتى التفت العامل تجاهها.

آنسة إنجي بتقول لحضرتك الورق بتاع الأستاذ معتز خلاص اتطبع

أتنبه لجملة العامل بينما أتوجه ببصري نحو نسرين في ترقب.

نسرين:

طيب أنا طالعالها يا عم سيد متشكرة..

Twitter: @alqareah

تبتعد نسرين عن المكتب بينما هي تشير لي بمشاركتها الرحلة.

نسرين:

تسمحلي أفرجك ع المكان.. أنا طالعة الدور التالت.. المطبعة..

أشاركها الطريق خارج المكتب ونحو بئر السلم مرة أخرى حيث تقودني هي لأعلى درجات السلم ونحو الدور الثالث والأخير من دار النشر حيث تكمن المطبعة.

كان الدور بأكمله مخصصًا للمطبعة والمراجعة الفنية.. العديد من الأظرف المغلقة والأغلفة المطبوعة.. عناوين كثيرة لكتب شتى.. أسماء لم أسمع عنها لمؤلفين بينما أسماء أخرى تحمل ثقلًا وباعًا كبيرًا حتى إن فردًا جاهلًا مثلي لا يمكن أن يتخطاها دون معرفة..

كانت نسرين تحب عملها.. تتأمل الأغلفة في عناية ويبدو على العاملين بالمكان أنهم يكنون لها حبًّا من نوع خاص.. إنه ذلك الحب الممزوج بالاحترام والثقة.. اقتربت نسرين من صديقتها التي رأيتها معها عند محل الفرش كانت هي إنجي.. قدمتها لي مرة أخرى وشرحت لي نسرين أن إنجي تلك هي المدير الفني لدار النشر.. لم يفت نسرين أن تشرح لصديقتها أنني مؤلف وأنوي نشر كتاب بالدار.. تعجبت إنجي لوهلة ولكن لم يكن ذلك الأمر ما يشغل بالها في تلك اللحظة كان هناك ما هو أهم.. تأملت نسرين مطبوعًا ورقيًّا لمعتز الشافعي كانت إنجي تعمل عليه.. كان مطبوعًا جديدًا يحمل وجهه بينما يذكر الناخبين بموعد الانتخابات في الرابع عشر من إبريل.. بدا

Twitter: @alqareah

الرضا على وجه نسرين بينما هي تتأمل المطبوع الورقي ثم شاركتني الرأي فيه فاكتفيت بالتشجيع وإعجابي بفكر معتز الشافعي متمنيًا له التوفيق..

اصطحبتنـي نسريـن نحـو بـاب دار النشر وبـين الحديقة حتى السـور.. توقفت أمام السور ملتفتًا تجاهها بينما هي تمد يدها لمصافحتي..

نسرين:

حشوفك تاني قريب؟؟

أنا:

أكيد إن شاء الله..

صافحتها بينما يدها الرقيقة ترجوني ألَّا أتركها.

نسرين:

في كام كتاب كده حابة إنك تقراهم.. ممكن يدوك فكرة عن شكل

الكتابة في حاجة زي السيرة ... ده طبعًا لو معندكش مانع..

تفلت يدي عن يدها.

أنا:

والله يبقى كتر خيرك.. أنا لسه مش عارف أبتدي إزاي ومنين ..

بس أنا مكنتش عايز أتعبك معايا..

نسرين:

إحنا مش اتفقنا إني حساعدك؟؟ وبعدين لو حنشر الكتاب بتاعك

Twitter: @alqareah

يبأه لازم أتأكد إنه حاجة من الآخر.. أُمال إنت فاكر إيه يا أستاذ؟ الموضوع مش بالساهل كده..

أبتسم لمزحتها بينما أشكرها مجددًا ثم أكاد أبتعد حتى تنبهني هي أن أتبادل معها رقم الهاتف.. كدت أغفل عن ذلك بسبب احتفاظي بالرقم فعلًا ولأنني من المستجدين من أصحاب الهواتف المحمولة ولكني تداركت الأمر مسرعًا وبالفعل تبادلت رقمي معها ثم ابتعدت نحو السيارة.

ما إن وصلت للوان تو أيت حتى التفت نحو باب دار النشر فكانت هي لا تزال تقف عند البوابة الحديدية تتأملني من بعيد.. تلوح لي.. فتذكرت شيئًا ما.. تذكرت تلك الطفلة على شاطئ البحر.. كيف لم ألاحظ تلك العينين الواسعتين السوداوين وذلك الوجه الملائكي الرقيق.. لا تزال نسرين تلوح لي فأبادلها التحية.. هذه المرة دون الحاجة للصراخ والمطالبة بالبقاء في هذا المكان.. هناك مكان آخر سيجمعنا حتمًا..

***

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

11

لم يكن هناك اتصال من خضر طوال الليل.. كانت الساعة تقارب الثانية عشرة من منتصف الليل بينما كنت أنا في غرفتي وحدي وقد توجه والدي للنوم وبقيت والدتي أمام التلفزيون تتابع أحد الأفلام العربية القديمة التي تعشقها بينما هي تقاوم النوم كي تساعد شقيقتي التي تستذكر في غرفتها ربما تحتاج لشيء ما من طعام أو شراب أو حتى صحبة..

أغلقت باب الغرفة على نفسي ثم تناولت الكتاب في غلافه الأحمر وقررت أن أقرأه بتمعن تلك الليلة..

فصلت الصفحات بينما ألصقها على حائط غرفتي وشرعت أقرؤها جيدًا ثم تناولت عدة أوراق بيضاء كنت قد اشتريتها في طريقي للمنزل وتناولت عدة أقلام وقررت أن أبدأ في كتابة الكتاب مرة أخرى في تلك الأمسية.. أحسست وكأني أراجع ما قمت به مرة أخرى فقررت أن أبدأ الكتاب بطريقة مختلفة هذه المرة.. سأحكي عن لقائي بخضر هذه المرة.. تذكرت خضر جيدًا ومفاجآته الدائمة لي فابتسمت في نفسي وشرعت أكتب أول سطور الكتاب على مكتبي الخشبي الصغير.. إنها نسختي المعدلة.. نسخة اليوم.

Twitter: @alqareah

ذلك الخبل العقلي الأزلي.. الضحكات المتقطعة والسعال المتحشرج ببلغم عتيق معجون بضحكات خضر العالية.. إنه يسخر مني كعادته.. يتحدى ذكائي وفطنتي وكأنه يطلب مني أن أفكر أكثر قبل أن أسأله: إنت مين؟؟ وعايز مني إيه؟؟ بتعمل فيَّ كده ليه؟؟ إن خضر يسعى لإدهاشي دومًا منذ أن التقيته أول مرة.. وإحقاقًا للحق.. إنه يجيد المفاجآت..

مازلت أتذكر جيدًا أول لقاء جمع بيننا.. البعض يتصور أن لقائي الأول بشخص مثل خضر سيكون في إحدى الحارات الضيقة المظلمة أو خلف أسوار قصر مهجور في منطقة نائية ولكن الحقيقة أن لقائي الأول بخضر كان في سوبر ماركت «مترو» حيث ابتسم لي أول مرة وتناول مسحوق غسيل بريل اليدوي هامسا.

خضر:

بيرغي أحسن على فكرة !!

أمضيت الليل كله في وصف ما حدث منذ لقائي بخضر.. مرورًا بوصفي لمقر عملي بالمكعب ونظرية السيفون.. لم أضع عنوانًا لبطل الرواية كي يشعر كل من يقرأ الكتاب أنه بطل لنفس الأحداث.. لم يكن كتابي الأول يحمل شكل الرواية.. فقط عناوين وتواريخ وأحداث.. أردت كسر تلك الحالة وإعادة صياغة كل ما كتب..

أنهض عن كرسي المكتب في الكثير من الأوقات كي أراجع ما كتبت مسبقًا.. أزيد عمّا كنت قد كتبته وأوضح أكثر.. اكتفيت بالحفاظ على ما أشار خضر تجاهه في الكتاب من جمل ووصف.. كان خضر قد اختار جملًا

Twitter: @alqareah

وسطورًا هي الأكثر تأثيرًا في حياتي.. حكيت عن نسرين هذه المرة.. تحدثت أكثر عن رجب وعن ثريا. عن عامل الحمام في المطعم وكيف شعرت أنه مثل والدي عن تلك الفتاة في السيارة أعلى كوبري أكتوبر، وكيف أحسست أنها شقيقتي.. تحدثت عن عودة الزمن بي للوراء ليلة وجودي بالمطعم.. الأخ هشام وحلمي الذي راودني فيه.. شرحته أكثر تفصيلًا هذه المرة..

مرت الساعات عليَّ بينما أنا أكتب دون توقف حتى كادت عيناي تنفجران فنهضت مرة أخرى عن الكرسي وبدا صوت أذان الفجر يعلو في مكبرات الصوت من المسجد القريب فقررت أن أرتاح قليلًا وأتوضأ كي أصلي الفجر..

خرجت من غرفتي فبدت والدتي وحدها أمام التلفزيون نائمة.. لم أشأ أن أوقظها.. اكتفيت بغلق جهاز التلفزيون ثم توجهت نحو غرفة شقيقتي في هدوء وحذر ثم طرقت باب غرفتها ودخلت.. كانت تجلس على مكتبها الصغير بينما العديد من الكتب والمراجع وقاموس إنجليزي أمامها.. ابتسمت لرؤيتي.. فاقتربت منها أكثر.. لأول مرة أشعر بحبي المتدفق في قلبي لها.. أول مرة أصفها بعيني.. كانت شقيقتي قصيرة القامة.. مستديرة الوجه.. هادئة الجمال.. كانت تشبه أمي كثيرًا ولكنها احتفظت بقوام ممشوق.. صوتها الحنون يشعرني بأنها ستكون طبيبة أطفال.. كانت تشكو صعوبة المواد وقلقها من الفشل ثم نظرت إليَّ في حب وسألتني سؤالًا ملأني بالدهشة..

مش عارفة ليه حاسة إنك حتسيبنا قريب..

إنت ناوي تسافر؟؟

Twitter: @alqareah

تعجبت للحظة من السـؤال ثم اقتربت من كرسـيها ودنوت من ركبتيها لأربت عليها في حنية.

لأ يا حبيبتي.. أنا حفضل هنا جنبك..

و لو حصل وبعدت عنك شوية.. عايزك تعرفي إني بحبك أوي ..

ابتسـمت شقيقتي لكلامي وتشـجيعي لها.. أخبرتها أني أتنبأ لها بمستقبل باهر وأنها ستكون طبيبة أطفال شهيرة وناجحة..

دكتورة أطفال.. حرام عليك..

هو في حد يجيب عيال في الزمان ده؟؟

تعجبت أكثر لسؤالها.

إيه اللي مخليكي تقولي كده؟؟

طوت صفحات كتابها ثم تنهدت للحظة.

إنت مش شايف الناس عايشة إزاي؟؟ كل يوم كام واحد بيموت ..

الفقر والغلب اللي البلد دي بقت فيه !!! الناس مش لاقية تاكل ..

ابتسمت لحديثها فأمسكت بيدها في حنية.

البلد دي بكرة حتبأه أحسن بلد في الدنيا.. أنا مش عايزك تخافي من حاجة أبدًا.. أقولك على سر؟؟

تومئ شقيقتي برأسها إيجابًا فأقترب منها وأهمس لها.

Twitter: @alqareah

أنا ليا واحد صاحبي حلم حلم وشـاف فيه المسـتقبل وقاللي إن البلد دي حتكون جميلة.. زيك كده..

أربت بيدي على وجهها.

الجناين في كل حتة.. شوارع نضيفة.. هوا حلو.. وكل الناس

حتعيش مبسوطة.. بتحب بعضها والأولاد والبنات في كل حتة

مفيش خوف.. مفيش ضرب في الشوارع ولا ناس بتتعذب في السجن

لم أشعر بدموعي وهي تنساب من عيني بينما أنا أكمل حديثي لها.

و أنا وانتي وبابا وماما حنعيش ونشوف اليوم ده..

تحتضنني شقيقتي فأبكي بشدة..

متخافيش يا حبيبتي.. متخافيش أبدًا من بكره..

تبتسم شقيقتي فتبدو لي كملاك صغير بينما هي تربت على وجهي.

يـلا أنا حقوم عشـان معطلكيـش.. كل الـلي باطلبه منك حاجـة واحدة بـس.. مهما حصل متزعليش مني.. وإياكي توقفي حياتك على بني آدم حتى لو كان أخوكي.. إنتي لازم تكملي وتبقي أحسن واحدة في الدنيا ..

تومئ شـقيقتي برأسـها إيجابًا ثم أبتعد تجاه الباب في هـدوء ثم أغلقه من خلفي بينما أنا أمشي تجاه الحمام في صمت وحذر كي لا أوقظ والدتي..

قطـرات الميـاه تنسـاب من جسـدي بعـد الوضـوء.. الذنـوب والخطايا تتساقط عني.. أدعو في صلاتي لشقيقتي ولأبي وأمي من بعدي.. إن ساعتي

Twitter: @alqareah

تقـترب.. أدعو ربي كي يغفر لي ما فعلته وأدعوه أكثر كي يغفر لي ما أنوي أن أفعلـه.. إن الأمـور تتضح تدريجيًّا.. لم يكن خـضر يخدعني.. ليس هناك من صدفة.. إن مسـتقبل شعب بأكمله يكمن بين يدي.. لقد حانت ساعة حسم معتز الشافعي..

■■■

Twitter: @alqareah

12

في اليـوم التـالي توجهت للقـاء مدير شـئون العاملين كـي أفاجئه بطلبي للإجـازة.. تملكته الدهشـة مـن التبدل الغريـب في طباعي الباديـة من اليوم السابق.. لم يكن في مقدوره رفض طلبي.. كنت أعمل في المكعب منذ سنوات إلى الآن ولم أطالب يومًا بإجازة.. ظل يراجع دفاتر الإجازات وسألني مرارًا وتكـرارًا عـمَّا إذا كنـت مريضًـا أو هناك ما يتطلـب مسـاعدته فأجبته بأني في حاجة للإجازة فقط للراحة ليس إلَّا..

ظل يراجع إجازاتي كلها حتى جمعها لي في دفتر واحد ثم اسـتطرد مؤكدًا أن مجموع أيام الإجازة كلها سينتهي بعد شهرين تقريبًا..

أجازتك يا سيدي حتخلص يوم..

تأمل النتيجة من أمامه وظل يحسب في نفسه حتى راودني ذلك الشعور.. لمـاذا كنـت أدهـش دائمًا مـن المصادفة؟؟ ربما لأننـي لم أر في حيـاتي علامات كانـت واضحـة.. كانت حـولي في كل مـكان.. غضضت بـصري عنها.. أنا أعلـم جيدًا متى سـتنتهي إجـازتي.. أنا أعلم المسـتقبل جيـدًا.. لقد تعلمت كيف أراه وحدي دون الحاجة لخضر.. دون الحاجة أن يحسب لي مدير شئون

Twitter: @alqareah

العاملين مجموع أيام حياتي المتبقية.. فأجيبه مسرعًا كي أساعده وأرفع عنه مشقة التفكير.

أجازتي حضرتك تخلص يوم سبعة وعشرين خمسة..

تملكته الدهشة للحظة لقد كنت محقًّا..

ياه دانت حاسب الأيام بالثانية !!!

أبتسم له بينما أنهض عن الكرسي شاكرًا وأصافحه مؤكدًا أني سأعود في اليوم المنشود لعملي.. درت ببصري نحو الباب وكدت أخرج حتى تذكرت شيئًا ما.. كان هذا الرجل زملكاويًّا متعصبًا كأبي وكان الزمالك تحديدًا سببًا مباشرًا في حصولي على تلك الوظيفة لماذا لا أشارك هذا الرجل جزءًا من المستقبل ؟!!

على فكرة.. الزمالك حياخد الدوري السنادي..

بدت على الرجل الدهشة للحظة من كلامي ثم ابتسم مجيبًا:

أكيد والدك حلم الحلم ده مش كده؟؟

أبتسم له إيجابًا.

كده..

يرفع يداه فرحًا.

من بقك لباب السما إن شاء الله ..

Twitter: @alqareah

حييت كل من بالمكعب مودعًا إياهم وكأني راحل عنهم فعلًا ليست مجرد إجازة.. كنت واعيًا ومدركًا لما سيحدث.. لم أكن في حاجة كي أراجع نفسي كثيرًا.. توقفت عند مكتبي وتأملت شاشة الويندوز والتليفون.. ربما هي اللحظات الأخيرة لنا معًا.. صافحت مدير إدارة التكنولوجيا.. ودعت عم فاروق عامل البوفيه.. خرجت من باب المكعب وأحسست أني قد ولدت من جديد.. كانت لافتات معتز الشافعي قد وصلت للشارع المقابل للشركة.. أمسكت بهاتفي وقمت بالاتصال بنسرين..

آلو..

بدا صوتها مرحبًا من الناحية الأخرى.

هاي.. إزيك؟؟

أقترب من السيارة.

الحمد لله.. آسف لو كنت بزعجك بدري كده..

أفتح باب السيارة وأستعد للركوب.

إيه شغل التيلي سيل ده؟؟ تزعجني في إيه بس..

جاهز للحصة الأولانية يا أستاذ؟؟

أجلس خلف المقود بينما أتأمل الطريق أمامي مبتسمًا.

جاهز يا أستاذة ..

***

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

13

تناولت نسريـن عدة كتب من أرفف مختلفة بالمكتبـة الموجودة بمكتبها.. كانت هادئة في ذلك اليوم.. تركت شـعرها الأسـود ينسـدل على كتفيها بينما هي ترتدي قميصًا أزرق بلون البحر.. واسـعًا على جسـدها الرقيق واكتفت ببنطلـون جينـز فاتح اللون.. كانت تشـب على قدميهـا في كثير من الأوقات لتتنـاول كتابًـا بعيدًا عنها بالرغـم من طول قامتها إلا أنا بـدت كراقصة باليه محترفـة.. عادت بجسـدها إلى الـوراء بينما هي تنظر لأعـلى أحد الأرفف وفي يدها أربعة كتب وضعتها على الأرض ثم التفتت تجاهي..

مش عارفة مين اللي حط الكتاب ده فوق كده ؟؟!!

تضحك في حرج بينما أنا أقترب منها..

هو مهم أوي كده؟؟

تنظر نسرين نحو الرف العلوي للمكتبة في حيرة.

ده أهم واحد فيهم !!

تنظر حولها بحثًا عن شيء ما.

Twitter: @alqareah

أكيد سيد خد السلم من هنا.. ثواني..

تتجه نحو باب المكتب وتنده عامل البوفيه عدة مرات دون استجابة فعادت تجاهي بينما هي تشكو بطء هذا العامل الذي تقدمت به السن، والحاجة لتعيين من يساعده.

تأملت الكتب الأربعة على الأرض.. لم أكن أعرف من هو خليل جبران هذا الذي اهتمت نسرين بكتبه حتى اختارت لي كتابين منهما أحدهما يحكي سيرته الذاتية أو من جابريل جارسيا ماركيز هذا الذي يمكنه أن يؤلف كتابًا عن مائة عام من عزلة شخص ما..

شكلك بتحبي الناس دول أوي..

تضحك نسرين.

الناس دول ؟؟

الناس دول من أرق وأهم اللي كتبوا في التاريخ كله..

تنظر نسرين مرة أخرى تجاه الكتاب بالرف العلوي بينما تضع يدها في وسطها وتتنهد فيعلو صدرها الصغير ثم يهبط.. بينما ذراعها النحيفة تجري الدماء فيها فيزداد احمرارًا وشهوة لمن يراه.. كانت تتحدث عن ذلك الكتاب الموجود بالرف العلوي.. كان لجبران وقد أسماه النبي.. كانت تتحدث عن الكتاب وتشرح لي ما فيه من فلسفة عن الحياة وعن الآخرين ولكني كنت شاردًا مع شفتيها الورديتين وأنفها الصغير لا شك وعينيها الدافئتين.. لقد أخطأ إحسان عبد القدوس واصفًا الحب الأول بالحب الأخير.. لم يكن

Twitter: @alqareah

هناك حب أول أو أخير.. فقط هو حب واحد ستلتقي به مرة واحدة في حياتك.. هو ما سيبقى معك ولك وستدركه حين تراه ولكن كل ما مررت به سابقًا في حياتك هو محاولات فاشلة للبحث عن ذلك الحب.. أدركت الآن لماذا حاولت الانتقام لثريا من عباس الجزار كان الأمر بدافع تحريرها من عبوديتها وإهدائها حريتها المسلوبة.. لو أنقذت ثريا ولو تزوجتها لما عانينا معًا طوال العمر.. أنا في تلك اللحظة أدركت مع من ستنتهي حياتي حتمًا.. تتوقف نسرين عن الكلام ثم تعود ببصرها للرف وتنده العامل ثم تعود بجسدها لتقترب من المكتبة وتحاول الشب عدة مرات ضاحكة كي تصل للكتاب.. أنحني من بين قدمي نسرين وفي هدوء تمر رأسي بين قدميها بينما هي في دهشة للحظة وتضحك متسائلة عمَّا أفعله ثم تستسلم بينما ساقيها تلتف حول كتفي ثم أرفعها تدريجيًّا عن الأرض.. تعلو قدماها عن الأرض ثم يعلو جسدها كله وقد جلست على أكتافي.. تماسكت جيدًا بينما هي تمد يدها نحو الرف العلوي في حماس وتكاد تلمس الكتاب فتطلب مني أن أقترب أكثر فأحاول.. تمتد يدها مرة أخرى تباعًا حتى تصل فعلًا للكتاب وتتناوله من على الرف في فرحة..

تظل هي على كتفي تتأمل الكتاب للحظة بينما تنفخ التراب عنه.. إن أجمل أنواع الحب هو ما يدعوك لاكتشاف أشياء جديدة لم تكن تعرفها في نفسك مثل شراء هاتف محمول أو الاستغناء عن عملك وحمل من تحب على أكتافك كي يصل إلى مبتغاه في الحياة.. تلك الحياة..

تعود نسرين على الأرض بينما أنا أساعدها للنزول عن كتفي وتمسك الكتاب في سعادة لتتأمله في يدها.

Twitter: @alqareah

اتفضل يا سيدي..

أتناول الكتاب من يدها وأتأمله للحظة فبدت هي تراقبني بعينيها.. ألمحها خلسة.. كانت تترقب مني أشياء كثيرة.. تترقب قراءة كلماتي.. ما هذا الذي سيكتبه موظف التيلي سيل؟؟ كيف ستكون هي حياته تلك التي يتحدث عنها وعن أهميتها؟؟ تأملت صفحات الكتاب بينما أصابعي تمر من خلالها، يأتي صوت خطوات على خشب الأرضية فتلتفت نسرين ومعها ألتفت نحو الباب فيبدو رجل يقترب تدريجيًا كي يدخل ضوء الشمس المنعكس بداخل المكان فيبدو وجهه الآن واضحًا.. على الرغم من أنه في الصور يبدو مبتسمًا واثقًا طموحًا.. فإنه في تلك اللحظة كان هادئًا مترقبًا.. ذلك هو معتز الشافعي..

صباح الخير..

تفرح نسرين لرؤيته فتقترب منه مسرعة..

صباح النور..

تلف نسرين ذراعها حوله بينما هي تقدمه لي فأصافحه.. بدأت نسرين تحكي له عني وعن لقائنا الغريب عبر الهاتف ثم هنا بنفس دار النشر وكيف أنني مؤلف أبحث عمن يساعدني في نشر كتابي..

لأول مرة ألاحظ أن كل تلك التفاصيل من وجهة نظر أخرى قد تبدو أنني ألاحق نسرين وأطاردها.. اتصلت بها عبر هاتف الشركة واستدرجتها نحو العرض المقدم من الشركة ثم توجهت للقائها عند محل الفرش ومنه إلى دار النشر في اليوم التالي.. لو كانت قدماي في حذاء معتز الشافعي الآن

Twitter: @alqareah

لشـككت في هـذا الأمر على الفور ومن نظرات عينيـه تجاهي كان هذا هو ما يشك فيه فعلا..

تناولـت الكتـب في يدي واسـتأذنت نسرين للرحيـل ولكنها أصرت أن أبقى كي تعرفني أكثر على معتز الذي بدوره دعاني للبقاء.. نظرت له للحظة ثم قررت أن أهمس بما جال في صدري منذ أن رأيته.

أنا:

تسمح لي أقولك على حاجة؟؟

تعجـب معتز لثـوان بينما تبـادل النظرات مـع نسرين التي لا تـزال يدها تلتف حول جسد معتز.

اتفضل..

أنظر له في عينيه كي يصدق ما سأقول.. وكي يتأكد أنني أتحدث فعلا عن قلبي وما فيه.

أنا:

أنا أول مرة في حياتي أتمنى أكون واحد تاني..

لحظـة صمت من نسرين ومعتز.. بدت الجملة تائهة بالنسـبة لهم.. تحمل معاني كثيرة..

أنا:

كان نفسي أكون زيك وأقدر أغير حاجة في البلد دي وفي العالم

Twitter: @alqareah

اللي حواليا.. حقيقي أنا معجب بيك..

أمد يدي كي أصافحه مرة أخرى فيظهر شبح الابتسامة على وجهه.. إنه يصدقني.. فيمد يده ليصافحني.

معتز:

أنا متشكر جدًّا لكلامك ده.. بس لسه بدري على بال ما حد يقدر يحكم إذا كنت حوصل لحاجة ولا في الآخر كله حيضيع في الهوا ..

أنظر الآن تجاه نسرين مبتسمًا.

أنا:

كفاية إن معاك نسرين..

بيتهيألي أي حاجة تيجي بعد كده مقدور عليها..

تبتسم نسرين بينما معتز يتوجه ببصره نحوها.

معتز:

في دي عندك حق..

يتبادل الاثنان النظرات للحظة ثم تدور نسرين ببصرها نحوي.

نسرين:

إنت وراك إيه الليلادي؟؟

Twitter: @alqareah

أتعجب للحظة من السؤال ثم أحاول أن أجد مبررًا مقنعًا دون الحاجة إلى أن أقول إني عاطل عن العمل هذه الأيام أو إني سأبحث عن طريقة لقتل نفس الرجل الذي تمسك هي بجسده في نفس اللحظة.

أنا:

ح ذاكر الكتب اللي خدتها النهاردة..

أشير لها بالكتب في يدي فتبتسم لسرعة بديهتي ثم تترك جسد معتز لتقترب مني.

نسرين:

مش لازم أوي تذاكرها كلها الليلة.. إحنا رايحين قصر المانسترلي

في المنيل بالليل.. معتز عنده ندوة هناك.. تحب تيجي معانا؟؟

أفكر للحظة بينما يتدخل معتز.

معتز:

من فضلك تيجي.. جايز لما تسمعني وأنا بتكلم تغير رأيك فيا..

أنا:

أحبك أكتر تقصد؟؟

يضحك معتز.

معتز:

أو تقول عليَّ حمار..

Twitter: @alqareah

تضربه نسرين مازحة.

نسرين:

متقولش على نفسك كده..

يمسك معتز بيدها في حنية.

معتز:

أنا هدفي إحنا.. الشباب اللي زيي وزيك وزي نسرين..

كل ما بنزيد واحد ده بيفرق معايا كتير.. ياريت تحاول تيجي..

كان الاثنـان صادقـين في دعوتهما لي.. لم أكن سـأرفض في كل الأحوال.. كنت أبحث عن طريقة تصلني بهذا الشاب والآن وجدتها..

■■■

Twitter: @alqareah

14

كان الموعد في قصر المانسترلي في التاسعة مساء.. ما أزال أملك الوقت كي أتصفح كتابي وأحاول أن أكتب أكثر فيه.. عدت إلى غرفتي بعد تناول طعام الغـداء على مائدة الأسرة.. كان والدي يتحدث عن مباراة الأهلي مع الفريق الزامبـي التـي يلعبها عصرًا بنفس موعد الغـداء.. كان مهتمًّا بأن ان يفرغ من طعامه سريعًا كي يلحق بالمباراة متمنيًا خسارة الأهلي كي لا يعيره مشجعوه بزيادة عدد البطولات الإفريقية في سجل النادي..

أحكمت غلق بـاب غرفتي وشرعت أمزق صفحات أخرى من الكتاب وألصقهـا عـلى الحائط ومنها أتنقـل في الكتابة بين الأحـداث التالية في كتابي الجديـد.. كنـت قـد وصلـت في الكتابة ليـوم الحـق.. الدعوة التـي وجهتها لجمـع التوقيعـات المطلوبـة لإدانـة النقيـب محمـد أبو بكـر.. تذكـرت قائد الحرس صديقي ووقفته بجواري.. ترى أين هو الآن؟؟ تذكرت أيام العمل الأولى كيـف وصلت لعنوان النقيب محمد أبو بكر وكيف توجهت إلى فرحه وقتلته..

كنت أكتب دون راحة حتى صارت الساعة الثامنة مساء دون أن أشعر

Twitter: @alqareah

ثم جاء جرس هاتفي كي يوقظني من شرودي... كانت نسرين..

- آلو

يأتي صوتها من الناحية الأخرى.

- آلو.. جاهز ولا إيه؟؟

أتأمل ساعة يدي على التسريحة الخشبية الصغيرة أسفل المرآة فأتنبه للوقت.

- بلبس ونازل أهه..

أغلق صفحات الكتاب بينما أعيد الورق الممزق بين صفحات الكتاب الأول.

- طب يلا متتأخرش..

تنتهي المكالمة بينما أنا أتنهد.. لم أكن أخطط لهذه السهرة.. ما الذي قد أرتديه في مثل تلك المناسبة؟؟

توقفت بالسيارة أمام بوابة القصر.. كان المكان مزدحمًا بشدة.. مشيت بين مجموعات من الشباب قد جاءت خصيصًا لحضور تلك الندوة.. كان لمعتز أتباع كثر.. ذكرني بالأخ هشام وكيف كان يراه أتباعه بطلًا ...

وصلت إلى الساحة المؤدية للقصر.. كنت قد إرتديت قميصًا وكرافتة من ملابس العمل.. حاولت قدر الإمكان ان أبدو متأنقًا.. فكرت في أن أستأجر توكسيدو مثل التي استأجرتها يوم قتل النقيب محمد أبو بكر ولكني ظننت أنها مبالغة مني.. اكتفيت بأفضل كرافتة وقميص مع حذاء لامع..

كانت نسرين في انتظاري عند باب القصر المؤدي للقاعة الرئيسية.. كانت أول مرة في حياتي أزور فيها هذا المكان الواقع على نيل المنيل.. خطواتي أعلى

Twitter: @alqareah

السلم الرخامي بينما هي تقف وحدها بين حشود الناس القادمة خصيصًا لحضور الندوة.. كانت تبدو جميلة في بذلتها السوداء بينما ترتدي قميصًا ضيقًا وبدا شعرها الأسود يتوج رأسها بينما ارتدت حذاء أسود ذا كعب عال.. كانت تبتسم في مودة وقلق.. تلك النظرة القلقة هي كل ما دار في بالي.. ما الذي يدفعها للقلق في تلك الأمسية الساحرة؟؟

صافحتها بينما هي تجيبني وتسأل عن سبب تأخري عن الموعد فأتحجج بعدم قدرتي على العثور على مكان خالٍ كي أوقف سيارتي والفضل كله يرجع لمعتز الشافعي وجماهيره الغفيرة من أتباع..

قادتني إلى داخل القصر وبدت كأنها تملكه في رونقها وتأنقها الواضح.. درت ببصري إلى داخل المكان الساحر.. الزخارف الذهبية في كل مكان.. الغرف الواسعة ثم نافورة تتوسط إحدى القاعات.. نافورة رخامية جميلة يبدو أنها مهملة منذ سنوات.. إن أجمل أنواع الحب هو ما يدفعك لاكتشاف كل ما هو جديد في حياتك.. كنت أكتشف مع نسرين كل ما هو جديد في حياتي.. خطواتها المسرعة بينما هي تمد يدها تجاهي لتمسك بيدي كالطفل التائه الذي تصحبه والدته إلى مدينة الملاهي.. إلى عالم جديد..

قادتني إلى القاعة المخصصة لاستقبال الندوة.. كانت القاعة مزدحمة عن آخرها بينما في الصف الأول كان هناك كرسيان متجاوران يبدو أنهما لنسرين ولي.. بالفعل جلسنا متجاورين.. بدا عليها الحماس والقلق بينما هي تتنفس أنفاسًا متلاحقة ثم تدور ببصرها تجاهي فجأة..

نسرين:

Twitter: @alqareah

- مالك؟؟

أفكر لحظة في الصمت الذي احتوانا بين كل تلك الجموع.

أنا:

أبدًا..

نسرين:

- الزحمة خنقاك؟؟

أنا:

- بالعكس.. ده انا مبسوط عشان معتز .. الناس دي كلها جاية عشانه..

تبتسم نسرين ثم تفاجئني بسؤالها بينما عدسات كاميرات التصوير تستعد.

نسرين:

وانت؟؟ جاي عشانه برضه؟؟

أنظر تجاهها في قلق من الإجابة.. ثم تصفيق حاد يقاطع إجابتي لها بينما تلتفت هي وأنا معها نحو المسرح الصغير المعد لاستقبال الندوة.. كان مسرحًا خشبيًّا بينما مائدة تتوسطه وكرسي من أمامه عدة ميكروفونات ثم ظهر معتز يحيي جموع الحضور بينما التصفيق يزداد..

يقف معتز على رأس المسرح قبل أن يجلس على كرسيه ثم يشير للحضور بالتوقف عن التصفيق مبتسمًا.

Twitter: @alqareah

معتز:

النهاردة الصبح اكتشفت إننا مشينا مشوار طويل أوي سوا.. أنا وإنتوا.. كل يوم بنزيد واحد أو عشرة.. لما الفكرة ابتدت كنت لوحدي.. دلوقتي كلنا مع بعض.. وسألت نفسي ليه؟؟ عشان إيه كل ده؟؟ عشاني؟؟ ولا عشان كل واحد فينا؟؟ يبدو الاهتمام أكثر على الحضور بينما يسود الصمت.

معتز:

لحد الطريق وأنا جاي هنا بسأل نفسي السؤال ده..

أنا ليه باعمل كده؟؟ اكتشفت إني باعمل كل ده مش عشاني ولا عشانكو..اللحظة اللي إحنا فيها والساعات والأيام الجايين مرحلة صعبة علينا.. صعب نغير كل حاجة حوالينا مرة واحدة.. لكن التغيير البطيء ده حيخلق الهدف.. إحنا بنعمل كل ده عشان أولادنا.. أحفادنا.. اللي حييجي اليوم عليهم ويكتبوا التاريخ من أول وجديد.. تاريخ مفيهوش فساد ولا ظلم ولا جهل وتخلف..

يصفق له الحضور مرة أخرى بينما هو يبدو الآن واثقًا من نفسه أكثر.

معتز:

الفريق اللي معايا والمشرف على الحملة.. كان محضر لكو خطبة ..

يشير معتز ممسكًا بعدة أوراق في يده.

معتز:

Twitter: @alqareah

بس أنا مش محتاجلها .. مش محتاج كلام مترتب عشان أتكلم معاكو وتتكلمو معايا.. إحنا محتاجين نآمن بفكرة.. كلنا..

يمزق معتز الأوراق ويلقيها في سلة مهملات إلى جوار المائدة ثم يلتفت تجاه الحضور ويشير تجاه الموجودين تباعًا.

معتز:

الشاب اللي قاعد معانا ده والأستاذة.. حضرتك يافندم.. والمدام الموجودة هنا.. الراجل اللي واقف ورا الكاميرا..

ثم ينظر تجاهي وتجاه نسرين.

معتز:

حتى صحابي وأهلي وكل الناس اللي بحبهم في حياتي..

تبتسم نسرين فأشاركها الابتسامة.. كان معتز مقنعًا.. قويًا.. ذكيًا وصادقًا..

استمر معتز في الندوة واقفًا لم يجلس قط على كرسيه.. لم يمل.. لم يشعر للحظة أنه مرهق.. لم يمسح عرقه عن وجهه وظل ينادي بالوحدة في كل شيء.. كان مشابهًا في فكره للأخ هشام.. لم يكن يبحث عن الدين والدنيا ولكنه كان يبحث عن شيء مفقود في نفوس الناس من حوله.. ظل يتحدث عن محاربة الفساد والجهل وعن إيمانه بقدرة كل من هو موجود في تلك الغرفة على التغيير.

Twitter: @alqareah

مع انتهاء الندوة كانت الساعة حوالي الحادية عشرة.. بدأ الحضور في الانصراف وقد أقبل الكثيرون على تحية معتز وإنهالت الأسئلة عليه من الصحفيين ومن محبيه ومريديه.. كنت قد تأثرت كثيرًا بكلامه.. صعدت في خطوات حذرة أعلى المسرح وتأملت سلة المهملات حيث ألقى الخطبة المزعومة ممزقة.. كانت بالفعل هناك وكان هناك خطبة مكتوبة وموجهة للحضور.. إنه صادق فيما يقوله.. التفت تجاهه فكان هو يقف هناك ينظر تجاهي ويلاحظ أنني ممسك بالخطبة.. وضعتها مرة أخرى في السلة بينما الحيرة تملؤني.. إن هذا الشاب ليس كاذبًا أو منافقًا.. إنه بالفعل يحث الناس على التغيير.. لماذا أقتله؟؟

ابتعدت عن القاعة وتوجهت إلى شرفة القصر المطلة على النيل كي أشعل سيجارة مفكرًا في صمت.. ما إن أشعلت السيجارة حتى دنت مني خطوات كعب عال على رخام الشرفة التفت تجاه مصدر الصوت فبدت لي نسرين، كانت تقترب مني في هدوء..

سألتني نسرين عما إذا كنت قد قضيت وقتًا جيدًا.. كنت بالفعل كذلك.. لم أستطع أن أكذب عليها.. كان معتز مقنعًا فعلًا وزاد إيماني به أكثر الآن.. أحسست أن إجابتي قد تسببت في نظرة حزن خافتة في عينيها فحاولت أن أنظر فيهما كي أسألها.

أنا:

فيه حاجة مضيقاكي في كلامي؟؟

نسرين:

خالص.. أنا مبسوطة إن معتز قدر يسيب عندك انطباع كويس.. هو محتاج لكل واحد يقف جنبه..

Twitter: @alqareah

أنا:

النهاردة بس عرفت معتز جايب الثقة والقدرة اللي هو فيها دي منين..

تنظر نسرين تجاهي في ترقب.

أنا:

من إحساسه بيكي.. من حبك ليه ...

تبتسم نسرين لما تشعر أنها مجاملة مني.

أنا:

الحب بيد الواحد طاقة غريبة.. أنا فاكر أبويا لما عرف إن أمي حامل في أختي.. كان كل يوم الصبح بيغني..

تضحك نسرين.

أنا:

مع إنه راجل بسيط وكان مجرد موظف في الحكومة.. مهيته على قده يادوبك تكفي يربيني وتدخلني مدرسة.. لكن الحب اللي جواه.. خلاه يعمل المستحيل بالنسبة لنا كلنا ويكبر أختي ويحبها ويوصلها إنها تبأه كيان وسط الناس دي كلها..

تبتسم نسرين وتدرك ما أقصده..

نسرين:

إنت طيب أوي على فكرة ..

أنا:

Twitter: @alqareah

زمـان فيه حـد قاللي كده برضـه.. اكتشـفت بعديها بمـدة إني مش طيب وحنين.. كل الموضوع إني عايز أعيش من غير خوف وإن من حق كل واحد فينا يحس بده..

تومئ نسرين برأسها موافقة بينها ينضم معتز للشرفة فتتنبه له نسرين.

معتز:

غيرت رأيك فيا ولا لسه مقتنع إني أنفع؟؟

أبتسم له بينما أصافحه مهنئًا.

أنا:

إنت النهاردة خلتني آخد قرار إني أطلع بطاقة انتخابية مخصوص عشانك.

يضحك معتز بينما يحتضن نسرين.

معتز:

ده على كده أنا مديون لنسرين بعزومة.. انت اكتشافها الشخصي..

تبتسم نسرين ثم تقرر تغيير الموضوع.

نسرين:

شفت؟؟ أهي الناس كلها جت وزيادة كمان..

تعود نسرين ببصرها تجاهي.

نسرين:

أصل الأستاذ كان قلقان عشان ماتش النهاردة الناس متجيش ..

Twitter: @alqareah

أنتبه لكلام نسرين أكثر بينما يتدخل معتز مقاطعًا.

معتز:

يا بنتي ده الأهلي.. أفيون الشعب.. إنتي فاهمة يعني إيه الأهلي يتغلب تلاتة ويودع بطولة أفريقيا وكاس العالم في نفس واحد؟؟

يبدو التأفف على نسرين بينما يزداد انتباهي الآن.. لقد هزم الأهلي في مباراته الإفريقية.. هل يكون ذلك مؤشرًا لهزيمته في الدوري العام، وتحقق كلام خضر من تفوق الزمالك وبدء النهاية؟؟ أين خضر الآن؟؟

نسرين:

إوعى تقولي إن ليك في الكورة برضه كده؟؟

أنا:

لأ أنا مليش فيها أوي الصراحة.. بابا بس زملكاوي بزيادة..

يبدو على وجه معتز الضيق مازحًا ويتعلل بأن والدي لن يكون سندًا له بالتأكيد حيث إن معتز أهلاوي متعصب.. أشاركه المزحة ثم أستأذن في هدوء متعللًا بحاجتي للقراءة والعودة إلى المنزل.. صافحتهما بينما وعدت نسرين بلقاء قريب حيث نكمل نقاشنا حول ما أكتبه.. ودعتني نسرين بعينيها قبل يديها ثم تركتها ومشيت.. كل ما يخطر ببالي الآن أن أجد خضر كي يجيب عن أسئلتي كلها.

■■■

Twitter: @alqareah

15

كانت الساعة تقارب الثانية عشرة من منتصف الليل بينما أنا شارد أثناء القيادة مفكرًا في خضر.. أين هو؟؟ لماذا لم يتصل بي على هاتفي حتى الآن؟؟ لابد أنه لا يعرف بأمر هذا الهاتف المحمول.. تنبهت لأمر ما.. كان خضر يلاحقني حيثما كنت عن طريق الكتاب.. كان خضر يعلم أين سأكون من خلال السطور التي كتبتها.. أنا الآن أغير الحاضر؛ ولذلك من المستحيل على خضر أن يصل إلي..

عدت إلى المنزل مسرعًا وفتحت الكتاب الأول وشرعت أبحث في التواريخ عن السابع عشر من مارس.. أين كنت في السابع عشر من مارس من قبل؟؟

وجدت الصفحات التي تحمل تاريخ السابع عشر من مارس.. كان خضر قد وضع خطًّا فيها تحت فقرة تتوسط إحدى الصفحات.

ظللت أمشي وحدي في مصر الجديدة في ذلك الشارع الهادئ في تلك الساعة المتأخرة ليلًا.. إنها الثانية صباحًا.. لم أشأ أن أعود للمنزل.. تنبهت

Twitter: @alqareah

لتلك السينما القديمة على يميني.. كانت على وشك التهالك.. تشبهني في أشياء كثيرة.

وضعت الكتاب جانبًا محاولًا أن أدرك أين كنت في تلك الأمسية.. تأملت الساعة في يدي، كانت الواحدة صباحًا.. أمامي ساعة واحدة كي أصل إلى ذلك المكان المكتوب في الكتاب لعلِّي أصل لخضر..

كل ما كنت أعرفه من تلك الصفحات أنني كنت أمشي في أحد شوارع مصر الجديدة حيث هناك سينما قديمة متهالكة فيه..

تحركت السيارة في ميدان روكسي وأنا أحاول أن أخمن: أين كنت سأمشي لو كنت وحدي في ذلك الوقت؟؟

كانت هناك سينما غرناطة.. سينما محطمة ومهملة منذ سنوات.. توقفت أمامها للحظة بينما كانت عقارب الساعة تشير للواحدة والنصف.. درت ببصري حول الشارع بحثًا عن خضر.. لم يكن هناك.. عدت للسيارة وتناولت صفحات الكتاب التي فصلتها واحتفظت بها معي..

لاشك أن تلك السينما كانت في يوم من الأيام مسرحًا لكل ما هو مبهج يبعث على الضحك والابتسام والأمل.. أما الآن فهي مجرد حوائط محطمة أغلقتها الحكومة بسبب مجاورتها للقصر الرئاسي.. إنها فعلًا تشبهني في أشياء كثيرة.. لقد أغلقتني الحكومة.. أجهزت عليَّ القوانين.. كنت في يوم من الأيام مليئًا بالبهجة والفرح.. الآن أنا حوائط إنسان آلت للسقوط..

Twitter: @alqareah

أدركـت الآن ما كنـت أقصد في تلك الصفحات.. لم تكن سـينما غرناطة هي المنشـودة.. كنت أقصد سـينما بالاس بشـارع الأهـرام.. كان والدي قد اصطحبني مرة إلى هناك قبل أن تغلق السينما أبوابها..

تحركت بالسـيارة مسرعًا.. خمس عشرة دقيقة تفصلني عن الثانية فجرًا.. لا بد أن أصل في موعدي..

توقفت بالسـيارة أمام أحد محلات السندويتشـات بنفس الشارع المجاور للسينما وترجلت من السيارة مسرعًا وسط دهشة عامل المحل بينما هو يظنني زبونًا.. أجري، أسرع بينما أتأمل ساعتي.. لقد كانت الثانية إلا ثواني بسيطة.. لقد مشـيت من قبل في هذا الشـارع.. كنت حزينًا مهمومًـا.. كنت أفكر فيما يحدث وسيحدث.. الآن أنا أغير المستقبل تدريجيًّا..

أقف أمام السينما بينما أدور ببصري من حولي.. لم يكن خضر هناك.. فقط ناصية الميدان الخالي من المارة عدا ذلك الرجل المتشرد الذي ينام على الرصيف مـادًّا يديه فأخرج من جيبي جنيهًا وأقترب منه فأضعه في يده فيقبض الرجل عليهـا في طمأنينـة وصمت ثـم لا أكاد أن أبتعد حتى أتنبـه لذلك الصوت.. كان جـرس هاتف بالشـارع.. كابينـة تليفون عمومي في الشـارع حيث يأتي الجـرس منها فاقترب من الهاتف في حذر ثم تناولت سـماعة الهاتف وأجبت في ترقب:

خضر؟؟

جاء صوته من الناحية الأخرى مطمئنًا:

- وحشتك؟؟

Twitter: @alqareah

أتنهد مبتسمًا بينما أنا أتكئ على كابينة الهاتف:

إنت فين؟؟

آخر مرة دخلت السينما دي كان إمتى؟؟

أتأمل باب السينما المحطمة.

و أنا صغير مع أبويا..

أعود ببصري مرة أخرى للشارع بينما يأتي سؤال خضر واثقًا متحديًا:

تحب تدخلها تاني وإنت كبير؟؟

ألتفت تجاه باب السينما فيبدو الآن مفتوحًا فأضع سماعة الهاتف ثم أبتعد نحو السينما في هدوء صاعدًا درجات السلم نحو البوابة المعدنية..

كانت السينما محطمة من الداخل ومهجورة تمامًا.. هذا المكان كان في يوم من الأيام جميلًا وقاعاته مزخرفة بصور الأفلام وأفيشاتها أصبح نسيًا منسيًا.. التراب يغطي كل شيء.. أصوات الفئران والعِرَس.. كانت إضاءة الشارع تتخلل الحوائط المحطمة.. بينما أنا أسير في ترقب يبدو خضر هناك أعلى السلالم المؤدية نحو صالة العرض..

خضر:

يلا بسرعة الفيلم حيبتدي..

أتنبه له بينما هو يقف مبتسمًا تجاهي أعلى السلم.

Twitter: @alqareah

اصطحبني خضر لصالة العرض العلوية أو البلكون بمعنى أدق.. كانت شاشـة العرض ممزقـة ولكنها كانت تعمل.. لا بد أن خـضر قد وجد طريقة كي يشـغلها.. جلسنا معًا على كرسيين من حطام كراسي الصالة.. كان هادئًا مبتسـمًا في حماس بينما التزم الصمت في كرسـيه فاستسلمت للحالة وشرعت أتابع ما ستعرضه الشاشة لنا..

كان معتز على الشاشـة بينما إحدى مذيعات القنوات المحلية تتحدث عن مسـتقبله الباهر وفـوزه في الانتخابات، ثم مقطع آخـر لمعتز بداخل المجلس وقـد صفـق لـه المجلس كله في حمـاس بينما هـو يحيي أعضاء مجلس الشـعب جميعًـا، ثـم مقطع آخر لقاعـة محكمة بينما عدسـات وكامـيرات التلفزيونات العربيـة والمصريـة تقـوم بتصوير ما أشـارت له إحـدى القنوات التـي نتابع المقطع فيها بمحاكمة سـفاح القبة.. هكذا أطلقـت علي وكالات الإعلام في وقتها.. كنت أمشي مقيدًا بين رجال الأمن بينما أرتدي ملابس بيضاء وكانت والـدتي تبكي في قهر وتصرخ بينما المذيعة تشـير أنه تـم النطق بحكم الإعدام الصادر تجاهي.. انتفض شـعر جسـدي كله بينما توقفت الشاشة عند نظراتي نحو الكاميرا وكنت سعيدًا مبتسمًا في ثقة.

انحنيـت للأمام في الكرسي بحثًا عن التركيز بينما ظلت المشـاهد تتلاحق.. كان معتـز قـد تم تعيينه وزيرًا لشئون الدولة.. شـعبيته تزداد بينـما هو يبدو في الصـورة وإلى جواره نسرين، ثـم لقاءات تلفزيونية متتالية لـه بينما هو يتحدث عن سياسـاته، ثم مقطـع آخر لأحد البرامج التلفزيونيـة حيث تتحدث المذيعة عن تنفيذ حكم الإعدام فيَّ صباح نفس اليوم ثم تمسك بكتابي وتشير أن دار نشر قد قامت بطبع مذكراتي وهي تباع الآن في الأسواق والأمن بصدد مصادرتها.

Twitter: @alqareah

أشعر بخضر ينظر تجاهي بشفقة بينما أنا أتابع ما يحدث على الشاشة بأسى.. لقد كان خضر محقًّا طوال الوقت.. مشاهد أخرى لمعتز يرشح نفسه لرئاسة مصر وإنشائه لحزب الحرية الديمقراطي.. الآلاف يلتفون حوله بميدان التحرير.. منظر مهيب بينما نسرين تقف إلى جواره تمسك في يدها بطفلٍ صغير سنه لا تتعدى خمس سنوات..

خضر:

الصور دي من سنة 2018 ..

الهتاف من الجموع مستمر، ثم تتبدل الصورة لتبدأ وكالات الأنباء تتحدث عن كشف عظيم في الصحراء الشرقية.. البترول يتدفق من الرمال المصرية.. العمال في حالة فرح.. معتز الشافعي يحلف اليمين الدستورية أمام مجلس الشعب.. لقد أصبح معتز رئيسًا في المستقبل فعلًا..

المقاطع التالية يظهر فيها معتز يصافح أحد الأئمة.. كان رجلًا عجوزًا ذا لحية طويلة.. المقاطع التالية تأتي من قنوات عجيبة، قنوات تبدو دينية.. من هم فيها يتحدثون بحماس أشبه بحماس أسرة الشيخ هشام ولكنهم ليسوا من هشام في شيء.

أنا:

مين الناس دي؟؟

خضر:

دول الفتنة

أنظر له في دهشة مترقبًا أن يكمل حديثه.

Twitter: @alqareah

خضر:

الناس دي ظهرت مع التغيير.. ظهروا مع معتز الشافعي.. معتز كان عارف انه عشان ينجح ويوصل لطموحه محتاج يحط إيده في إيديهم.. لأن الجهل يا صاحبي والفقر اللي صاب البلد.. خلى كل واحد مش لاقي ياكل يبص للناس دي على إنها طريق الخلاص

المقاطع تتوالى حتى يظهر معتز أكبر سنًّا وإلى جواره تقف نسرين تحمل ابنها الصغير في جمع كبير ورهيب بميدان التحرير وقد وقف معتز وبجواره نفس الإمام بينما الناس تهتف له.

خضر:

الإمام.. ده الاسم اللي كل الناس تعرفه بيه.. اسمه الحقيقي ايه؟؟ مش مهم.. الإمام هو أس الفتنة كلها.. معتز كان عنده حق أما فكر إنه يقدر يحكم مصر عن طريقهم.. بس مع الأسف.. معتز كان غلطان في كل حاجة تانية.

المقاطع التالية لشوارع تنتشر فيها النيران والشغب.. الحدائق تحترق.. السينمات تحترق.. المحلات تحترق.. الموانيء تحترق.. مصر تحترق

خضر:

لما الناس وصلتلها الفتنة.. الحرب قامت بين أهل البلد.. والغلبة كانت للشعب.. الشعب اللي اختار يطرد الأئمة.

أتابع معه على الشاشة احتراق صورة الإمام ثم مقطعًا لمعتز وهو يتحدث وقد كبرت سنُّه.

معتز الشافعي:

Twitter: @alqareah

و قد قررت أن أتنحى عن منصبي وأن أعود لصفوف الجماهير.

الصور تتبدل.. معتز يتم طرده من قصر الرئاسة وهو يمشي في حسرة وحزن.

خضر:

الشعب طرد معتز ومعتز مات في بيته بعدها بسنين.

مقطع آخر لمدينة نيو يورك الأمريكية ... الآلاف في الحدائق حيث يخطب فيهم رجل أسود البشرة.. كان يتحدث عن نصرة دين الحق من خلال صلاة العيد في نيو يورك في إحدى الحدائق الواسعة أمام تمثال الحرية الذي يلوح في الأفق.. لم أكد أصدق نفسي بينما تتوالى المقاطع الأخرى لتشير للقوى العظمى في الأرض.. تحالف الصين وكوريا مع اليابان.. جيوش تغزو إيران.

خضر:

في الوقت اللي كانت مصر بتلغي كل حاجة ليها علاقة بالدين.. كان العالم كله بيلجأله.. زي ما نكون ماشيين عكس التيار.

أراقب الصور والشاشة في اهتمام.

خضر:

كنا ما صدقنا نخلص من الخراب اللي صابنا.. والناس رفضت إنها تمشي ورا التيار.

مقطع آخر يتحدث عن وفاة معتز الشافعي إثر نوبة قلبية وجنازة مهيبة يتقدمها ابنه الوحيد مع زوجته ورجال الدولة..

Twitter: @alqareah

انتهى العرض عند ذلك المقطع وقد توقف عند وجه نسرين التي بدت في سنواتها الستين ثم لدهشتي بدا أحد رجال الدولة في تلك اللقطة.. كان خضر يقف بالصفوف الأولى للمتقدمين بالجنازة ولكنه كان أكثر شبابًا.. لقد كان ممسكًا بيد نسرين في حزن مساندًا لها بينما هي كانت تبكي على كتفه.. أقترب أكثر وأنا انظر في وجه ابنها للحظة ثم خضر يقف وسط الجموع حيث كان يقف معتز.. الناس تهتف له في قوة ثم خضر يعلن في الشاشة.

خضر:

لن نسقط مجددًا لسطوة رجال الدين.. لن نعود بالزمن للوراء.. لتكرار أخطاء الماضي.. لن تسقط مصر ابدًا.

المقاطع التالية للمساجد تحترق والكنائس تدق أجراس الحريق.. لقد أعلن خضر الحرب على الإيمان.. أنظر إلى خضر الذي ينظر هو بدوره تجاهي .. إن خضر هو ابن معتز ونسرين.. ما يزال خضر قادرًا على إبهاري وإدهاشي.

أنا:

إنت؟؟ إنت ابن معتز ونسرين؟؟

نهض خضر عن كرسيه في بطء ثم وقف بقلب القاعة ناظرا تجاهي.

خضر:

أيوة..

نهضت بدوري عن الكرسي بينما أنا أنظر تجاهه وقد بدت الشاشة مستمرة في عرض مقاطع مصورة للمستقبل.

Twitter: @alqareah

أنا:

طب ليه؟؟ ليه عايزني أقتل أبوك ؟؟

تناول خضر سيجارة من علبة سجائره ثم أشعلها في هدوء.

خضر:

بعد كل ده ومش قادر تفهم؟؟

إنت لازم تقتل أبويا عشان تمنع غلطة أكبر.. أنا..

أنا:

مش فاهم.. أنا مش فاهم حاجة !!! إنت ليه عملت كده ؟؟ ليه حرقت الجوامع والكنايس؟؟ ليه موتت الناس دي كلها ؟؟؟

يتنهد خضر آسفًا.

خضر:

مش حتقدر تفهم.. مهما أحاول أشرحلك.. لما أبويا مات كانت البلد بتتحرق.. خفت اللي حصل يتكرر تاني.. خفت الناس متمشيش ورايا.. كان لازم أهد كل حاجة بتربطنا بالماضي.. وساعتها الناس مشيت ورايا.. وأخرة الطريق ده.. كان الدم.. ناس ماتت.. ناس كتير أوي ماتت.. مكنش قدامي حل غير كده.. إني أغير الغلط من أوله.

أسرح للحظة مفكرًا في كلامه الآن.

خضر:

Twitter: @alqareah

أنـا آسـف إني كدبـت عليـك.. أنا فقـت متأخـر أوي.. لما النـاس ماتت فقت.. لما الدم ملا الشوارع.. لما شفت اللي وصلت البلد ليه.. لما أمي وقفت قصادي.. لما ماتت على سريرها من زعلها عليَّ.

الصمت على وجهي وهو يقترب مني.

خضر:

أنا اللي حط إيده في إيدين الشر كله.. وصدقني صفقة زي دي.

ينظر خضر نحو الشاشـة فأنظر معه وقد بدت المساجد تحترق والكنائس تدق أجراسـها في خطر.. الناس تتدافع والصلوات تمنع.. المنظر بشـع أشـبه بمحرقة لكل من يعبد إلهًا أو لديه عقيدة أيًّا كانت.

خضر:

استحالة أقدر أرجع فيها.

نظراتي نحو خضر بينما هو يفكر في ندم.

خضر:

لما حاولت أصلح كل اللي انت شايفه ده.. اللي حواليا انقلبوا عليا

و انعزلت في مكاني وفضل الدم في الشوارع

أنا دلوقت لو مت مفيش حاجة حتتغير

الحل إن الفتنة تتقتل من أولها.. معتز لازم يموت.

الأسى على وجهي

خضر:

Twitter: @alqareah

أبويا مش الملاك اللي انت شايفه قدامك

أبويا كداب!

الأمور الآن تتضح أمامي.

خضر:

وأنا غلطت من بعده زي مانت شايف

و في وسط الدم اللي بأه ملو الشوارع والبيوت

أمي.. أمي كانت بتموت على سريرها وطلبت تقابلني.

الشرود على وجه خضر الذي يتذكر.

خضر:

إدتني الكتاب بتاعك.. قريته.. قريته كويس

و صدقت كلامك.. بس كان الوقت فات.

الصمت على وجهي.

خضر:

أنا جيتلك عشان إنت الوحيد اللي تقدر تمنع الغلط ده..

أمي عاشت طول عمرها بتحبك إنت مش بتحب أبويا..

التفت تجاهه في دهشة.

خضر:

أنا عارف إنك حتقرب منهم الفترة اللي جاية..

Twitter: @alqareah

أنا:

بس الكتاب.. الكتاب مفيهوش حاجة عنهم ؟؟

خضر:

اللي فهمته إنك مسحت كل حرف كان فيه سيرتهم..

كنت خايف على أبويا وصورته إنها تتهز قدام الناس..

إنت كنت مقتنع بيه وبتحبه.. إنت كمان آمنت بيه وصدقته..

الحيرة على وجهي بينما هو يقترب مني في إصرار.

خضر:

افهمني كويس..

البلد في كل الحالات حتتغير.. أبويا مجرد فكرة ناس آمنت بيها

لكن إنت الحقيقة.. الكتاب بتاعك حرك العالم في وقت كان محتاج فيه لبطل.. أنا مكنتش البطل ده.. قتلتهم كلهم بسببك ولما قريت كتابك فهمت الناس إتعلقت بيك ليه.. لأنك واحد منهم.. قتلت عشانهم.. ودلوقتي اللي بطلبه منك ده عشانهم برضه..

أتنهد مفكرًا.

أنا:

حساباتك مش مضمونة ... أنا مقدرش آخد قرار زي ده..

أنا شفت معتز النهاردة.. شفت إزاي يقدر يوحد الناس حواليه..

خضر:

Twitter: @alqareah

و شفت إزاي مات؟؟ مات لوحده.. معتز اللي إنت شفته النهاردة

كان عايش عشان خيال في راسه.. عشان فكرة حققتها له موازين القوة في العالم.. اللي بحاول أفهمهولك إن الفكرة دي حتتحقق بيه أو من غيره لكن اللي جاي بعده هو الخطر.. لازم يموت..

أقاطعه فجأة.

أنا:

إنت قلت إن نسرين حبتني.. مش كده؟؟

ينظر خضر تجاهي.

أنا:

أنا حمنع وجودك من غير ما اقتل حد.. لو نسرين حبتني فعلًا مش حتتجوز معتز..

يبتسم خضر في سخرية من الفكرة.

خضر:

تفتكر أمي ممكن تسيب حبيبها اللي عرفته سنين عمرها لما تكتشف إنك مجرم وقتلت الناس دي كلها؟؟

يلتفت خضر بجسده ثم يتناول عدة صحف كانت هي صحف صباح اليوم التالي لنفس اليوم الذي نعيشه ثم يفتح صفحات الحوادث ليناولها لي.

خضر:

إتفضل..

Twitter: @alqareah

أتأمـل الصفحـات في يده.. كانـت العناوين تشـير لحادثة سـتة أكتوبر.. بعض الشـهود قد أكدوا وجود شـخص آخر في الفيلا بنفس الليلة خرج من الفيـلا بعد ارتكاب الحادث راكبًا سـيارته النصر البيضـاء.. انقبض قلبي في تلك اللحظة..

خضر:

تفتكر الوقت في صالحك تقنع نسرين بحاجة زي كده؟؟

أطوي الجرائد بينما أنا أنظر تجاهه.

أنا:

أنا جربت القتل قبل كده وصدقني مجبش فايدة..

سيبني أجرب حبي ليها..

خضر:

و لو فشلت ؟؟؟

أفكر للحظة وأنا أتأمل الصحف في يدي.

أنا:

لو فشلت.. أوعدك إني حاقتل معتز.

ابتعدت عنه وعن الصالة متجهًا نحو باب القاعة ومنه إلى أسفل درجات السلم وخارج بوابة السينما.. لم يفتني أن أعود مرة أخرى للمتشرد كي أضع الجنيه في يده.. إن الساعة ما تزال الثانية صباحًا.

***

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

16

30 مارس

من كان يصدق أني يومًا ما سأتخلى عن الوان تو ايت؟؟ في كل الأحوال من كان يصدق أن يومًا ما كل ما حدث لي في الأيام الأخيرة سيحدث؟؟ قررت أن أبيع سيارتي متخليًا عنها مقابل مبلغ المال الذي أعطاه لي محمود السروجي.

يا باشا هي كبيرها والنعمة الشريفة وأيمنات المسلمين كلهم خمستاشر ألف جنيه.

أبتسم لحلفاناته المتتالية وأفكر في رأسي.. ذلك الرجل البسيط الذي تغوص زبيبة الصلاة في رأسه.. هل سيمشي خلف معتز وتحالفه مع فتنة الأئمة التي ستطول البلاد.

أنا:

ماشي كلامك يا عم محمود.. مش حكسر لك كلمة بحلفاناتك دي.

يصافحني محمود سعيدًا في مودة وهو يدعو لي أن أشتري البورش المرة التالية.. وقد نادى أحد صبيانه بالمال الذي جهزه بالفعل لشراء الوان تو

Twitter: @alqareah

إيت.. اقترب من الحائط المجاور للورشة وقد تزين بصورة معتز الشافعي.. أتأمله واسأل محمود عما إذا كان يعرفه أو مجرد أنه يحتفظ بالصورة إكرامًا لمعتز وحملته؟

أنا أسمع يا باشا إنه راجل محترم بتاع ربنا.

عدت إلى المنزل وأنا أفتح الباب بحرص وأحمل المال جانبًا.. أخفيه كي لا أثير دهشة أو ارتياب أهلي.. فكيف أبرر لهم أني بعت السيارة وأني لست في حاجة لها وأن المال في المنزل سيحتاجونه.. ربما للقضية إذا تم الامساك بي أو ربما من بعد والدي إذا مات في السابع والعشرين من شهر مايو المقبل كما أن الجرائد التي بدأت تصدر عن التحقيقات حول مالك السيارة النصر البيضاء المجهولة التي كانت تحوم حول منزل الجريمة.

مباراة الزمالك مع الاتحاد.. الزمالك متعادل دون أهداف.. والدي يكاد قلبه أن يتفطر خوفًا من التعادل.. إن الأهلي مصاب بنزيف النقاط وفرصة الزمالك للتقدم.. أربت على ساقه في حنية.

أنا:

حيجيب جون دلوقت يا بابا.. متقلقش.. الزمالك حيكسب.

ينظر لي والدي بدهشة للحظة من ثقتي ربما أو من عيني اللتين أكاد أن أجزم إن حبي لوالدي يقفز منهما الآن.. ثم يدعو إلى السماء: إن من بُقِّي لباب السما.. أقبل رأسه في حنية ثم أتوجه لغرفتي وأغلق الباب من خلفي متناولًا النقود وأضع الظرف أمامي تقطر منه النقود.. ثم أتناول كتابي في اهتمام

Twitter: @alqareah

حيث وقفت آخر مرة وكان الفصل الثالث على وشك البدء.. ثم صوت والدي يهتف صارخًا من خارج الغرفة.. من الصالة.

جووووووووووووون

أبتسم لنفسي في سعادة ثم أتأمل صفحات كتابي مفكرًا في عنوان الفصل الثالث.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الحـرب والبحـر

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

1

أذكر أنه في سنوات دراستي الإعدادية في مدرسة جمال عبد الناصر بنين في الزيتون بجسر السويس كان صديقي محمد فرج قد أتى إلى المدرسة ببمب العيد خلسة كي يرهب الأستاذ شوقي مدرس اللغة العربية والتربية الدينية في حصته.. أمسكت الإدارة بمحمد فرج وعلى حظي العثر كان فرج يجلس بجواري.. كل المطلوب مني أن أشهد على فرج.. أشهد أنه جاء بالبمب وتذكرت الآية القرآنية الخالدة.. ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾.. إنهم يهددونني بالطرد والفصل من المدرسة واشتراكي في جريمة فرج.. كل مشاركتي كانت الابتسام على ما قام فرج به، حين تصبح كل جريمة طفلًا في مقتبل العمر الابتسام.. إذًا أنت تعيش في مصر.

تحدثت للإدارة بأن الفتنة أشد من القتل.. ألم يقل الله ذلك؟ فنزل على أكتافي تهزيق وشتيمة وسباب الإدارة.. ولكن الفتنة أشد من القتل؟ ربما هي أشد من القتل ولكنها مع الأسف ليست أشد من الطرد من الدراسة والعودة إلى والدي باكيًا مفصولًا فأذيقه همًّا أكبر من همومه.. لقد تسببت يومها في فصل محمد فرج.. كان ضميري يؤنبني كثيرًا في وقتها ثم أقنعت ضميري أن

Twitter: @alqareah

الإدارة أدرى أكيد بالأمور الدنيوية والدينية وأن المبرر الذي وضعوه أمامي لجريمة فرج النابية لا تستحق أن أتستر عليها.

الآن وبعد أن مر أكثر من عشرين عامًا على واقعة فرج في المدرسة أفكر وأنا أجلس بداخل قطار إسكندرية مع أولى لحظات الفجر متجهًا إليها والقطار يتهدهد بجوار المزارع وقد اخترت أن أصادق النافذة ببصري وشرودي..

أتساءل بعد مرور كل تلك السنوات.. هل كانت الإدارة المدرسية تعي أن الفتنة أشد من القتل؟ هل كانوا يذكرون الآية أصلًا؟ لقد كان أغلبهم يؤدي الصلاة في الجامع المدرسي.. كانت أغلب المدرسات يضعن حجاب الرأس ويتحدثن ويتلامزن فيما بينهن عن أعراض الآخرين.. هل كن يدركن أن الفتنة أشد من القتل؟

أتوقف عن كتابة سطوري في الكتاب وأتوقف عن شرودي للحظة وقد تنبهت للحظة لتلك السيدة المسنة التي تجلس بجواري وهي تتحدث في هاتفها المحمول بقلق وتوتر.. إنها تحدث ابنها الذي من المفترض أن ينتظرها في محطة القطر.. تستحلفه بأيمانات المسلمين جميعًا أن ينتظرها ولا يتركها وحيدة ثم تنهي المكالمة وهي تنظر لي في أسىً:

- أصلها أول مرة يا بني أركب القطر واروح إسكندرية

خايفة لاتوه وسط الزحمة.. ابني منهم لله بأه نقلوه في شغله هناك

وأنا مقدرش أعيش من غيره جنبي

حتى مراته وعياله خدهم معاه.

Twitter: @alqareah

أبتسـم لها في مودة وقد بـدت تكمل حديثهـا وكأني صديقها الصدوق.. تتناول هاتفها المحمول في حماس

- أهي صورته أهي مع ولاده ومراته.

كان شـابًّا من نفس سـني ربما أكبر بسـنوات قليلة ملتحيًا وزوجته محجبة ترتدي خمارًا طويلًا وبجوارهما أبناؤهما.

- ابني بيشتغل في الأوقاف.. اتخرج من الأزهر،

وبقاله كذا سنة بيدي دروس بعد العشا

أصله ربنا يابني منزل عليه سماحة كده وطيبة قلب

خلت كل الناس تحبه وتسمعله.. اسمه الشيخ خالد ..

خالد عبد اللطيف.. تسمع عنه؟

سـألت السـؤال وهي تبتسم في بشاشـة، فأجيبها مع الأسـف نفيًا فتعود بهاتفها وهي تؤكد أن عليَّ الاسـتماع لتسـجيلاته وشرائط الكاسـيت الخاصة به ثم راودتني بالسؤال:

- وانت مسافر برضه شغل؟

للحظة كنت أفكر أن أجيبها بنعم.. ولكني قررت أن أكون أكثر صراحة معها دون إبداء أسباب.

- أنا؟

لا يا حاجة.. أنا زيي زيك.. أول مرة أركب قطر اسكندرية

Twitter: @alqareah

و مسافر عشان أقابل البنت اللي بحبها.

تبتسم السيدة في حماس وترقب لسماع حدوتة هي أقرب للمسلسلات الشيقة التي تتابعها على التلفزيون.

- ربنا يتمملك على خير يابني إن شاء الله.. مسافر تقابل أهلها؟

- أنا؟

لا.. أنا مسافر اقابل خطيبها عشان أقنعها متتجوزوش وتبعد عنه

عشان هي لو اتجوزته البلد حتخرب.

تنظر لي بدهشة للحظة فأبتسم لها فتبادلني الابتسام مجاملة ثم تعود للانشغال بالمارة وتتجنب النظر تجاهي بينما أنا أعود نحو النافذة.. الأخضر يمر أمام عيني كالحلم السريع وقد انعكس وجهي على زجاج نافذة القطار وقد بدت الشمس تصارع ستار الليل للشروق بعد ساعات قليلة.

Twitter: @alqareah

2

كان معتز الشافعي يستعد لندوته بمكتبة الإسكندرية في السادس من إبريل.. معتز شاب نشيط يسعى لالتفاف الجميع من حوله حتى من خارج دائرته الانتخابية.. كان يسعى لبناء قاعدة عريضة من محبيه وأتباعه.. كنت أتصور في ذلك الوقت أن لجوءه للإسكندرية ليس إلا لأنها ثانية أكبر مدن البلاد.. ولكني تعلمت بعد لقائي بخضر ألا أرى الأمور كما يفسرها عقلي ولكني في حاجة لربط التفاصيل ببعضها البعض أكثر.

وصلت إلى محطة القطار بالإسكندرية في السادسة صباحًا. كان ذلك القطار الذي يقل الموظفين بين القاهرة والإسكندرية لمن هم ذوو أشغال في تلك المدينة الساحلية الساحرة.

كانت الشمس بالفعل قد سطرت لونًا بنفسجيًّا جميلًا على أفق البحر. كنت أستطيع أن أشم رائحته المميزة من نافذة السيارة الأجرة التي كانت تقلني نحو اتجاه قصر المنتزه، مررت في طريقي بمكتبة الإسكندرية، والتي تقابل البحر في منتصف الكورنيش، إن المكتبة بعاكستها الشمسية التي توفر

Twitter: @alqareah

الطاقة اللازمة لها تبدو كصرح جميل في قلب عالم عتيق تآكلت جدران أغلب المباني على الشاطئ بفعل الإهمال والنسيان.

إن مباني الإسكندرية أغلبها يشبه أغلب التراث المصري، يتآكل بفعل الزمن، أشعر أحيانًا أننا نعيش في بلد جميل فاتن وقررنا أن ندمر فيه على سبيل التغيير، ربما يختلف سائق التاكسي معترضًا حين يصرخ قائلًا:

- الناس ملهاش ذنب يا باشا.. الحكومة والمحافظة هي السبب.

و كأن الحكومة والمحافظة كائنات فضائية، أليست الحكومة والمحافظة تتكونان من بشر أيضًا؟ ألم يكونا في يوم من الأيام أفرادًا وشبابًا وأطفالًا لا علاقة لهم بالسياسة والحكم؟ إن النفوس تتبدل حين تصل للسلطة، ذلك طبع فينا لن يندثر.

الكورنيش يمتد والبحر يبدو فيروزي اللون وكوبري ستانلي أشبه بكوبري قصر النيل كتجمع لعشاق المنظر الجميل أيًّا كان مكانه في مصر، المقاهي على جانب الشارع من الكورنيش تحولت من أسامي الجريج والأرمن مثل باستاردوس الشهير إلى كافيه حماطة وحسن اللول، مذهل ذلك التحول الثقافي في عقول الناس.

السيارة تتجه نحو المنتزه.. تلك البوابة الأنيقة والحراسة المتأنية، لا شك أن تلك الحراسة ليست من أجل السرقة أو التعدي في الأغلب، ولكن هي هناك من أجل حماطة.. فحماطة لا مكان له بداخل المنتزه.. تلك الحديقة الواسعة التي تمتد نحو القصر العتيق الذي كان يومًا استراحة للملك في

Twitter: @alqareah

الإسـكندرية ومن أمامه شاطئ دائري تسـكنه كبائن ضباط الجيش القدامى الذين حكموا مصر العسكرية بعد ثورة يوليو.

إن القـصر الآن تابـع للرئاسـة والدولة، على أبوابه حـرس خاص وبوابة شـاهقة، تسـتطيع أن ترى أبراجـه العالية ولونه الأحمر الداكـن الأنيق، أقف متأملًا علم مصر العالي على رايته من أعلاه متسـائلًا أليس حكم مصر شـيئًا مغريًا حقًّا؟ لا شك أن معتز راودته نفس الفكرة.

كنت قد حاسـبت سـائق التاكسي شـاكرًا إياه على تلـك الرحلة القصيرة التـي أعادت إلى ذهني ذكريات إسـكندرية مع أسرتي. كنت احتفظت بمبلغ مـن المال مـن بيع الوان تـو ايت لمحمـود السروجي من أجل إكـمال مهمتي الأخيرة مع نسرين.

مشيت في طريقي متأملًا هاتفي، ما تزال الساعة السابعة صباحًا، لا شك أن نسرين نائمة.. ترى كيف تبدو وهي في نومها؟ ذلك الشعر الأسود الطويل والوجـه البريء، خطواتي تمشي بلا هدف نحو الكبائن الصغيرة على شـاطئ البحـر، أرتدي كوفيتي؛ فالجـو لا يزال باردًا حتى وإن كنـا في مقتبل الربيع، أمـشي أنـا.. الرمال الناعمة يغـوص فيها حذائي.. أين المفـر أيها البحر؟ لقد اتخـذت عهـدًا على نفسي من أمام خضر. إن معتز لـن يتزوج نسرين، اتخذت عهدًا بأن أوقفه، أفكر هل كان قراري بأن أمنع الزيجة عن طريق نسرين كان سببه غيرتي من أن أخيرًا امرأة في حياتي قد أحبتني، ولن أفرط في ذلك الحب لرجـل آخر! أم هل لإيـماني بكلام خضر ولمصلحة الكون الذي على وشـك أن يتبدل في سـنوات قليلة آتية؟ أخشـى أن تكون إجابتي عن ذلك السـؤال

Twitter: @alqareah

بـروح الأنانية، أخشـى أن أختار الحـرب من أجل الحـب وليس الحرب من أجل خلاص شعب، إن النفس البشرية طماعة حتى أمام المجد، تختار هدفها الشخصي فوق الصالح العام.. بجد أنا ازاي بفكر كده؟!

يتوقـف شرودي وتتوقـف خطـواتي أمام شـاطئ البحر حـين ألمح ذلك الشبح يقترب من على طرف البحر لوهلة، ظننته خضر ثم فوجئت بأنه معتز وقد بدا مبتسماً.

معتز:

شفتك نازل من التاكسي من شباك الأوتيل وانا بفطر

قلت أكيد حتيجي واسـتناك تفطر معايا.. بس كملت وخدت في وشـك عالبحر على طول.. بتحب البحر؟

أنظر تجاه البحر في عفوية ثم أعود له.

أنا:

كنت باحبه وبجري انزل فيه كل ماجي هنا اسكندرية مع أهلي

لحد ما بقى عندي حداشر سنة.. فضلت اعوم لجوه

لحد ما اتسحبت وكنت حاغرق.. نزلوا وطلعوني من البحر

من ساعة ما رجلي حطت عالشط وانا بخاف من البحر.

وقف معتز الآن أمامي وهو ينظر لي في اهتمام.

أنا:

Twitter: @alqareah

بخاف منه بس باحبه.. أظن تقدر تقول باحترمه

الصمت للحظة على وجه معتز وقد بدا يجهز حديثًا ما خصيصًا لأجلي.

معتز:

أنا فيه حاجة عايز أقولك عليها بس خايف تزعل مني.

أنا:

طالما حتقولي حاجة بصراحة صدقني مش حزعل منك.

معتز:

أنا سألت نسرين عنك وعرفت انت بتشتغل إيه.

هي حكيتلي تقريبًا عن كل حاجة.. واستغربت أوي إن واحد

سوري في اللفظ.. بسيط زيك.. عنده فلسفة لوحده

دي حاجة مش بنشوفها كتير اليومين دول

خصوصًا وإنك كمان بتفكر تألف كتاب عن نفسك.

الشرود على وجهي والابتسامة الساخرة تزينه وتدور قدمي على الشاطئ لترسم دائرة عفوية

أنا:

عشان كل واحد فينا بيشوف التاني من وجهة نظره، يعني أنا مثلًا لو كنت ماشي في الشارع وشفتك معدي جنبي راكب عربيتك وبتتكلم في الموبايل وبتضحك في المكالمة أول حاجة حتيجي في بالي إنك صاحب مصنع

Twitter: @alqareah

مثلًا وبتعمل صفقة مع واحد شبه عزت أبو عوف وإنك رايح حفلة كلها مزيكا عالية وحترقص وتسكر لحد ما تقع من طولك ومش فارقة معاك إنك تروح الشغل متأخر تاني يوم لأن كده كده.. المصنع شغال.

يبتسم معتز من أمامي حتى يكاد أن يضحك.

أنا مكملًا:

بس بعد ما عرفتك.. حقول إنك بتكلم حد في الحملة معاك بيقولك إنك قدرت تقنع ناس في دايرتك إنك حتساعدهم وإنك مروح عشان تنام بدري عشان تلحق تروحلهم تاني يوم وفعلًا.. تعمل اللي تقدر عليه معاهم. الابتسامة تتحول لصمت في عيني معتز.

معتز:

أنا آسف.. أنا الغلطان.. مكنش قصدي احكم عليك بالشكل ده.

أنا:

بالعكس.. إنت محكمتش عليَّ بحاجة.. انت بس مستغرب

وده حقك.. اسمحلي اقولك أنا ساعات باستغرب نفسي

عادي يعني

تكتمل الابتسامة بيننا وقد بدت عيناه تنظران نحو البحر بدوره ثم أسأله عن نسرين فكما توقعت، أكد لي أن نسرين ما تزال نائمة، لن تصحو قبل التاسعة.. خطواتنا معًا على الشاطئ استمرت حتى أطراف الكبائن

Twitter: @alqareah

والكورنيش الرملي الصغير.. سألته بدوري عن رؤيتي في مغريات حكم بلد مثل مصر، فاجئني برده.

معتز:

مصر مش زي مانت متخيل، مصر بلد كبير أوي

إحنا عشـان نسـينا المحافظات وأهملنا المحليات دايماً بنشوف مصر صور كارت بوسـتال.. أو شـوارع وسـط البلد، وكبيرنا نفتكر اسـكندرية عشـان الأجازة.. بس مصر أكبر من كل ده.

مش سهل زي مانت متخيل إن حد يجي يقعد على كرسي حكمها

لقـد كان كلامـه منطقيًّـا ولكنه لم ينفِ عن نفسـه في نفس الوقت شـهوة الحكم، سألته عن سبب إلقاء ندوة في مكتبة الإسكندرية رغم أن دائرة معتز الانتخابية تكمن في القاهرة؟

معتز:

الإجابة عن سؤالك ده مربوطة بالسؤال اللي قبله

زي مابقولك.. مصر مش القاهرة.. وانا محتاج الدعم

و الدعم يعني الانتشـار والانتشـار يعني إني اقدر اعمل كل اللي في إيديا لأي حد في أي حتة.

أنا:

الصيت والا الغنا يعني؟

Twitter: @alqareah

معتز مبتسماً:

حاجة شبه كده.

يقاطعنا فجأة جرس هاتفه فيتناول معتز الهاتف مجيبًا وقد بدت الجدية على وجهه وهو يتخذ عني جانبًا، ظللت أتأمله محاولًا استنتاج الطرف الآخر من المحادثة، هل هي نسرين؟ هل هو مدير حملته الانتخابية؟ لم أستطع تبين شيء حتى عاد لي في أسى.

معتز:

أنا آسف، معلش أصل انت عارف موضوع حادثة ستة أكتوبر.

الصمت على وجهي وقد بدا أنه لم ينتظر مني ردًّا فأكمل حديثه، إن فتاة ستة أكتوبر القتيلة كانت تقرب لمعتز.. لم أفهم تحديدًا صلة القرابة، ربما أن والدها هو ابن عم والده.. إن الحادثة قد أصابت أسرته بفاجعة.. إنه يتابع تحقيقات الحادثة باهتمام وقد بدت المباحث تدنو ببطء شديد منذ تلك الجريمة البشعة.. لقد تمكنت إحدى كاميرات المراقبة على بوابة الكومباوند بستة أكتوبر من تصوير الوان تو إيت أثناء دخولها وخروجها من المكان.

***

Twitter: @alqareah

3

على حد كلام معتز لم تتمكن المباحث من التقاط صورة المجرم ولا أرقام السيارة نظرًا فقط صورتها أثناء الدخول والخروج، ومع تحديد فرق التوقيت بينهم يتبين أن تلك السيارة كانت بداخل الكومباوند في وقت ارتكاب الجريمة، أمشي خطواتي بداخل مكتبة الإسكندرية شاردًا أفكر في ترتيب الأحداث إنهم يقتربون دون شك، إن الوقت بدا في غير صالحي تمامًا.

إن القاعة الرئيسية للمكتبة شاهقة بحق، أرفف الكتب تتراص بعرض القاعة في شكل تقاطع من الشوارع تراه من الأدوار العليا أوضح، أمشي متأملًا كل تلك الكتب والمخطوطات والإشارات الأثرية وأتساءل كيف من بين كل تلك الكتب سيكون لكتابي كل هذه الأهمية؟ لماذا لم يلتفت أحد لنجيب محفوظ أو إحسان عبد القدوس أو غيرهم من المفكرين الأدباء؟ لماذا لم يلتفت أحد للساسة والمفكرين المصريين والعرب؟ لماذا لم يلتفت أحد لأرسطو حتى؟ دانا حتى معرفش مين أرسطو ده !!!

خطوة تلو الأخرى وأتأمل المكان حتى أتنبه لصوت عذب يناديني باسمي، أعرف ذلك الصوت جيدًا، كانت نسرين تقترب مني في مودة

Twitter: @alqareah

وترحاب، بالتأكيد أنا منبهر بكم الكتب والأفكار التي تكمن من حولي، هكذا تتساءل هي، كنت أتمنى أن أجيبها بأن ما أفكر فيه حاليًّا هو مطاردة المباحث لي

نسرين:

معتز قدامه ساعة كده على بال ما يجهز

إنت جيت المكتبة هنا قبل كده؟

أنا:

الحقيقة لأ.. دي أول مرة آجي هنا.

تجذبني عيناها بحماس الأطفال كأنها تجذبني إلى لعبة اشترتها للتو بعد عناد طويل مع أهلها.. تجذبني كي تصطحبني في جولة بأفضل مكان تحبه في المكتبة.

نسرين:

طب سيبك من كل ده وتعالى افرجك أحلى حتة بحبها هنا.

تصحبني نسرين للقاعة الخاصة بعرض مقاطع السماء المصورة، إن الكون فسيح وعميق فعلًا.. ننظر لتلك النجوم على أنها نقط مضيئة بينما هي مجرات وعوالم أخرى، نسرين تبدو شاردة في سماء التكوين الموجود بقلب القاعة وقد حاولت أن أشاركها وقع السحر ولكني أضعف للحظات وأعود كي أنظر إلى وجهها المضيء أكثر من كل تلك النجوم مجتمعة فتعود ببصرها تجاهي.

نسرين:

Twitter: @alqareah

بذمتك مش بتسرح ساعات في السما وتفكر إحنا لوحدنا في الكون والا لأ؟

أبتسم لها شارحًا علاقتي السيئة بأفلام الخيال العلمي وكيف أني كنت أرى دومًا أن تلك الأفكار الساذجة حول كائنات فضائية آتية لغزو كوكب الأرض لا تبدو مقنعة، فمن هم هؤلاء الكائنات الذين سيقبلون بحمل أهل الأرض ومشاكلهم وحمل كوكب الأرض ومشاكله؟ وإذا كانوا قد وصلوا إلى القدرة والعلم لبناء مركبات فضائية والسفر بها عبر الفضاء فهم بكل شك ليسوا في حاجة لغزو ثروات كوكبنا أبو أوزون مخروم.

تضحك نسرين وقد بدت أفكاري تروق لها ثم تفكر للحظة في أمر آخر بينما السماء تتبدل من حولنا في القاعة وتسألني سؤالًا آخر أغرب من سابقه ولكنه متوقع نوعًا ما.

نسرين:

طب والزمن؟ تفتكر حييجي يوم ونقدر نتحرك في الزمن، نرجع لورا؟ مثلًا إنت لو تقدر ترجع بالزمن لورا حتغير إيه في حياتك؟

أفكر في الاجابة.. إن السؤال رائع ولكن حقًّا الإجابة صعبة، هل سأغير واقع رجب أو ثريا أو حتى الأخ هشام؟ هل كنت سأمنع نفسي من ارتكاب جرائمي؟ ولكن تلك الجرائم الثلاث في المستقبل هي أمل التغيير.. الآن الأمر حقًّا محير.. مضطر إلى أن أجيبها بلا شيء.. لن أسعى لتغيير شيء فأنا راضٍ عن عشوائية أقداري التي جاءت بي في نفس اللحظة إلى الإسكندرية ومكتبتها وأن أقف مع نسرين بهذا المكان.. تبتسم هي للإجابة.. من وجهة

Twitter: @alqareah

نظرها أنها مجاملة دبلوماسية ليس إلا.. ولكن عينيها تقولان غير ذلك.. إنه الشرود الغريب.. التحول الإنساني البطيء الذي يصيبنا لحظة الاختيار.. إنها تشعر بتكوين للمشاعر غريب.. تقاومه بسؤال ثالث.

نسرين:

عارف إيه أكتر قصة كنت باحبها وانا صغيرة؟ قصة سيدنا الخضر وموسى.

أصبحت أبتسم اليومين دول حين تسقط قطع البازل في حياتي بأماكنها الصحيحة.. طبعًا تحبين القصة؟

نسرين:

كان بابا، الله يرحمه بيحكيهالي قبل النوم.. كنت بزعل عشان قتل الولد الصغير.. بس بقعد افكر.. هو فعلًا ممكن يبأه فيه حد في حياتنا ممكن يجراله حاجة ونزعل عليه بس هو حصله كده عشان ربنا يمنع عننا أذى أكبر.

أنا:

الصراحة أنا مش متبحر أوي في الدين كده.. بس بيتهيألي

إن كل حاجة بتحصلنا ليها وجهتين نظر، واحدة وحشة

وواحدة حلوة.. عادة الحلوة بتكون الصح.

تضيء أنوار المكان وقد توقفت الشاشات عن العرض السماوي ثم تنظر نسرين نحو الباب، لقد حان وقت محاضرة معتز. فتشير نحو الباب كي نمشي معًا ثم أسألها عن الخضر مجددًا.

Twitter: @alqareah

أنا:

بيتهيألي إنتي لو ربنا في يوم ادالك ولد حتسميه خضر.

نسرين تبتسم.

- لا مش للدرجة دي.. أنا بحب القصة مش أكتر.

ممكن إذا ربنا اداني ولد ..أحكيله القصة زي ما بابا كان بيحكيهالي.

أبتسم لها وقد بادلتني الابتسام ثم نتجه معًا إلى الباب.

كان معتـز بشـوش الوجه وهـو يتحدث للحضـور بالمكتبة فـوق المنصة العاليـة لقاعة المؤتمـرات. حضرت بعض القنوات لتصويره وتحدث بشـكل عام عن قوة وحدة الشـعب، بدا لي الكلام مرتبًا هذه المرة.. إن معتز لم يحضر للإسـكندرية لإلقاء خطبة في مكتبة الإسـكندرية، إن حديثه هذا ليس سوى تغطية لأمر ما ينويه.. أتابعه باهتمام ثم أتنبه للصفوف الأمامية. لقد بدا هناك وجه مألوف.. رأيت تلك اللحية وهذا الشخص من قبل في مكان ما.. تلك الابتسامة والبشاشة.. ثم معتز يشير تجاهه متحدثًا.

معتز:

وانا النهارده بيشرفني إنه بيحضر معانا صديقي الداعية الإسـلامي خالد عبد اللطيف.

تصفيق من الحضور حار وينهض الشـاب وأتذكر أنا أنه ابن تلك السيدة التي شـاركتني رحلة القطار.. الداعية الشاب خالد عبد اللطيف.. إن خالد كان أطـول مما توقعت من الصور.. اقترب من معتز وصافحه بحرارة ثم بدأ

Twitter: @alqareah

يتحدث عن مقومات القائد في الإسلام وكيف أن علينا أن نتخذ من السلف الصالح أسوة حسنة، كنت أستمع لخالد ولكن عيني معلقتان على معتز.. كان معتز يستمع له باهتمام.. عيناه تملؤهما الجدية.. كان معتز يشعر بتلك النشوة والقدوة.. لقد جاء الداعية الإسلامي المحبوب خالد عبد اللطيف لنصرته وغدًا سيأتي غيره والحشود ستسير بطبائع الأمور من خلفه.. لقد كان خضر محقًّا في والده.. إن معتز يخفي أكثر مما يبدو.

■■■

Twitter: @alqareah

4

عقـب انتهاء المؤتمر كانت قاعة الاسـتقبال معدة لتهنئـة معتز والدعوات له بالتوفيق من مجتمع الإسـكندرية من الشباب في انتخابات مجلس الشعب. كنـت أقف ممسـكاً بكوب العصــير الخـاص بي وبـدا معتـز يقـف مع خالد عبد اللطيف يتحدثان في حديث جانبي فاقتربت منهما بدافع الفضول ودافع الثقة.. أنا الآن أدرك وجه معتز الحقيقي.. عاوز ألاعبه شوية.

يلاحـظ معتز اقـترابي فيوقف حديث خالـد ليقدمنـا إلى بعضنا البعض، أصافحه في حرارة، وبالطبع أتجنب أن أسأله عن والدته، فهو إذا عاد وسألها عني سـتخبره بشـأن المجنون الذي يسـعى لسرقة حبيبة غيره.. لم يكن هناك داع لذلـك.. كان خالد مبتسـمًا على طول الخط.. حدثته عـن علاقتي بأسرة الأخ هشـام في الجامعـة وحدثته عن وقفتي التضامنيـة.. كان ينظر لي باهتمام ملحوظ ثم فاجأني بالسؤال عن الأخ هشام.

خالد:

مش ده الشاب اللي اتعذب في السجن ومات؟

Twitter: @alqareah

عاد خالد بعد تأكيد المعلومة كي يحدثني عن مقتل الضابط الذي قام بتعذيب هشام وكيف أن تلك الحادثة قد أشارت بأصابع اتهام كثيرة نحو جماعات إسلامية طلابية وحقوقية، بل بعض الدعاة طالهم الاتهام بأنهم وراء مقتل ذلك الضابط في تلك الجريمة، نفيت له تمامًا أن أكون على دراية بتفاصيل الحادث سوى ما سمعته من الأنباء وقرأته في الأخبار.. ولكني لا أخفي أني شعرت بانتصار شخصي نحو الأخ هشام لتعلقي به.

فاجأني معتز معترضًا حول الانتقام ونزعته.. فكيف تكون العدالة بالقتل؟ نحن في دولة يحكمها القانون.. عاجلته مسرعًا بالإجابة أن القانون الذي يتحدث عنه تم تشكيله لخدمة أشخاص بأعينهم وليس لخدمة الجميع.. فذلك الضابط تم الحكم عليه بالتأديب ليس إلا، لقد قام بتعذيب شاب بشكل وحشي حتى مات، معتز ينظر لحماس عيني وغضبي باهتمام.. فهو يحاول أن يتفهم موقفي تحديدًا من العدالة.. أي عدالة تلك التي تسن أسنة الرماح في يد الشعب؟

أبتسم له في دهشة.. أليس الشعب هو من يحكم؟ أليس الشعب لديه مجلس يسعى معتز لأن يكون جزءًا منه؟ أليس ذلك المجلس من يختار رئيسه؟ لا يظن معتز أن الشعب حين يفقد الأمل في عدالة الحكومة والمجلس الذي يشرع القوانين من حقه أن يشرع قانونه لكي يحظى بفرصة التكافؤ والعدالة الاجتماعية الغائبة.

أفاجئ خالد عبد اللطيف بوضعي له كمثال في حديثي بعد نقله إلى الإسكندرية.. لماذا تم نقل خالد؟ أليس من دون شك بسبب صيته والتفاف

Twitter: @alqareah

الناس من حوله؟؟ ألا تسعى القوانين الحكومية لقتل كل من هو ذو بصيرة فينا؟ أي قانون تتحدث عنه يا معتز؟؟

الصمت على وجه معتز وخالد الذي ينظر بدوره إليه ثم يعود إلي مبتسمًا في نوع من أنواع الإعجاب ليؤكد لي أني محق في نظرية الشعب ولكن الشرع يحتم علينا أن نساند قوانين البلد.

أنا:

الشرع؟ على حسب مانا فاكر إن الشرع بيقول لو الحاكم ظالم

لازم الشعب ينتفض ويقوِّمه فإذا لم يقوِّم أعماله فلا جدال حول عزله.

الصمت على وجه الاثنين الآن، كلامي لم يرق لخالد عبد اللطيف لسبب ما أجهله ولكنه ينظر إلى معتز في إشارة أنه لم صاحبك شوية.. ثم يبتسم لي معتز في أدب، وهو يؤكد لي ان أفكاري مشروعة وأنه سيتناقش معي لاحقًا في تلك الأفكار.. فقط هو عليه أن يقوم بتوصيل خالد عبد اللطيف لباب القاعة نظرًا لجدوله المزدحم وأن لديه معه من الكلام ما يتحدثان فيه.. استأذنتهما في تفهم وأنا أبتعد عنهما وقد بدا عليَّ الحنق.. إن معتز هذا كذبة وبغبائي وقعت في فخ تصديقها.. إن خضر محقٌّ.. أرمق معتز وهو يبتعد مع خالد عبد اللطيف وقد بدأت أفكر.. هل من الأفضل قتله فعلًا؟

لم يقاطع شرودي سوى نسرين التي اقتربت مني لتسألني عما إذا كانت الندوة قد أعجبتني، ابتسمت لها مؤكدًا أن معتز يزداد ثقة وإقناعًا يومًا تلو الآخر ولكني لم أفهم تحالفه مع خالد عبد اللطيف، هل هو بدافع الوطنية أم بدافع استقطاب تيار ما وراءه؟

Twitter: @alqareah

فوجئت نسرين بسؤالي.. كنت قد جهزت هذا السؤال كي أثير انتباهها نحوه، فكرت للحظات قبل الإجابة وأكدت لي أنها بدورها شعرت بالدهشة من حضور خالد تحديدًا فهو معروف بدوره مع حركات التيار الإسلامي الشابة، كانت المخاوف تطارد نسرين ولكنها تعللت بأن معتز له فكر معتدل وسطي يساند جميع الطوائف حتى إنه سيقدم ندوة في كنيسة كليوباترا قريبًا.. إنه يسعى كي يلتف الجميع من حوله ليس إلا.

لم تكن مقتنعة أصلًا بإجابتها ولكني لم أشأ أن أضع شكوكها أمام أمر واقع، ابتلعت الإجابة في صمت وظلت عيناي تلاحق خالد ومعتز في طريقهما نحو الباب.. هناك سر ما سأكشفه الليلة.

■■■

Twitter: @alqareah

5

كان مـن المفترض أن تعـود نسرين ومعها معتز إلى القاهـرة باليوم التالي، ولكني أنا اخترت ألا أعود ليومين آخرين، أريد أن أبقى في الإسكندرية وقتًا أطول.. لقد اشتقت لرؤية البحر أمام عيني.. استأجرت غرفة في فندق سيسل القديم المطل على البحر.. كانت غرفه لا تزال تحتفظ بطابعها الكلاسـيكي.. أفـترش سريري بأوراقي وظللـت أكتب أحداث اليوم كله حتى توقفت عن الكتابـة أمـام جـرس تليفوني المحمـول.. تناولتـه باهتمام وبـدا المتصل ليس سـوى نسرين، ابتسـمت للحظة ثم أجبتها.. كانت تدعوني للعشاء مع معتز في قلـب وسـط المدينة وتحديدًا في بحري.. حيث كانـوا قد قرروا أن يتناولوا طعام العشاء في حلقة السمك عند قلعة قايتباي.

إن القلعـة العتيقة لا تزال تحتفظ برونقها على طرف الكورنيش ببحري.. قـصر المنتزه في طرف وهي تكمن في الطرف الآخر، إن الدعوة كانت تقتصر على نسرين ومعتز وبعض من أصدقائهما من الإسكندرية وأنا.. كانت المائدة معـدة خصيصًـا على شرف معتـز، كانت نسرين متأنقة حقًّـا.. بدت جميلة في فسـتانها الأسـود وشـالها ذي اللون النبيتي القاتم.. كنت أتأملها بينما نسمات

Twitter: @alqareah

الهواء تداعب شعرها في غزل على استحياء.. يا ليتني أستطيع أن أبوح بالحقيقة، تحدث معتز كالعادة أن لديه الكثير ليقدمه وأن المشوار طويل أمامه، لم أشأ أن أتطفل على كلامه أكثر من ذلك ولكني لاحظت تلك المكالمة الخفية التي نظر فيها إلى ساعة يده مؤكدًا أنه على موعد مع المتصل.. تلك إذًا الإشارة التي أترقبها.. تفاجئني نسرين بالسؤال وأنا أجلس أمامها.

نسرين:

أخبار الكتاب بتاعك إيه؟

أبتسم لها من مفاجأة السؤال وأؤكد لها أني نويت البقاء في الإسكندرية للكتابة.. سألتني عن مكان إقامتي ووضحت لها إعجابي بسيسل، ابتسمت بدورها في أسًى وهي تؤكد لي أن سيسل كان أيضًا أحد فنادقها المفضلة أثناء الطفولة، لا أعرف كيف نطقت شفتاي بطلبي لها بأن تبقى في الإسكندرية إذا كان الوقت يسمح.. نفس الشرود في عينيها الذي رأيته في قاعة الفضاء بمكتبة الإسكندرية.. حاولت إعفاءها من حرجها وتحدثت عن جمال البحر والجو في ذلك التوقيت من السنة تحديدًا.. ابتسمت ثم اعتذرت في حرج فتفهمت وابتلعت طعامي في صمت حتى جاء أحد الجالسين ليسأل معتز عن فتاة 6 أكتوبر.. الحادثة.. معتز يؤكد أن صديقًا له في المباحث قد أكد له بدوره أنهم سيمسكون بالقاتل المختل في أقرب وقت.. تتدخل صديقة أخرى في فضول:

إلا صحيح يا معتز هي كان عندها إيدز ومش راضيين يقولوا؟

Twitter: @alqareah

الصمت على وجه معتز، بينما الفتاة تعلل مصدر معلوماتها من طبيب كبير أشرف على عملية نقلهم حين وصل الضحايا إلى المستشفى، معتز يضع ملعقة طعامه جانبًا في حزم ليؤكد أن هذا الجانب من العائلة قد انقطعت علاقته به منذ سنوات طويلة ولكن كل ما يثير قلقه حاليًا هو أنه إذا تم ربط اسم الفتاة باسمه وبأمر مثل هذا المرض فبالتأكيد سيؤثر على أدائه في الانتخابات.. تتدخل نسرين فجأة لتسأل في ضيق.

نسرين:

معلش سوري يعني إنت مش متضايق إن واحدة ماتت بالطريقة دي ومتضايق إنك ممكن تتأذي في الانتخابات؟

أوباا.. لقد طعنته نسرين في مقتل.. ابتسم في سري.. لقد بدأ الصراع فعلًا.. معتز يتعلل بأنه أكيد فارق معاه ولكنه يوضح مدى تأثير ذلك الأمر حتى على حياته المهنية.. الكل يبرر لمعتز.. نسرين تعود لطعامها في شرود ولا تتناول منه.. أنا أبتسم وأنظر نحو البحر.. لقد بدأت الحرب.

استأذنت مبكرًا بحجة استيقاظي بالفجر للحاق بالقطار وظللت في السيارة الأجرة أمام المكان مترقبًا خروج معتز ونسرين، إنهما يخرجان الآن من المكان وبدت نسرين تتجه نحو سيارة معتز وسائقه وحدها وهو يتجه نحو سيارة أخرى قد جاءت خصيصًا للقائه أيضًا لها سائق خاص.. معتز يودع نسرين ويشد على ذراعها في حنية.. لا شك أنه يعتذر لها عمّا قاله.. التفهم على وجه نسرين.. تسأله: حتتأخر؟ فيشير لها نفيًا.. تتحرك سيارتها

Twitter: @alqareah

أولًا ثم سيارته، ولأول مرة أقوم بأمر كنت أتمنى أن أقوم به منذ الطفولة، منذ مشاهدتي لأفلام الأكشن العتيقة.. أشير للسائق في ثقة:

خليك ورا العربية دي.

تحركت سيارة معتز بحي بحري إلى داخل المدينة أكثر وأنا أمشي وراءه محافظًا على المسافة.. توقفت السيارة أخيرًا أمام أحد الجوامع الضخمة بطرف وسط البلد وقد ترجل معتز من السيارة، توقفت بدوري وأشرت للسائق أن يقف ثم ترجلت من السيارة وقمت بدفع الحساب مسرعًا وأنا أترجل كي أراقب معتز الذي بدا في طريقه نحو باب الجامع.. كان الجامع مغلقًا في تلك الساعة المتأخرة ليلًا حتى صلاة الفجر، ولكني لاحظت تواجد بعض الرجال على مقربة، هم بلا شك رجال حراسة لشخص ما ذي أهمية يلتقي معتز به الآن.. هذا هو سبب سفر معتز الأصلي للإسكندرية.

أدور حول الجامع في خلسة بحثًا عن وسيلة لاختراق هذا المكان ثم أتنبه لدورة المياه الكبيرة.. كانت منفصلة عن مكان المسجد، كان بابها غير موصد لحسن حظي، ولكنها لم تكن خالية.. كان هناك أحد المتشردين يقوم بقضاء حاجته وهو يسعل في أمراض مزمنة تكاد تخترق سماء المراحيض.. كنت أمشي حول بركة المياه المحيطة بالرخام العريض الذي يمتد بطول الحمام حتى باب الجامع الذي بدا موصدًا من الداخل.. سعال المتشرد يتكرر وهو يخلع عنه عباءته وملابسه في تأهب لدخول الحمام ثم تنبهت لسخطه وغضبه الذي يكاد أن يبكي من أثره، فهو طبقًا لكلامه يعتاد المبيت في الجامع ليلًا.. فهو لا مأوى له.. يسخط وهو يدعو على خدامي المسجد الذين أغلقوا الباب في وجهه فأقترب منه وأنا أدس يدي في جيبي..

Twitter: @alqareah

- بقولك إيه يا حاج.. خد الفلوس دي خليها معاك.

السعادة على وجه الرجل وهو يدعو لي ثم أفاجئه بطلبي منه:

بس انا عاوز منك خدمة.

كانت الطرقات على باب المسـجد من ناحية المراحيض مسـتمرة حين قام أحد الخادمين بفتح الباب في دهشة وهو ينظر للرجل العجوز الساخط الذي بـدا ملتحفًـا من رأسـه حتى قدميه في علـة وإرهاق مؤكـدًا أن لا بيت له كي يبيـت فيه وأنه فقط يريـد أن ينام. مرهقًا يأتي صوت من داخل المكان قد تنبه للموقف وصوت العجوز العالي :

خليه يخش يا سعيد ده عم منصور.

بس نبه عليه إن بيت ربنا مش لوكاندة.

آخر ليلة يا عم منصور.

يدخـل الرجـل العجوز وهـو يدعو لصاحـب الصوت بـكل الدعوات الحسـنة ثم ينظر ببصره نحو القبلـة والمنبر، حيث جلس معتز وبجواره خالد عبـد اللطيف، ووسـطهما يجلـس الإمام.. ذلـك الإمام الـذي كان في شريط أخبار المسـتقبل، يتجاهل العجوز الأمر وهو يفترش الأرض، ثم يتكور على جسده بينما يكمل الإمام حديثه لمعتز .

الإمام:

شـوف يا معتز باشـا.. أنا عن نفسي طول عمري بحب الشباب الطموح اللي زيك.. الشباب هم خيرة البلد وعصبها وقوتها.

Twitter: @alqareah

إعتبر إن الإخوة في الدايرة معاك إن شاء الله.

أنا شاورتهم في الأمر وانت زيارتك دي قطعت كل الشكوك.

السعادة على وجه معتز.. لهذا جاء إلى الإسكندرية.. للقاء الإمام، هكذا أدرك الرجل العجوز ذو الوجه الشاب.. وجهي أنا وأنا أبتسم في نصر بداخل العباءة، وأتناول هاتفي المحمول الذي وجدت له أخيرًا فائدة وأنا ألتقط صور اجتماع معتز مع الإمام وخالد عبد اللطيف معًا.

Twitter: @alqareah

6

عـدت إلى غرفتـي بفنـدق سيسـل وكانت السـاعة الثالثـة صباحًا، كنت متهالـكًا ومنهـك القوى تمامًا.. الهـواء قد بعثر أوراقي التـي أطاردها مفاجأ بنسـياني شـباك الغرفة مفتوحًا.. أطارد الأوراق وهاتـف الغرفة يرن فجأة.. الدهشـة عـلى وجهي.. ترى من المتصل؟ أبتسـم للحظة قبـل أن أجيب وقد تذكرت أن المتصل أكيد هو.. خضر.

رفعت السماعة في هدوء الآن.. ثم جاء صوته واثقًا.

خضر:

جالك كلامي؟ شفته مع الإمام مش كده؟

أتأمل إحدى الأوراق في يدي وأنا أمسك بسماعة الهاتف في تفكير

أنا:

ماشي يا عم.. حقك عليَّ.. خلاص ارتحت؟

صوت ابتسامة ساخرة من الناحية الأخرى.

خضر:

Twitter: @alqareah

شفت قصر المنتزه جميل إزاي؟ تحب تدخله من جوه؟

الشرود على وجهي للحظة.

أنا:

هو انا ليه ابتديت أحس ان ليك حد في وزارة الآثار؟

أو إنك بتتعامل معايا على إني توريست في البلد دي؟

يضحك خضر عاليًا من الناحية الأخرى ثم أؤكد له أن قصر المنتزه ليس سور القلعة.. لن أستطيع الدخول إلى هناك ببساطة، فيأتي صوته من الناحية الأخرى هادئًا واثقًا أنه قد حان الوقت كي يعلمني خضر درسًا جديدًا في معرفتي به.. طلب مني أمرًا هو الأغرب منذ لقائنا الأول.. طلب مني خضر أن أقف تحت دش المياه بحمام غرفة الفندق بملابسي كاملة.. طلب مني خضر أن أغلق عيني وأن أكتم أنفاسي جيدًا.. أكتمها قدر المستطاع وأن أبقى تحت المياه دون حراك.

كنت قد نفذت كلامه حرفيًا ولم يحدث شيء.. مرة تلو الأخرى.. لم يتغير شيء.. مرة أخيرة ثم تنقطع الكهرباء فجأة في الحمام.

الكون كله صار لونه أزرق.

كل ما تراه عيناي كان باللون الأزرق، كنت أرى نفسي كما أنا واقفًا تحت المياه ولكن دون حراك.. كنت كالطيف خرج من جسدي أرى المياه وقد توقفت.. الزمن كله توقف.. أمشي إلى خارج الحمام، الهواء والأوراق تقف

Twitter: @alqareah

في سماء الغرفة.. أمشي بداخل الغرفة مشدوهًا مندوهًا غير مصدق لما أراه ثم أصل للنافذة.. أنا أتحرك دون وعي.. أقف على الحافة وأقفز..

لم أسقط ولكني أعلو.. أتحرك بسرعة شديدة.. لا أستطيع أن أصف تلك الحركة.. السماء.. البحر، كل شيء توقف مع الزمن وجسدي وحده يتحرك.. عيناي تغمضان وتفتحان لأجد نفسي بداخل أروقة قصر المنتزه.. الجسد فقط يتحرك بأروقة القصر الصامت المهيب.. درجات السلم.. إلى أين خضر يأخذني.. عيناي لم تعتادا ذلك اللون الأزرق.. أشعر بأني أكاد أتقيأ ثم أغمض عيني وأفتحهما وكل شيء عاد للونه الطبيعي ولكني ببرج القصر أقف أمام خضر الذي يشعل سيجارته مبتسمًا ثم ينظر إليَّ في سعادة قائلًا:

حمد الله ع السلامة.

أتمالك أنفاسي أمامه بينما هو يتأمل المنظر من أعلى، وأقترب منه غير مصدق.. لا أجد كلمات تصف ما أشعر به.

خضر:

شايف المنظر من هنا حلو ازاي؟

أتحسس جسدي في قلق وتوتر.. لم أستوعب بعد ما حدث.

أنا:

هو انا لسه في الأوتيل ولّا أنا هنا ولّا انا فين؟

يبتسم خضر مجددًا وهو ينظر إليَّ ليؤكد لي أني معه الآن في برج قصر المنتزه العلوي وأن لا داعي للقلق؛ سيزول تأثير الرحلة خلال دقائق.. هكذا إذن

Twitter: @alqareah

يسافر أهل المستقبل عبر الزمن.. أسأله عن الماء وعن أهميته في الرحلة فيجيبني بأن الماء عامل محفز ليس إلا، وأن لا داعي لأن أشغل رأسي بتفاصيل علمية معقدة.. المهم الآن أن نستغل ذلك الوقت المتبقي لترتيب الموقف..

أنا:

إنت اسمك الحقيقي مش خضر. مش كده ؟

القصة بس كنت بتسمعها كتير وانت صغير.

نسرين كانت بتحكيهالك.

يبتسم خضر في تفهم لما وصلت إليه مع نسرين من نقاش.

خضر:

الأسامي متفرقش في حاجة.. إنت نفسك لما كتبت الكتاب اخترت البطل ميكنش له اسم.. أنا ممكن أقولك اسمي أي اسم.

اختار اللي يعجبك وسميني بيه.. بس أنا حبيت قصة الخضر..

حبيتها لدرجة كان نفسي اسمي أنا يكون خضر.

الهواء يدفع الأعلام أعلى القصر وقد بدا القمر عاليًا في منتصف اكتماله تقريبًا والسحب تملأ السماء لتزينها بلوحة تجريدية من الخطوط البيضاء غير المتجانسة.

أنا:

إنت ليه مقتلتش معتز بنفسك؟

Twitter: @alqareah

خضر:

عشان لو قتلته فيه حاجات حتتغير وانا مش عايزها تتغير.

أنا:

حاجات زي إيه؟

ينظر خضر تجاهي مفكرًا وهو يتنهد:

خضر:

لازم تصبر وحتعرف لوحدك.

أنا:

زي قصة الخضر وموسى؟

خضر:

حاجة زي كده.. مش كل اللي حصل أنا عايزه يتغير

مع الوقت زي مانت في اللحظة دي ابتديت تفهم وتصدقني

حتلاقي نفسك في الآخر فهمت الصورة كلها

المهم إنك تقتل معتز.

ما زلت أصر أن بإمكاني إيقاف معتز ومنع زواجه من نسرين وبالتالي أمنع وجود خضر من الأساس.. خضر يصر أن ذلك من المستحيل.. أن نسرين ربما تراني شخصًا مثيرًا للاهتمام ولكن في حقيقة الأمر هي ستتزوج معتز.. خضر يصارحني بما يدور بداخل أعماق نفسي.. إن مواجهتي لمعتز

Twitter: @alqareah

ليست إلا بدافع الغيرة تجاه نسرين.. إن شأن الكون ومستقبله لا يعنياني ولكنهما بلا شك يعنيان خضر.

خضر:

أنا عارف إن نسرين ابتدت تشك في معتز ونيته

بس معتز عنده أسبابه وحيكلم نسرين عنها

و المشكلة الأكبر.. إنها حتعرف إنك قتلت.

يقترب خضر مني وهو يربت على كتفي في إصرار.

خضر:

افهمني كويس.. كل يوم بيعدي عليك هنا قصاده ناس بتموت، بكرة اللي مش حتقدر أبدًا تغيره إنك موت ناس وحيوصلولك. فكر كويس في كلامي.

الانفعال على وجهي أمام خضر.

أنا:

إنت اللي لازم تفهم كلامي كويس.. أنا مش حاقتل معتز

إلا أما اتأكد إن نسرين حتتجوزه لأني من غيرها أنا كده كده ميت.

ينظر خضر إلي وهو يبتسم في سخرية وإعجاب غير مصدق لحالة الحب التي تتفجر أمامه في والدته.

خضر:

Twitter: @alqareah

أنا مش مصدق إن ده بيحصل قدامي.. إنت مجنون فعلًا.

أنا دلوقت بس اتأكدت إن انت اللي كتبت الكتاب حرف حرف.

أنا:

اسمعني كويس. مش وقت تلقيح كلام.. أنا حاخليها تحبني

والله حاقدر ... اديني بس فرصتي.

يلقي خضر بسيجارته من أعلى البرج.

خضر:

إنـت عايش فرصتك فعلًا يـا صاحبي.. فرصة إنك تقدر تغير كل حاجة وانت متمسك بأتفه حاجة.

أنظر له في إصرار وقد كادت عيناي تنفطران من الصدق أمامه.

أنا:

مـش عـارف أحلفلك بإيه عشـان تصـدق إن الكـون كله بالنسـبالي هو نسرين!

يبتسم خضر مجددًا ثم يربت على كتفي.

خضر:

أنا جيت أزورك هنا عشان أطمنك وأقولك إني معاك

أنا وعدتك إنه إذا قدرت أخدك لبكرة حعمل كده

حتى لو أنا مش موجود.. فيه حد حينقلك

Twitter: @alqareah

إذا كانت الرحلة ممكن تحصل.

أسـأله عـن هوية الناقل الذي قـد يتولى عملية سـفري فيجيبني أن الهوية لا تعنيني.. هناك الكثيرون في المسـتقبل يتمنون لقائي.. لقاء مؤلف الكتاب الذي أعطاهم القوة الدافعة ضد كل ما يحدث في المستقبل.

إن الرحلة والعودة إلى غرفتي لم تسـتغرقا سوى ثوان معدودة، استيقظت لأجـد نفسي أقف تحت دش الماء البارد بداخل حمام الغرفة.. أسـحب نفسًـا شـهيقًا مطـولًا وأمسـح الماء عـن وجهي المبتـل وملابسي الغارقـة، ثم أعود للغرفة.. أغلق شـباكها في إحكام وأتناول باقي الأوراق من الأرض لترتيبها ثم أنظر للصفحات الخالية التالية التي سـأكتب ما فيها هنا في الإسكندرية.. ولكن مع الأسف لا أملك شيئًا أكتبه سوى ما يشبه كتاب الرحلات للسواح عن مدينة الإسكندرية، أبتسم في حسرة وأعتدل على جانبي بالسرير، أحاول أن أغلق عينيَّ متمنيًا وداعيًا أن يراودني حلم البحر وشاطئ الأطفال مجددًا.

Twitter: @alqareah

7

اخترقت أشـعة الشـمس غرفتي الصغيرة بفندق سيسـل لتملأ الغرفة في محاولة منها لإيقاظي؛ ولكني كنت أذكى من أشـعة الشمس تلك وأحكمت إسـدال السـتائر جيدًا قبل النـوم، ولكني لم أكن بنفس الـذكاء الذي يدفعني لنزع سـلك الهاتف الخاص بالغرفة.. جرس الهاتف المسـتمر يأتي في الصباح الباكر كي يوقظني رغمًا عني.

عينـاي تتفتحـان في محاولة كي أدرك الفرق بين الحلم والواقع (وإن كنت لا أعي الفرق بينهما في كل الأحوال كثيرًا) ثم أعتدل في السرير متأففًا متأملًا الهاتـف في نفـاد صبر وأنـا أدرك طبعًا هويـة المتصل؛ فخضر بلا شـك لم ينم بـدوره وقرر أن يحاول إقناعـي مجددًا بقتل معتز.. أتناول السـماعة في النهاية كي أجيب:

لحقت وحشتك؟؟

المفاجـآت تعـود إلى حياتي مجـددًا، لم يكن صـوت خضر آتيًا مـن الناحية الأخرى بل كان صوت نسرين.

نسرين:

Twitter: @alqareah

صباح الخير.. الظاهر إن فيه حد من صحابك كنت سهران معاه طول الليل ومستنيه يكلمك.. معلش بأه .

أنا برضه أعتبر صحابك ولا إيه؟؟

أعتدل في السرير منتفضًا وأنا أمسك بالسماعة في دهشة وصدمة من الاتصال .

لا والله أبدًا.. ده بس واحد صاحبي عايش هنا في إسكندرية.

عديت عليه امبارح بالليل.. إنتوا لسه مسافرتوش؟؟

الصمت للحظة من الناحية الأخرى، ثم يأتي رد نسرين في هدوء:

نسرين:

لا معتز بس هو اللي سافر.. أنا فكرت وقلت أقعد يوم زيادة زي ما كنت بتقول.. بس أنا معنديش صحاب هنا الصراحة غيرك.

معلش لو حتقل عليك.

أبتسم لنفسي وأنا أصرخ في رأسي من السعادة.

خالص بالعكس.. ده احنا حتى حنونِّس بعض.

أجيلك فين؟؟

لا تزال محطة الرمل تحتفظ بتفاصيلها الدقيقة رغم الغزو الإلكتروني والعولمة الثقافية التي جاءت دون استئذان كي تمحو تفاصيل تاريخنا العريق.. رغم انتشار كافيهات الإنترنت في الشارع الضيق الذي يمتد للوصول إلى فول محمد أحمد الشهير.. فإنه على الأقل ما زال هناك.

Twitter: @alqareah

أصـل إليه بصحبة نسرين التي ارتدت جينـز أزرق وجاكيت أحمر خفيفًا رياضيًّا وألقت شعرها للوراء وهي تمسك بالكاميرا الخاصة بها في يدها لتقوم بتصوير تفاصيل كل ما نراه حولنا.

لم تكـن نسريـن محترفـة تصوير بقدر ما كانـت محترفة في انتقـاء كل ما هو جميـل مـن تفاصيل حولهـا.. اللقطـة تلو الأخـرى.. الصـورة والـكادر تلو الآخـر.. أراقبهـا وأنا أتمنـى أن أحظى بـشرف أن أكون بطـلًا لإحدى تلك الصور ولكني لا أجرؤ على مثل هذا الطلب منها.

تشـاركني نسريـن المائدة الخشـبية في قلب الشـارع من أمـام دكان مطعم الفول الشهير، تحاول جاهدة أن تحتفظ بأناقتها أثناء تناول الفول فأشرح لها أن الفول لا علاقة له بالأناقة، بل يرتبط مباشرة بعلاقة مع الاستمتاع بالطعام.. تبتسـم ثـم تقوم بتقليدي في قتل طبق الفول والسـفك بالودنـة المحيطة بقعر الطبـق. عدت إلى طبقـي ولم ألحظ مراقبتهـا لأدائي في الطعـام ولكن جملتها التالية جاءت كي تقطع كل ما أقوم به من فن في تناول طبق الفول.

أنا عمري ما عرفت حد زيك في حياتي.

الجملة نفسـها تدفعني لسؤال نسرين عن تصنيف (زيك) تحديدًا. الحرج يصيبهـا لحظـة ثم تسـعى للبحـث عن مبرر مناسـب للجملة فتبـدأ في شرح التصنيف.

زيك يعني.. بتتصرف من قلبك مش من عقلك.

إللي بتحس بيه بتقوله.. دي حاجة كويسة على فكرة مش وحشة

Twitter: @alqareah

بس للأسف في الزمن اللي احنا عايشين فيه ده.

مش كل الناس بتقدر تفهم إللي.. إللي زيك.

أبتسم لها وقد أعلنت الابتسامة عن انتهاء فطاري فعليًا.

كنا نمشي معًا بين أزقة بحري، تلك الشوارع القديمة التي تآكلت بفعل الأمطار ورطوبة البحر.. أصرت نسرين أن نزور زنقة الستات لما تسمعه عنها من شهرة ولم تزر الشارع في حياتها، حاولت أن أشرح لها أنه شارع يشبه وكالة البلح وأصبح مزارًا تجاريًا وسياحيًا في السنوات الأخيرة مع الزحف الصيني ولكنها أصرت -كعادة كل بنات جنسها- على رأيها.. ذهبنا إذًا إلى زنقة الستات.

موسيقى النفس البشرية تعود مجددًا لأذني ولكن بشكل مختلف الآن.. البحر مع الباعة الجائلين، ضحكات نسرين والكاميرا والصور حتى نسيم الهواء أكاد أن أسمع له صوتًا، ثم ذلك الصوت العالي.. العالي جدًّا .. كان هناك شاب يقف بقلب الشارع وقد اعتلى كرسيًّا خشبيًّا من كراسي العفي الشهيرة وهو يمسك ميكروفونًا صغيرًا في يده يتصل بسلك طويل إلى سماعة تستند إلى مائدة من جواره عليها صور للإمام وشرائط كاسيت وسي ديهات وأدعية وأذكار.. كان يصرخ مناديًا للحق والبعد عن الضلال بشكل حماسي غريب.. كانت حنجرته تكاد تنشطر، ووجهه أحمر بلون الدم القاتم، كانت عيناه غاضبتين من المارة، كان وجهه يؤكد ذلك، كان يرى فيهم ذنوبًا ومعاصي، لم يكن مثل الأخ هشام، كان يشبهه ربما في إطلاق اللحية، ولكن عدا اللحية لم يكن يشبهه في شيء ولا أظن حتى النية.. تقترب منه نسرين

Twitter: @alqareah

بفضـول وهـي تتأمل حماسـه وهتافـه.. أراقبها ببـصري.. كانـت تنظر له في صمـت بلا أي تعبـير، ثم تناولت الكامـيرا والتقطت له عدة صـور فتنبه لها وهو ينزل عن كرسيه صارخًا فيها:

شايفاني أراجوز يا آنسة ؟ بتصوريني ليه ؟

تحتـد نسرين عليه وهـي تؤكد له أنه اختار أن يقف في قلب الشـارع بهذه الطريقـة. إذًا هو جزء منه، حاول أن يمسـك بالكاميرا من يدها فتدخلت في تلك اللحظة كي أمنعه واشـتد الاشـتباك بيننا حتى فصل المارة بيننا.. كانت عينـاه يكاد يتفجر منهما الدماء، كان سـاخطًا وهو يدعـو علينا بينما نمشي أنا ونسرين مبتعدين عنه وقد أمسـكت بالكاميرا في نصر وهي تبتسـم في حرج مني بينما أنا أتمالك نفسي وأسألها عن سر ما قامت به.

نسرين:

معرفش ليه حسيت إني عاوزة أصوره.. حسيت إني شايفة حاجة،

كل الناس اللي في الشارع مش شايفاها،

حسيت إني شايفة وشه الحقيقي.

أنا:

وشه الحقيقي؟؟

تقف نسرين بقلب الشـارع بينما هي تنظر تجاهي في تردد حتى تتخذ الثقة من نفسها كي تشرح كلماتها بأفضل شكل.

نسرين:

Twitter: @alqareah

بص أنا مش ملحدة.

بـس مش مؤمنـة بالدين الـلي بيتكلم عنـه.. الناس الـلي زي الإمام دول كدابين وأفاقين.. عاوزين يقتلوا المجتمع ويرجعونا ألف سنة لورا بحجة إن الجهـل نعمة وربنا وصى الناس بالحكمة.. الستات الـلي بيدفنوهم في العزلة ربنـا وصاهم بالعلم والحكمة.. يعني الشـغل والمجهـود زيهم زي أي حد.. الإمام اللي الأخ واقف بينادي بتعاليمه وبورقه وبكلامه.. فتنة كبيرة بيستغلوا جهـل النـاس البسـيطة اللي اتحرمت من أبسـط حقوقهـا زي التعليـم والغذا والصحة عشان يقنعوهم ان الدين هو الحل، والدين عمره ما كان حينزِّل من السما أكل وكهربا وميه وغاز ومستشفيات.. دي مسئولية كل حاكم.

تكمـل نسريـن حديثها الذي يبـدو الأقرب لما سـيحدث مسـتقبلًا طبقًا لـكلام خضر، إن الحيرة تتملكني الآن مـن أن أخبرها حقيقة معتز قد تكون هذه هي الطريقة الأفضل لكشـف سره.. إن الشرع يكاد ينتهي مع خطواتنا وحديثنا الطويل فأنظر لها متسائلًا:

أنا:

نسرين.. تفتكري أي حد عاوز ينجح في الانتخابات مش لازم يحط إيده في إيد الناس دي؟

انتي بنفسك قلتي بيتحكموا في الأغلبية.. اللي عاوز يكسب

أكيد لازم يعملهم اعتبار.

تبتسم نسرين في تفهم لسؤالي وقد بدا عليها الثقة في الإجابة.

Twitter: @alqareah

نسرين:

قصدك على موضوع معتز وخالد عبد اللطيف؟

خالـد راجل معتدل وله شـعبيته ومعتز بيحاول يجمـع دعم من كل اتجاه مش أكتر.. ما تقلقش.

ألتـزم الصمـت بعـد تلك الإجابـة وأكتفي بابتسـامة رضا كاذبـة ونعود لخطواتنـا إلى خـارج الشـارع، ولكنـي أكاد أجزم أني لمحـت في عينيها صمتًا يعلن صراحة أنها تخفي أمرا ما في داخلها يؤرقها.

السـاعات التاليـة قضيناها في رحلـة البحث عن جيلاتي عـزة والتقاط الصور لقلعة قايتباي.. قضيناها في الحديث عن الماضي والحاضر والمستقبل.. كانت نسرين كما توقعتها.. بسـيطة تشـبهني في أمور كثـيرة.. ولكنها لم تكن تشبهني في الماضي الأسود أبدًا.

حين حانت ساعة غروب الشمس أصرت نسرين أن نجلس على كورنيش الإسكندرية معًا وأن نتناول الترمس لنشاهد الأمواج المتلاطمة وهي تتدافع نحو الشاطئ عبر الصخور، كافيتريا حماطة كانت الاختيار الأفضل.. قررت نسريـن أن تطلـب حجر تفاح للشيشـة وهـي تؤكد لي أنها تقـوم بذلك فقط تفاريحي.. أبتسـم لها وأنا أشـاركها حجرا بدوري مؤكدا لها أنه أول حجر لي في حياتي.

كان الأفـق بنفسـجي اللـون، سـاحرًا، وكانت هي تسـحب من الشـاي ببـطء، سـألتها عن حبها لمعتـز فأجابتني أن الحب بينها وبـين معتز مبني على تراكم المشاعر، في البداية كانت الصداقة ثم كانت العلاقة التي يمكن لكليهما

Twitter: @alqareah

أن يهرب منها حين يستشعر الخطر ثم جاءت اللحظة التي أدرك فيها الاثنان أنه لا فراق.

عارف لما تتعود على حد في حياتك؟؟

أبتسم لها في سخرية، فأنا في حياتي لم أعتد على بقاء أحد ربما سوى أسرتي الصغيرة، شرحت لها نظريتي في كرهي للتكنولوجيا وعلاقتي بمكعب العمل وكيف أني أخيرًا اخترت شراء تليفون محمول، كانت بالكاد تصدق ما أقول ولكني أكدت لها أنه سيأتي يوم ما وستصدقني حتمًا.. ذلك اليوم حين تقرأ ما كتبت عن نفسي وعن رحلتي العجيبة في الحياة.

نسرين:

إن شاء الله.. أنا بجد نفسي أقرا كل حاجة كتبتها

حاسة إني حتعرَّف عليك بشكل تاني خالص

أنظر لها باهتمام وترقب متسائلًا عن الشكل الآخر التي تتوقعه هي فتجيبني بابتسامة هادئة:

نسرين:

حتعرف على حد كان نفسي يبأه ليا صاحب زيه.

و متسألنيش يعني إيه زيه تاني.

تضحك نسرين في سعادة بينما أنا أبتسم، لنفسي في أسى، فهي رغم كل شيء تراني صديقا ليس إلا، جاء اتصال معتز بها اخيرا كي يدفعها للقيام عن المائدة وإجراء المكالمة، الشخصية معه، كانت تبتسم كثيرًا في المكالمة، يبدو

Twitter: @alqareah

أن خضر محق، يبدو أني أصارع العند ليس إلا، ويبدو أن علي قتل معتز في النهاية.

كان موعد القطار في الثامنة مساء ولذلك كان يتحتم علينا مغادرة كافيتريا حماطة في السابعة، جمعت أغراضي متأهبًا للرحيل ثم فوجئت بنسرين تقترب مسرعة مع حماطة شخصيًّا وهو يحمل الكاميرا الخاصة به وتطلب منه أن يلتقط صورة شخصية لها معي ومن خلفنا البحر والقمر المضيء.. كانت ترشد حماطة في كل شيء فقط ما تبقى له سوى أن يضغط على زر التصوير فيضغط عليه وأبتسم في سعادة تدريجيًّا حتى تنتهي الصورة، ربما هي أسعد صورة لي في حياتي.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

8

مفاجآت جديدة في جريمة ستة أكتوبر
عامل المحارة المتهم كان ضحية للسفاح المجهول

كانـت الصحف كلها تتحدث عن علاقـة رجب بالفتاة وكيف أن رجب كان ضحيـة بدوره في تلك الليلة المشئومة التي طالـت الفتاة وأصدقاءها، لم تتناول الصحف مرض الفتاة وشـلتها وإنما أشارت إلى أن رجب كان مصابًا بالإيـدز وبالتالي فإن المجرم السـفاح القاتل قد يكـون مصابًا هو الآخر وقد يكون أحد اصدقاء رجب.

أطـوي الجريدة بين يـدي وأنا أجلس على المقهـى بالكورنيش أتناول من قهـوتي نهارًا وقـد ارتديت تلك النظارة الشمسـية التي اشـتريتها من إحدى الأسواق، كان التفكير كله في الوسيلة التي ستحملني لقتل معتز.

بدأت بالفعل في رسم سيناريوهات مناسبة للتخلص منه أن الوقت لم يعد في صالحـي، يجب أن أعـود للقاهرة في أسرع وقـت، أردت أن أكون بجانب أسرتي في كل الأحوال، لا أحد يعلم تحديدًا كيف سـيكون المستقبل في الأيام التاليـة.. فقد شرعت في تغييره منذ لقائي بخـضر، إن الخوف كل الخوف أن

Twitter: @alqareah

أكون قد أسرعت من عداد الزمن وأن الشرطة ستصل إلى باب منزلي مبكرًا عن السابع والعشرين من مايو.

القاهرة 17 ابريل

لم يكن هناك حديث لأهل القاهرة سوى عن أداء النادي الأهلي الباهت وصراع مجلس إدارته على بقاء أو رحيل الإدارة الفنية فيما تبقى من موسم كروي يبدو أنه يتجه ببطء نحو الزمالك رغم أن الفارق في النقاط لا يزال لصالح الأهلي بخمس نقاط، ذلك الأمر وسفاح ستة أكتوبر !! قنوات التلفزيون تمتلئ بالمحللين الجنائيين والخبراء الأمنيين واتصالات من المباحث تؤكد أن الأمن يعكف ليلًا ونهارًا على الإيقاع بالقاتل المجرم فستسمع مداخلات تليفونية على غرار.

يافندم إحنا بنحب نطمن الناس.

الأمن عيونه ساهرة لا تنام والمجرم حيتقدم للعدالة بعون الله.

أو مثلًا مكالمة تسمع فيها:

الجهات المعنية يافندم بتعمل على قدم وساق لكشف الحقيقة قدام الرأي العام في أسرع وقت.

فجأة أصبحت محط أنظار الرأي العام.

لم أتلق اتصالًا من نسرين طوال الأسبوع الماضي، كنت التزم غرفتي أبحث عن كلمات أكتبها في كتابي دون جدوى، حتى خضر لم يحاول معاودة

Twitter: @alqareah

الاتصال.. بحثت بين سطور الكتاب الأول فلم أجد شيئًا عن تلك الفترة التي تسبق القبض عليا سوى أني كتبت عبارة واحدة لم أفهم معناها أو ربما لم أفهم معناها بعد.

سنظل أوفياء لتلك اللحظة.. إن آفة الناس النسيان.

إلا الشمس والقمر لا ينسيان.

شمس إيه وقمر إيه؟؟ أنا ايه اللي كان في دماغي ساعتها؟؟ كنت في الصحرا مثلا؟؟ كنت مسافر هربان في حتة؟؟ ما أدركه جيدًا أنه تم القبض علي في منزلي هنا.. فما بال الشمس والقمر إذًا؟؟

كانت كل خططي للفتك بمعتز يشوبها الفشل في التصور والتخطيط، فهو لا يتحرك وحده، ويعود إلى منزله مع والديه في مصر الجديدة، نسرين أيضا تلازمه أغلب الاوقات، ورغم كل شيء فلن أقتله أمامها أكيد.. لا أريد أن تبقى آخر ذكرى بيننا بهذه الصورة البشعة حتى وإن كان السبيل خلاص الكوكب، وربما الكون كله، من شرور فتنة لا يعلم مداها سوى الله.

كنت أراقبه ليلًا ونهارًا.. لم يحدث أن جاء أحد من أتباع الإمام مجددًا لزيارته ولا حتى خالد عبد اللطيف ولكن بدأت صور الدعاية الخاصة به في الانتشار بين الزوايا والمساجد.. حتى إن خطيب صلاة الجمعة بالجامع المجاور لمنزلي بحدائق القبة أشار إلى أن خيرة الوطن وصلاحه في شبابها.. إشارة لا يستهان بها قبل الانتخابات، كانت الأحاديث الجانبية بين الشباب في الأكشاك على النواصي أيضًا حوله، فهو لبق حازم وعيناه يملؤهما الإصرار.

Twitter: @alqareah

الأيـام التالية كان يحتل شاشـات التلفزيون، بـين البرنامج والآخر المذيع يسأله عن رؤيته فتكون إجابته واضحة:

وطن واحد لكل المصريين.

ثـم إحـدى المذيعات في مـرة أرادت أن تقرأ طموحه المسـتتر فسـألته عما إذا كان يـرى منصب الرئيـس في المنام في يوم من الأيام فأجابها بدبلوماسـية شديدة نفس إجابته لي على شاطئ البحر:

مصر أكبر بكتير من فرد على كرسي الحكم.

مصر محتاجة كل فرد فيها يكون في الحكم.

مصر ملك الشعب وليست ملك رئيس.

والدتي تصفق له في عفوية، والدي يدعو له بالنصر، حتى شقيقتي تمدحه وتؤكـد أنه يا بخت مراتـه أو خطيبته بيه، التزمت الصمـت ولم أحدثهم أبدًا عن علاقتي به ومعرفتي بما يدور في رأس معتز للمسـتقبل، لسـت في حاجة لتفسير أمور من المعقد تفسيرها.

27 إبريل

الزمن يمر كالشـهيق ثم الزفـير.. لا نلبث أن نتنفس حتى ندرك أن اليوم قـد انتهـى، وفي حالتـي أنا.. الأيـام تنتهي سريعًـا للأبد.. انتخابـات الجولة الأولى لمجلس الشعب كان الموعد المقرر لها الأول من مايو أي بعد أيام قليلة مـن الآن، وكأن ما ينقصني أن يتملك التوتر مني أكثر.. عدت إلى منزلي بعد

Twitter: @alqareah

رحلة من المشي حول المنزل لأجد التلفزيون وقد التفت أسرتي حوله ولم يكن هنـاك مباراة لكرة القدم، فقط مذيع أحد البرامج الحوارية ومعه اللواء فلان العلاني يتحدث بثقة مبالغ فيها.

أيييييوه يافندم.. الظابط الشهيد محمد أبو بكر اللي توفي

ليلة فرحه من حوالي سنة وكام شهر.

أغلـق باب الشـقة في اهتمام وقـد تجاهلت الأسرة عودتي وبـدت أعينهم معلقة على الشاشة بينما المذيع يكمل..

المذيع:

معلش يا سيادة اللوا خلليني أفهم بالظبط كلامك وأنقله للمشاهدين

يعني الشـاب رجب اللي اتقتل في فيلا سـتة أكتوبر ده كان صديق للشاب اللي اتعذب على إيد محمد أبو بكر في الحبس؟

- يافنـدم واقعـة التعذيب دي تم التحقيـق فيها وقـرار التأديب اتنفذ في الظابـط الشـهيد ولكن.. أجهزة الأمن من سـاعتها وحضرتـك أكيد عارف كانت قدام قضية معقدة

يتدخل المذيع بينما أنا أبحث عن مكاني بين الأسرة للجلوس:

- اللي أنا فاهمه إن الأمن معرفش يمسك اللي عمل كده؟؟

- إدارة الفندق قدمتلنا ورقة فيها استمارة غرفة باسم هشام سيف الشاب الـلي حصل معاه التعذيب وفهمنا إنه فيه حد كان بينتقم من الظابط الشـهيد

Twitter: @alqareah

محمد أبو بكر.. جماعة بأه أو تنظيم ده اللي إحنا مكناش عارفينه بس بعد ما حصلت حادثة ستة أكتوبر

اكتشفنا إن الأخ رجب اللي مات في الفيلا كان أحد أعضاء تنظيم أسرة جامعية اللي كان الأخ هشام سيف رئيس ليها

إن اللواء يحاول جاهدًا الربط بين مقتل الظابط محمد أبو بكر وبين حادثة ستة أكتوبر وقد تدخل المذيع في دهشة..

المذيع: أيوه بس حضرتك مش شايف ان دي صدفة شوية والدوافع بين الحادثتين مختلفة خالص عشان اللي ينفذهم يكون واحد ولا إيه؟؟

(الضيق في الصوت) اللواء الفلاني وقد احتد في الإجابة:

يافندم مأنا جايلك في الكلام أهه.. نفس السيارة المية تمانية وعشرين البيضا اللي كانت موجودة في حادثة ستة أكتوبر كانت موجودة في الفندق.

دش الماء البارد يسقط على جسدي كله وقد التزم المذيع الصمت لحظة بينما يكمل اللواء:

عشان بس حضرتك والسادة المشاهدين تفهموا إن الأمن في مصر صاحي.. وأنا بأكد إن الأمن مش حينام غير لما المجرم السفاح يتم القبض عليه وأيا كانت الدوافع حنلاقيه احنا دلوقت عندنا يقين إن المجرم فيه صلة قوية بينه وبين هشام سيف والشاب رجب عبد العاطي.

الأفكار تتصارع وتتسارع في عقلي وفلاشات من اليوم السابع والعشرين من مايو تزيد من قلقي وارتباكي.

وأخيرًا إحنا عاملين نشرة ومداخل ومخارج المدينة كلها متأمنة

Twitter: @alqareah

وبأكد لحضرتك وللسـادة المشـاهدين إنه في خلال أيام حيتم القبض على السفاح.

تنتهـي المكالمة ويشـكر المذيع سـعة صـدر اللـواء الفلان العـلاني وينقل للمشـاهدين صورة نشـاط الأمن وثقتـه، وأيضًا غرابة الحـادث الذي يزداد تطورا بشكل عجيب، لم أفق من شرودي سوى على صوت والدتي التي تنظر لي في مودة وقد أدركت وجودي الآن

أغرفلك بأه يا حبيبي عشان تتعشى؟؟

أمضيـت الليلة بأكملهـا أبحث بين صفحات الكتاب عن وسـيلة كي أجد خضر كما قابلته عند السينما دون جدوى، كنت في أمس الحاجة لصديق أتحـدث معه، أشـاركـه همومي.. أكتـب تـلك السـطـور الآن بــلا هـدف أو اختيار.. فقط سـطور أكتبها لعل من يقرؤها يتذكرني فيكون الصديق في يوم من الأيام، قـد لا أكـون حيًّا أو قـد أكون في كل الأحوال، يا صديقـي أعلم أن لك صديقًا يحبك، صديقًا يحتاج لك، صديقًا لم يرك ولم تره، صديقًا قد مر بأحلك الأوقات ثم أدرك أنها ليست سوى لحظات عابرة من الأسى، سيأتي بعدها الخير.

وقفـت أعلى سـطح المنزل في مـكان لقائي بخضر وحديثـي معه، لم يأت خضر، حتى سـيد البـواب كان نائمًا هـو وزوجته، أتأمل هاتفـي المحمول.. لم يتصـل خـضر ولـن يتصـل، إن الأمر الآن صـار بيدي، عـلى أن اختار بين المستقبل وبين الحاضر.. أصرخ بكل حنجرتي عاليًا:

إنت فيييييين يا خضر ؟؟؟

الصمت الرهيب..

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

9

كانـت نسرين تقف بقلـب دار النشر تتأمل بعـض الأوراق بصحبة أحد العاملين بالمكان.. أقترب من الاسـتقبال في بطء وأنـا أتأملها جيدًا، لا أعلم متى سـأراها مجددًا.. تنبهت لوصولي بالمكان فابتسـمت في مودة واسـتأذنت العامل كي تقترب مني

نسرين:

أنت فين يا عم الأستاذ؟؟ اختفيت ليه؟؟

رجعت في كلامك.. شكلك مش ناوي تكمل الكتاب؟

أبتسم لها بدوري وأنا أبحث عن مبررات غبية مثل أن هواء الإسكندرية قد ندهني للبقاء وإني بالفعل اقتربت من النهاية لسـطور الكتاب وإني جئت لزيارتها حين انقطعت هي عن الاتصال.

نسرين:

معلش والله أصلي اتلخمت الأيام اللي فاتت دي

عشان الفرح وكده.. انت فاهم بأه

Twitter: @alqareah

تتنبه نسرين لأمر ما يبدو أنها قد نسيته في الأيام الماضية وتخبرني بأن هناك كتابا قد قرأته مؤخرًا هو عبارة عن رسائل نصية قصيرة كاتبه لديه فلسفة خاصة تشبه أفكاري السيريالية (على حد وصفها الساخر) وأنها قد احتفظت بذلك الكتاب في مكتبها من أجلي.

تصطحبني إلى أعلى المكتبة حيث أرفف كتب والدها وجدها، بدأت تبحث عن ذلك الكتاب في جدية وهي لا تتذكر أين وضعته وبدا عليها الحنق من ذلك النسيان الغريب الذي أصابها فقررت أن أكسر حدة الضيق وأسألها عن معتز وعن الانتخابات فألمح الشرود والتردد في عينيها ثم تجيبني بأنه يمضي أغلب وقته مع فريق حملته، حتى هي لم تعد تراه كثيرًا وأصبح مكتبه أشبه بغرفة للعمليات.

لا يزال الشرود في عينيها واضحًا ولذلك أسأل عن ذلك الشرود وأسبابه فتجيبني بهدوء أنها لأول مرة تشعر وأن معتز شخص آخر، ليس ذلك الشخص الذي تعرفت إليه منذ سنوات، ربما اقتراب موعد الزفاف هو السبب، هكذا يخبرها الجميع وهذا يبدو منطقيًا إلى حد كبير، ليس المهم ما يخبرك الناس به ولكن الأهم هو ما نشعر به نحن بداخل قلوبنا، كان هذا ردي عليها.

تبتسم في حرج وهي تؤكد لي أن هذا ما تشعر به فعلا، إن معتز على بعد خطوات من تحقيق حلمه، لاشك أنه بدوره يتملكه التوتر فلا داعي أن تكون هي بدورها عبئًا عليه، الصمت لثوان ثم تفاجئني هي بالسؤال:

نسرين:

Twitter: @alqareah

إنت اللي مالك.. فيه إيه؟؟ باين عليك إما مخنوق أو متضايق

فيه حاجة مزعلاك ؟؟

توقفت نسرين عن البحث عن الكتاب التائه وهي تنتظر مني إجابة لسؤالها، ياله من سؤال صعب ويالها من إجابة أصعب، ظلت شفتاي تترددان لثوان بين الكلام والصمت وبين الحقيقة والكذب ولكني لم أعد من هواة الكذب مؤخرا (عداد الحجج الواهية) ووجدت نفسي أجيبها بسؤال:

أنا:

تفتكري امتى ممكن الواحد يقتل؟؟

الدهشة في عينيها من السؤال، ثم تفكر لحظة وهي تجيبني في اهتمام لذلك الحديث الذي يبدو شيقا الآن.

نسرين:

يعني لو في حالة إن حد اتهجم علَيَّ أو على حد من بيتي.. من صحابي.. من أهلي.. دفاع عن النفس اسمها.

دفاع عن النفس؟؟ وما هي النفس تحديدا؟؟ هل النفس هي الجسد أم المشاعر؟؟ هل تعتبرين أن الحب من النفس؟ أن الصداقة من النفس؟؟ هل تنظرين للمثل والقدوة في حياتك من النفس؟؟ كانت الحيرة قد تملكتها الآن تمامًا.

نسرين

مش عارفة.. بيتهيألي أنا مش ممكن أقتل نملة ماشية في الشارع

Twitter: @alqareah

فسؤالك بالنسبالي صعب أوي إني أعرف أجاوب عليه

بس الأكيد إننا ساعات بنتحط قدام موقف بيخلينا نعمل آخر حاجة

ممكن نتخيل إننا نقدر نعملها

أنا بحاول أحط نفسي في الموقف ده

أنا

يعني مثلا لو حد وقف قصادك وحاول يقتل معتز.. ممكن تقتليه؟؟

تبدو الأمور الآن ظاهريا أسهل ولكن في حقيقة الأمر، يبدو أني قد سألت سؤالا عبقريا في توقيت أكثر داهية.

نسرين:

حسب يعني.. ممكن أمنعه.. أعمل أي حاجة

أخبطه على دماغه.. لازم أفهم هو بيعمل كده ليه

أنا:

عشان ممكن يبقى عنده حق في اللي بيعمله مش كده؟؟

(المزيد من القلق في عيني نسرين)

نسرين:

مفيش حد له الحق إنه يقتل بني آدم

بس اللي أعرفه إن محدش بيقتل حد من الباب للطأ كده

لو حرامي مثلا جايز أوقفه وجايز اقتله

Twitter: @alqareah

بس غير كده.. أكيد فيه سبب.. فاهم قصدي ؟؟

يكفيني من الحيرة ما حل على نسرين، فأؤكد لها إني فاهم قصدها كويس ثم أكمل بأني هذه الأيام أصبحت كثير التأمل في العالم المعقد الذي نعيش فيه وقد امتلأت الصحف والجرائد بحوادث القتل والدماء وأبحث عن مبرر بداخل النفس للقيام بمثل هذه الجرائم الوحشية ليس إلا، تهدأ ثورة الشك لدى نسرين وهي تبتسم وتتناول سماعة هاتف مكتبها لتطلب نسخة أخرى من الكتاب الذي تبحث عنه من أجلي وهي تجيبني في هدوء نسبي:

نسرين:

بصراحة عندك حق.. الدنيا زي ما تكون اتجننت

أجيبها بهدوء وعفوية وكأني أحدث نفسي:

لقد أصبح العالم مكانا قبيحا للعيش فيه

تقف نسرين لحظة في دهشة من الجملة فأجيبها مبتسما:

أنا:

ده عنوان أول فصل من كتابي.. ما تتخضيش منه

الموضوع مش كئيب أوي كده

لم تتبدل ملامح وجه نسرين من الدهشة بالرغم من تفسيري حتى تصل إنجي إلى المكان وهي تحمل نسخة الكتاب لتناولها لنسرين مسرعة وألقي إليها بالتحية بينما هي تخرج مرة أخرى من المكان تفتح نسرين إحدى صفحات الكتاب المنشود وتقرأ منه بصوت عال كي أسمعها

Twitter: @alqareah

نسرين:

ما عادت عيني ترى إلا ما هو جميل في الحياة

كنت قد اعتدت رؤية ما أراه وليس ما أشعر به

فأصبح العالم وقتها مكانا قبيحا للعيش فيه

ولكن الآن بعد أن أصبح لقلبي عينان.. لم يعد كذلك

الدهشة كالعدوى تنتقل إليّ ثم تقترب نسرين مني في اهتمام وهي تنظر إلىّ في حدة:

نسرين:

انت مين ؟؟؟ أنا عايزة أعرف دلوقت حالا إنت مين؟؟

عايز مني إيه ؟؟؟

أنا:

نسرين أنا والله العظيم ما عاوز حاجة

كداب في أصل وشي

أنا:

أنا مستغرب زيك.. أنا أول مرة أسمع عن الكتاب ده

تتأمل نسرين الكتاب في يدها ثم تقدمه لي وهي تحافظ على نظرة الحدة والتوتر .

نسرين

Twitter: @alqareah

اتفضل.. معلش أنا بس اليومين دول فعلا دماغي مش فيا
ورايا ميت ألف حاجة

أتناول الكتاب من يدها وأشكرها على وقتها، أعتذر عن اعتراضي طريق حياتهـا بتلـك الصورة وأؤكد لها أن الأمر لا يتعدى صداقة بين كاتب مبتدئ وصاحبـة دار نشر محترمـة.. أعود في طريقي إلى خارج المـكان وأنا متأكد أن عينها ستظل تلاحقني حتى أخرج.

■■■

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

10

الأول من مايو

كانت صناديق الانتخابات قد تم وضعها بلجان مدرسية، كانت المدارس في إجازة رسمية ذلك اليوم بسبب عيد العمال وتم إضافة يوم إضافي لفرز الأصوات، ذهبت مع والدي إلى اللجنة حيث إن لجنتنا كانت في مدرسة واحدة بحدائق القبة، الكل يقف في قلب الحر من أجل التصويت، كنت قد استخرجت بطاقة انتخابية لنفسي وكان والدي سعيدًا بهذه الخطوة، فهو على حد كلامه كان يرى بأن الواجب الوطني والضمير يحتم علينا أن نشارك حتى وإن كانت الانتخابات في شك التزوير.

من الصعب تزوير نتيجة معتز، فكل الشواهد تدل على أنه يحظى باهتمام شعبي وإعلامي واضح، لم أنتخبه ولم أختره وقد قمت بكتابة اسمي على الورقة لأبطل صوتي ثم وضعت الورقة في الصندوق بكل ثقة.

Twitter: @alqareah

الثالث من مايــو:

شاشــة التليفزيون.. معتز وسط أنصاره ومحبيه أمام مقر حملته الانتخابية، الصورايخ والشماريخ والزغاريد تملأ السماء أمام المقر بمصر الجديدة، الهتاف باســمه كان مســتمرا بينما هــم يحملونه عــلى الأعناق، إن ما أراه ليس ســوى صــورة مصغــرة لما رأيته من قبل على شاشــة الســينما مع خــضر، كان والدي ســعيدا ووالدتي أيضا وشــقيقتي كانت قد أنهكت نفســها حزنا حين أدركت أن معتــز خاطــب وعلى وشــك الزواج آخر الشــهر الحــالي، أما أنــا.. فكنت هادئا مفكرا متخذا قراري بيني وبين نفسي، فتحت باب الشقة وخرجت إلى الشارع في مشوار مهم.

كنت أظن أن شراء مســدس أمر معقد وصعب في هذه البلاد، كنت بحق ساذجا، العودة إذًا إلى ورشة محمود السروجي، كان محمود مرحبا بشدة بتلك الزيارة الليلية التي جاءت دون سابق موعد أو إنذار، شاركني الشاي في مودة بينما نحن نســتمع لأنغــام أم كلثوم وهي تغني ألف ليلة وليلة في اســتمرارية حتى كاد السروجي أن ينطلق مغنيا بدلا منها ولكنه اكتفى بالدندنة في وتيرة تتماشى مع اهتزاز اللمبة اليتيمة التي تضيء الورشة.

أنا:

أنا عاوز اشتري مسدس يا محمود؟؟

الدهشــة المتوقعة على وجه محمود والأســئلة المتتالية عن السبب والحجج الواهيــة مني حول بعــض العيال البلطجيــة الذين طاردوا شــقيقتي مؤخرا،

Twitter: @alqareah

محمـود يتعهد بـأن يتولى تأديبهم فأجيبه بأن الأمـر لا يتطلب كل هذا ولكني فقط في حاجة للمسدس من أجل إرهابهم فالشرطة فيها اللي مكفيها ولم تعد تهتم بشـئون صغار المواطنين أمثالنا، التفهم على وجه محمود الذي يخبرني أن من الأفضل إذًا أن أشـتري مسـدس صوت أو خرز ولكني أصر على أمري، أنا في حاجة لمسدس يطلق الرصاص.

صراحـة لم أكـن مهتما كثيرا لشـكوك السروجـي فالأيام التاليـة قد تحمل خـبر القبـض عليا أو مطـاردة الشرطـة لي، في كل الأحوال أنـا أعيش أيامي الأخيرة، حتى وإن وشى بيا السروجي في وقت من الأوقات لن يكون الأمر ذا فارق كبير، بالفعل أرشدني السروجي إلى أحد محلات الأسلحة والذخيرة بجسر السـويس يملكه رجل صديق للسروجي بحكم إصلاح سيارته لدى ورشـته.. كان يدعـى غبريال.. لم يكـن يتحدث كثيرًا.. المحـل الذي يملكه كان مختصا بأسلحة الصيد وبنادق الرش، ولكنه كان يدرك طلبي ويتفهـم ما أريد، أعطاني البريتا الصغير وقال لي بالحرف الواحد:

غبريال:

عارف تستعمله إزاي؟؟

أشرت له نفيا فتناوله من يدي لإرشـادي بشكل بُدائي في نفاد صبر، كان الأمر سهلا.. أهم ما في الأمر أن أراعي زر الأمان لحظة إطلاق الرصاص.. كان الثمـــن باهظـا ولكن الأمـــر الآن أصبحـت قيمتـه أكبر مـن أي شيء أو نقـود.. الألف جنيه كان غبريال يسـتحقها وأنا كنت أسـتحق المسـدس، عدت إلى منزلي مشـيا تلك الليلة وأنا أتذكر ثريا وأتذكر الأخ هشـام وأتذكر

Twitter: @alqareah

رجب عبد العاطي ثم وقفت في قلب الشارع متأملًا قصر القبة من أعلى الكوبري في صمت وهو يضيء بأنواره الليلية.. وقفت أتأمل الماضي لهذه البلاد وأنا أفكر كيف لحشرة تتعلق في جنبات التواليت بأن تغير الكون؟ الأيام التالية ستحمل الإجابة.

■■■

Twitter: @alqareah

11

ذلـك الشـاطئ مجـددًا، وجـوه الأطفـال المبتسـمة الفرحـة، كنـت أراها كلحظـات عابـرة ليس كحلمـي الأول.. كانت الأطفال تحـرك المياه في زمن أبطـأ مما نعيشـه.. كانت المياه تتطاير مـن حولهم.. لم أكن موجـودًا.. ربما هو منام أو رؤيا أو ربما هو من تأثير الضغط الذي أعيشـه فعادت الصور لرأسي في المنام.. لم يكن هناك أصوات سـواهـم.. سـوى أصوات ضحكاتهم.. أكاد أن أشـعر بحرارة الشـمس، أكاد أن أشـعر بها لدرجـة أني أنهض في سريري بغرفتـي منتفضًـا متصببًا في عرقي، ولدهشـتي لم أكن وحـدي بالغرفة، كان هناك شـخص آخر يجلس أمامي على طرف السرير.. كان خضر، كان يجلس هنـاك عـلى السرير مبتسـمًا بينـما أنفاسي تتلاحـق ولا أكاد أن أنطـق من فرط المفاجأة والدهشـة والقلـق أن أوقظ أحدًا من أهلي، ولكنـه لم ينتظر ولم يقدم مبررات أو تفسيرات كعادته. فقط سألني سؤالًا مباشرًا.

خضر:

اشتريت المسدس؟؟

Twitter: @alqareah

أعتدل في سريري وأنا أبحث عن أنفاسي مازلت، وقد بدأ الهدوء يتسلل إليّ ببطء، ونهضت عن سريري ثم فتحت درج مكتبي الصغير بمفتاح المكتب وتناولت المسدس منه من أمام خضر.

خضر:

مأنا عارف إنك اشتريته.

أنا:

أمال بتسأل ليه؟؟ بتلاعبني؟؟

ينهض خضر مفكرًا في نفاد صبر، وقد تبدلت ابتسامته للجدية والحزم.

خضر:

لأ.. بس حبيت أوريك إنك كان لازم تسمع كلامي من الأول،

وتبطل العناد اللي في دماغك ده.

يقترب خضر مني ويمسك بالمسدس بين يدي وهو ينظر لي في ثقة حتى يمسك هو بالمسدس.

أنا:

إمتى؟؟ حقتله إمتى ؟؟

يتأمل خضر المسدس بين يديه في حرفية ويبدو عليه التمرس في التعامل مع الأسلحة.

خضر:

Twitter: @alqareah

غريبة أوي.. الزمن بيغير حاجات كتير إلا السلاح فضل زي ما هو.. والهدف منه واحد.

أحتد عليه وأنا أسحب المسدس من يده في إصرار

أنا:

حقتل معتز إمتى يا خضر؟؟

يقف معتدلًا في تفكير وهو ينظر لي بجدية لا تفارق عينيه

خضر:

أحسن وقت تقتله فيه.. يوم الفرح.

الدهشــة على وجهي وأنا أنظر له وقد بدأ ضوء القمر يملأ الغرفة فيكسو خضر ظلًّا قاتمًا ينعكس على حائط الغرفة.

أنا:

يوم الفرح؟؟؟ استحالة أقتله قدام نسرين؟؟ إنت اتجننت؟؟

إزاي عـاوزني أقتلـه قدامها ؟؟؟ والكتـاب؟؟ حيجيلها قلـب منين تقرا الكتاب ولا تنزله بعد ما أقتل جوزها قدامها؟؟

خضر:

وانت عاوزها تنزل الكتاب ليه؟؟

معتز لو مات الكتاب ملوش قيمة.

Twitter: @alqareah

الشرود على وجهي لقد كان خضر مع الأسف محقًّا.. فما فائدة الكتاب إذا مات معتز؟.. ولكن ما فائدة حياتي إذن؟؟ وكيف سيفهم كل من حولي أن ما فعلته كان عن وجه حق؟؟

خضر:

وانت فاكر إن لما الناس تقرا كتابك اللي بتكتبه عننا دلوقت

حيصدقوا إن فيه حد اسمه خضر جاي من بعد خمسين سنة

وقالّك تعمل كده؟؟؟ إنت عارف حيودوك فين؟؟

الحيرة على وجهي وأنا أعود لأتهالك على السرير.

أنا:

مش عارف.. مش عارف أقولك إيه.

خضر:

ولا حاجة.. حتقول إيه؟؟ وبعدين انت مش حتبأه هنا

إحنا مش اتفقنا؟؟

أنا:

وجايز الاتفاق ميتمش.. جايز ميبقاش فيه حد ينقلني لبكرة

وحتى لو.. أبويا وأمي.. مش ليهم الحق يعرفوا.. يفهموا

ينزل خضر على ركبتيه من أمامي وهو ينظر لي في حنية لا أنكرها.

خضر:

Twitter: @alqareah

صدقني.. محدش حيصدقك.. افهم يا صاحبي

خلاص.. الحكاية بتخلص.. معتز لازم يموت

الصمت على وجهي وهو ينظر لي في ابتسامة عطف

أنا:

بس متقولش صاحبي.. أنا قعدت أدور عليك

وملقتكش.. قعدت أقول يا خضر.. بس انت مجتش.

يبتسم ابتسامة أكثر اتساعا وهو يقترب ليجلس بجواري على السرير

خضر:

حتفهم.. صدقني حتفهم كل حاجة.. بس في وقتها.

أنظر له في ابتسامة أسى

أنا:

رجعنا تاني لحدوتة الخضر.

يـدس خضر يده في جيب الجاكيـت الأنيق الذي يرتديه ثم يتناول صورة فوتوغرافية من جيبه بينما عيناي تلاحقه بفضول.

خضر:

نسرين.. أمي.. كانت بتحب تحط حاجتها كلها

الصيغة والتذكارات الصغيرة في شكمجية واحدة،

شكمجية دهب كانت لجدتها وكانت أمي متعلقة بيها لحد ما ماتت.

Twitter: @alqareah

يتأمل الصورة بين يديه متنهدًا وأنا لا أكاد أن أرى ما فيها بعد وقد بدا خضر يستجمع الكلمات.

خضر:

طول عمري كنت غاوي أفتح الشكمجية دي وابعتر اللي فيها

عمري وأنا متأكد ما شفت فيها الصورة دي

الصورة دي لقيتها من يومين في قلب الشكمجية

أتأمل الصورة.. إنها الصورة التي جمعتني بنسرين بالإسكندرية، اللهفة في عيني وأنهض عن السرير بينما على ظهر الصورة كتبت كلمات بخط اليد:

سنظل أوفياء لتلك اللحظة.. إن آفة الناس النسيان

إلا الشمس والقمر لا ينسيان

أتناسى تماما أنني في المنزل وأن أسرتي نائمة وأنا أصرخ فيه وقوة وحماس ولهفة الأطفال مجتمعة في عيني:

أنا:

أهه.. أهه الدليل قدامك.. المستقبل بيتغير.

نسرين بتحبني.. الصورة والكلام ده أنا

أنا اللي كنت معاها.

ينهض خضر وهو يقف أمامي

خضر:

Twitter: @alqareah

بس أنا لسه موجود

واللي حصل لسه موجود وأبويا اتجوزها

الأسى على وجهي وهو يربت على كتفي

خضر:

أنا آسف.. جايز الصورة تكون علامة وجايز لأ

بس إحنا منقدرش نضيع كل اللي عملناه دلوقت

اوعدني إن ليلة سبعة وعشرين مايو.. كل حاجة تخلص

أتأمل الصورة بين يدي حزينًا

أنا:

اوعدك

يبتسم خضر وهو يربت على كتفي مشجعا

خضر

خلي الصورة معاك وخلي بالك من نفسك.

تبقى الابتسامة بيننا وهو يقف أمامي في هدوء وهو يمد يده لي في مصافحة.

خضر:

كان نفسي أقولك: أشوف وشك بخير

بس أنا مش حبأه موجود عشان نتقابل،

Twitter: @alqareah

ولا حتى بعد الوقت.

أنا:

دي آخر مرة نتقابل فيها؟؟

يشـد على يدي ثم ننظـر لبعضنا البعض وقد بدت عينـاي تكاد أن تفلت دمعـة حزينـة لا معنـى لهـا فيحتضن جسـدي في تشـجيع فانفلـت باكيا بين ذراعيه.

أنا:

أنا ماليش صحاب غيرك.. حتى انت حتسيبني؟؟

يمسك خضر بذراعيّ في قوة وإصرار.

خضر:

لو بصيت كويس في حياتك حتلاقي إن كان عندك صحاب كتير

صحاب لكل وقت.. مش مهم يستنوا معاك.. المهم الذكرى الحلوة

اللي سابوهالك.. بالتوفيق يا صاحبي.. خليك فاكر

اللي حصل وحيحصل مش في إيدينا نغيره

حتى أنا وانت.. مكتوبلنا نتقابل.. مكتوبلنا نغير بكرة

أنظر له متذكرًا

أنا:

و بكرة ؟؟؟ أنا حوصل لبكرة إزاي يا خضر؟؟

Twitter: @alqareah

يفلتني خضر وهو يتجه نحو الباب ثم ينظر لي نظرة أخيرة

خضر:

حتقع.. المرادي حتقع بس إياك تخاف أو تقلق

وخليك فاكر ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ بس كده

أنظر له بدهشة وأنا لا أفهم معنى الفزورة

أنا:

مش فاهم

يبتسم خضر في حرج وهو يتكئ على المكتب

خضر:

دي الرسالة اللي مطلوب مني أبلغهالك

وما على الرسول إلا البلاغ.. حقيقة اللي حيحصل إيه؟

انت اللي حتعرف تفهمها في وقتها.

يبتسم خضر لي ثم يفتح الباب ويغلقه ليتركني بغرفتي، المسدس عاد لمكانه بالمكتب، كل شيء كما كان قبل زيارة خضر وقبل أن أفيق من نومي.. فقط صوت أذان الفجر يأتي عاليًا فأنظر إلى النافذة ولضوء القمر وأبتسم.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

12

20 مايو

أقـف في تلك الليلة الحـارة أتصبب عرقًا أمام كاشـير فرحات الكبابجي وأطلـب منـه أكـبر وليمة ممكنـة لأسرة مكونة مـن أربعة، كان والـدي دومًا مـن هواة الطرْب، والدتي وشـقيقتي مـن هواة الحمام.. أما أنـا فالكفتة المتبلة التقليديـة بالنسـبالي كانت وسـتظل الأعظم لحشـوها في نـص رغيف بلدي وتغـوص مع الطحينة حتى يتشربهـا الرغيف ثم تتلذذ بتدمير قولونك قطمة تلو الأخرى.

فوجئ والدي بتلك العشـوة التي دعوتهم إليها على مائدة السـفرة بالمنزل كنـت ألمح السـعادة تقطـر من عيونهـم جميعًا.. كنـت أريـد أن أحتفظ بتلك الصـورة في رأسي أكبر قـدر ممكن.. كنت مصرًّا ألا نتحـدث في أي أحاديث جانبية: سياسـية، دينية، كروية، فقط أسرة سعيدة تتناول طعام العشاء معًا.. كان العشـاء الأخـير ربـما، الأيـام التالية معـدودة.. ربما أضطـر للهرب من المنـزل كـي لا يتـم القبض عليا وكي أنتهـي من مهمتي الأخـيرة.. قتل معتز الشافعي.

Twitter: @alqareah

كانت والدتي تحمل المشروبات الغازية وشقيقتي تساعدها، كان والدي يضحك في سعادة وهو يحكي لنا عن قدراته أثناء الشباب على التهام كل هذا الطعام وحده.. سألني بالطبع عن سر تلك النفحة المفاجئة فأخبرته بأني فقط أردت أن أشاركهم العشاء كأسرة سعيدة.

كانت الشكوك في عينيه حتى وهو يربت على ساقي في حب ومودة، كان والدي يشعر بأن الهدوء الذي نعيشه يسبق عاصفة ستطيح بنا عاجلًا أو آجلًا.. كل ما كان يهون عليه أن فارق النقاط أصبح نقطتين بين الزمالك والأهلي.. كل ما يحتاجه الزمالك الآن هو الفوز في مباراة اليوم السابع والعشرين من مايو، وأن يخسر الأهلي أو يتعادل.. أبتسم له ثم أهمس له في أذنه:

الزمالك حيكسب الدوري يا بابا.

ينظر لي ثم يبتسم في سخرية وهو يمسك بطعامه بين يديه ويجيبني إجابة الأب التي لم أتوقعها لأني لم أفهمها.

والدي:

انت عارف.. مش مهم الزمالك يكسب.. المهم انت.

انت تعيش حياتك وتنبسط.. طول مانت راضي.. أنا صدقني يا بني راضي ومبسوط.

عدت إلى غرفتي متأملًا أوراقي.. الصفحات الأخيرة من كتاب لا أعلم كيف سينتهي، هل سيقرؤه أحد بعد رحيلي؟؟ من سينشره إذن؟؟ بالتأكيد

Twitter: @alqareah

ليس نسرين.. بالتأكيد ليس والدي الذي أشك مع الأسف أنه سيتفهم سبب ما فعلته وما أنا على وشك أن أفعله، لا يقاطع حبل أفكاري سوى جرس هاتفي المحمول فأتأمل المتصل. انها نسرين.. أتردد للحظة ثم أجيب فيأتي صوتها من الناحية الأخرى مترددًا يحاول الابتسام.. صوتها يدعوني للفرح.. ولكنه أيضًا يدعوني لزيارة مكان الفرح قبل أن يتم.. كان الموعد باليوم التالي أرادت أن تعطيني دعوة الفرح بنفسها على حد كلامها.. كان الموعد نهارًا في إحدى الحدائق الكبرى على شاطئ النيل، الفرح كان سيقام في تلك الحديقة.

وصلت في موعدي التاسعة صباحًا للقاء نسرين، كان المكان كله على قدم وساق للتجهيز من أجل الفرح، كل شيء يؤكد أن الحفل سيكون أسطوريًا.. تلك البرجولات الملوكية الصغيرة التي تتوسط المكان، كان المكان قصرًا قديما على ضفاف النيل يعود تاريخه لأسرة محمد علي، أخطو إلى داخل الحديقة متأملًا الأفق حيث بدت نسرين في انتظاري.. للحظة تخيلت نفسي الفارس العريس ونسرين هي الأميرة العروسة.. أبتسم لذلك الحلم الطيفي الذي يراودني للحظة كمراهق شاب، خطواتي نحوها تدفعني للتساؤل مع كل خطوة.. كيف ستكون حياتنا؟ هل كنت أقدر على إسعادها؟ هل أنا قادر على إسعاد أحد في حياتي؟؟ إنني على وشك أن أحطم فؤاد أسرتي حين تقوم المباحث بعملها على أكمل وجه وتصل لمالك السيارة البيضاء.. أقترب منها وقد بدت تبتسم فتصافحني في مودة ثم تناولني تلك الدعوة الأنيقة في الظرف الأبيض ذي الختم الذهبي الذي يحمل اسمها واسم معتز بينها ضفاف النيل على مقربة منا.

Twitter: @alqareah

أنا:

مبروك.

تبتسم وهي تمشي معي بجوار الشاطئ الصغير وقد بدأت تتحدث عن أسفها عما بدر منها في آخر لقاء لنا، تسألني عما إذا كان المكان أعجبني، أؤكد لها أن كل شيء يبدو ساحرًا، إن المبنى المجاور، ذلك المنزل القديم، سيكون استراحتها قبل الزفاف وكذلك معتز الذي طلب إعداد غرفته بجوارها، أنظر إلى المكان مليًّا، قد يكون ذلك المكان ممتازًا كي أضع الرصاصة في قلب معتز ورأسه دون الحاجة كي أفعل ذلك أمام نسرين.

لا تزال نسرين تمشي بصحبتي، وأنا أتأمل البيت بعناية من بعيد، بينما هي تبحث عن كلمات لا تحتاجها لتفسير علاقتي بها.. إنها كما قالت من قبل تشعر وكأنها كانت تعرفني طوال عمرها.. أمر لا تستطيع تفسيره ولكنها سعيدة حقًّا بمعرفتي وأنها تترقب فعلًا قراءة كتابي كي تتعرف أكثر على كل تفاصيل حياتي التي أخفيها، لا أعلم لماذا توقفت فجأة عن المشي معها وأنا أضع يديّ في جيوبي متنهدًا وأنظر نحو سطح المياه في شرود.

أنا:

أنا معنديش حاجة أخبيها عليكي يا نسرين.. أنا مليش صحاب غير واحد اتعرفت عليه في الجامعة.. كنت بحبه زي أخويا.. يمكن لأن عمري ما كان ليا أخ فا حسيت إن هو ده فعلًا أخويا بس مع الأسف.. الحياة فرقتنا.. بعدنا عن بعض وبأه صعب نتقابل تاني.

Twitter: @alqareah

عرفتـه عن طريق واحـد.. كان الوحيد اللي حسسـني إن الدنيا فيها ناس ممكـن تقف جنب بعضها مـن غير حاجة أو مصلحـة، وبرضه هو كمان راح من حياتي.

تنظر لي نسرين وأنا أحاول أن أكمل حديثي.

أنا:

حبيت في حياتي مرتين.. وفي المرتين كان الحب ده مستحيل.

نسرين:

ليه مستحيل؟؟

الكلمات تتوه في عقلي.. لا أعلم كيف سأخبرها بالحقيقة الآن.

أنا:

الواحد ممكن يعمل أي حاجة عشان يبأه مع اللي بيحبه.

بس استحالة يقدر يغير القدر يا نسرين.

اللي حصل وحيحصل مش في إيدينا نغيره.

الصمت على وجهها بينما أكمل في إصرار

أنا:

أول مرة حبيت فيها غلطت إني معرفتش أقول للي بحبها إني بحبها

بس تاني مرة لسه الوقت في إيديا حتى لو كانت خلاص كلها أيام وتبقى لواحد غيري.. بس حقولها.

أنظر في عينيها بكل ما فيا من حواس.

Twitter: @alqareah

أنا:

حقوها لأنه حتى لو مبقيناش مع بعض

كل اللي يهمني إنها تعرف إن فيه واحد في الدنيا دي بيحبها

لو نامت بالليل لوحدها.. فيه واحد بيفكر فيها.

لو حست إن ملهاش حد يسمعها

فيه واحد حيسمعها.. الواحد ده أنا.

الرسالة وصلت.. عيناها تؤكد ذلك.. عيناها تتحاشى النظر تجاهي.. عيناها تهرب نحو الحديقة، أتأمل الدعوة في يدي وأقرر أن أكسر حاجز خوفها

أنا:

نسرين.. معرفش حتصدقيني ولا لأ.

بس فعلًا أنا كنت أتمنى نتقابل في وقت تاني

في عالم تاني يمكن.. دنيا تانية وناس تانية

انتي زي مانتي.. بس أنا مش زي مانا

لا يزال الصمت حليفها ثم أمد يدي كي أصافحها فتستوقفني وقد أمسكت بيدي.

نسرين:

حستناك في الفرح.. لازم تيجي

أبتسم لها في مودة.

Twitter: @alqareah

أنا:

لازم آجي فعلًا.. دي حقيقة.

أبتعد عنها بينما هي تقف على شـاطئ النيل وأمشي أنا مبتعدًا والدعوة في يـدي.. تذكرة الدخول لمسرح جريمتـي الأخيرة.. أتنهد لنفسي في ضيق وأنا أعـود ببصري تجاهها في عفوية فتبدو في مكانها تنظر تجاهي ثم تعود ببصرها عني في حرج فأعود في طريقي في ثقة متأملًا الحديقة والبيت القديم باهتمام، أنظر حولي جيدًا ثم أتخذ قراري بأن أسرق نظرة داخل ذلك المنزل.

كانت صالة المنزل واسـعة، ويبدو أن المنزل نفسـه كان اسـتراحة للأسرة المالكـة في مـصر وقتها.. غرف عـدة وقد بدأ طاقم التجهيـزات يقوم بإعداد المكان.

لفت انتباهي تلك السـاعة القديمة الضخمة التي تتوسط البهو الرئيسي. كانـت تلك السـاعة القديمة هي نفسـها السـاعة القديمة عـلى غلاف كتابي الأول.. الكتـاب ذي الخمسـين عامـا !!! هـل كنـت أنتـوي حضـور حفل الزفـاف بالفعـل؟؟؟ توقفـت أمام السـاعة جيـدًا كانت تشـير للثانية عشرة وتوقفت عقارب الساعة عند تلك اللحظة دون حراك.

عينـاي تتجهـان نحو السـلالم التي تـؤدي إلى الأدوار العلويـة من المنزل أتجـه لأعـلى، حيث تأخذني السـلالم إلى ممرات الغرف.. أمـشي بالممرات.. لم يسـتوقفني أحد.. لم يسألني أحد عن سبب وجودي بالمكان وكأني شبح يمر وسطهم، أنظر إلى إحدى الغرف الواسعة بدا الباب مفتوحًا، أتسلل في خلسة وأنـا أفتح الباب ويبدو ذلك الفسـتان الأبيض بقلب الغرفة وحيدًا.. لم يكن

Twitter: @alqareah

أحد بالغرفة الواسعة.. كان جناحًا ملكيًّا على ما يبدو.. الجناح فسيح له نافذة ضخمة تطل على الحديقة بأكملها وكان الفستان هناك.. معلقًا بقلب الغرفة على مانيكان يجعله منتصبًا في هيبة وجمال، اقتربت منه وأنا أبتسم متخيلًا نسرين وهي ترتديه.. ستبدو جميلة فعلًا.. هي جميلة في كل الأحوال ولكن ذلك الفستان.. ياله من فستان رائع، أعود ببصري متأملًا الغرفة للحظة أخيرة مفكرًا، هل فعلًا سأحرم نسرين من ليلة عمرها.. هل يستحق الأمر كل هذا العناء والأسى؟؟ كنت أتمنى حقًّا أن تسير الأمور في طريق آخر ولكن تأتي رياح خضر بما لا تشتهي سفني.

عدت إلى الممر مرة أخرى متأملًا الغرف، ثم تنبهت لذلك الصوت الذي أعرفه جيدًا. كان صوت معتز يجادل مع أحد القائمين على تجهيزات الحفل، أقترب أكثر من الغرفة التي يأتي منها صوته كان الباب مؤصدًا.. هل هي فعلًا غرفة معتز؟؟ أم هل سيكون بغرفة أخرى؟؟ أفكر في حيرة قبل أن أتخذ قرارًا أندم عليه أفاجأ بنسرين وانجي من ورائي.. صوتهما يقترب فأتحرك مسرعًا بالممر كي لا تراني إحداهما حتى أصل إلى طرف الممر والنافذة الضخمة التي تنزل حتى الحديقة وعمال المطبخ الخاص بالحفل.. كانت النافذة ليست ببعيدة عن الحديقة فهناك سلم خلفي يقود لنفس الممر.. لاشك أن هذا السلم سأحتاجه كي يقودني إلى معتز ليلة الفرح أيًّا كان مكان غرفته.. أسرع على السلم متجهًا نحو الحديقة وأتجه في عزم إلى خارج المنزل وأنا ألقي نظرة أخيرة تجاهه.

Twitter: @alqareah

13

لم يكـن هنـاك أي أخبـار جديدة حول حادثة سـتة أكتوبر أو مـا تم ربطه معها بحادثة مقتل النقيب محمد أبو بكر !! وكأن الرأي العام قد تناسى الأمر ومعه الصحافة بسـبب ضجة الانتخابات.. حتى إني بدأت أشـعر أن كل ما أثير حول الحوادث كان دوشـة ما قبل الانتخابات.. ذهبت إلى نفس الترزي الذي قدم لي توكسـيدو جريمة النقيب محمد أبو بكر من قبل.. اشتريتها هذه المرة.. اشتريت البدلة خصيصًا من أجل تلك الليلة.. ليلة السابع والعشرين من مايو.

كانت خطتي قد أعدت.. أحكمت.. بدت واضحة المعالم، سوف أذهب للفرح بالدعوة ومعي مسدسي الذي اشتريته من محل غبريال للأسلحة. اثنتا عشرة طلقة في خزنة المسدس.. سوف أفرغ المسدس في جسد معتز الشافعي، لن أترك أقل فرصة أن يعود للحياة.

كنـت أحـرص تلك الأيام أن أبقـى علي مقربة من أسرتي قـدر الإمكان، أمضيت الليل مع شقيقتي بجوارها، أتأملها أثناء المذاكرة أحاول أن أفهم ما تدرسه دون جدوى، لم أكن من هواة العلوم فما بالك بالطب!!

Twitter: @alqareah

كنت أستمتع بأعمال المنزل مع والدتي، كنت أقف معها في المطبخ أقوم بغسل الأطباق ونحن نستمع معًا لإذاعة الأغاني.. نغني معًا تلك الأغاني المبهجة ونتحاشى الأغاني ذات الكلمات الحزينة البائسة.

مالي وأنا مالي وأنا مالي بالأحزان أنا مالي.

حقًّا.. أنا مالي بالأحزان؟؟ !! مالنا بها.. كانت والدتي تظن كل الظنون في تصرفاتي.. كانت شبه متأكدة أن هناك حبًّا في حياتي جديدًا أنساني ثريا الحب الأول، حتى إنه لم يعد هناك شك أن هذا الحب الجديد هو الحب الحقيقي في حياتي.. أبتسم لها وأنا أؤكد لها أني فقط أستمتع بإجازتي من العمل.. أراقصها فتضحك وهي تضربني عن حب بينما يبتسم لنا والدي.. الذي يدعو للسماء أن تدوم تلك السعادة في المنزل فتتبدل عيناي.. كم أتمنى يا أبي أن تستمر فعلًا تلك السعادة.. كم أنا صرت نادمًا أني لم أعش مثل تلك اللحظات من قبل معهم.. غريب أمر الحياة متى أدركنا الموت صرنا بلا قلق أو خوف مع أن في حقيقة الأمر كلنا حنموت.. تفرق إيه بأه؟؟ ما نحاول نعيش كل يوم كأنه آخر يوم في حياتنا؟؟

كنت ألمح لحظات السعادة في وجوههم ببطء الزمن الذي رأيت فيه الأطفال على الشاطيء، كنت أتمنى أن يتوقف الزمن والوقت على تلك اللحظات التي بدت أسعد ما عشت في حياتي.

27 مايو

عمرك تخيلت آخر يوم في حياتك ممكن تعمل فيه إيه؟؟ طفلًا كنت أسأل نفسي ذلك السؤال ثم جاء الزحام، جاءت الحياة. الوجوه، البشر، الأوقات الصعبة واللحظات السعيدة لتنسيني الإجابة.

Twitter: @alqareah

استيقظت مع فجر ذلك اليوم، مشيت الشارع حتى وصلت للمسجد الصغير الموجود بقلب الشارع المجاور.. صليت الفجر، كان الإمام صوته هادئًا واثقًا.

توجهت في طريقي نحو كوبري القبة أتأمل شروق الشمس على المدينة، تأملت في طريقي الوشوش.. المارة وأصحاب الدكاكين الصغيرة، المياه التي لم أفهم ما جدوى رشها أمام الدكاكين.. تقول الأسطورة إنها لترطيب الجو.. حرصت أن أمر في طريقي على كل من عرفتهم بالمنطقة، من اشتريت منه الحلوى في طفولتي، من ابتعت من عنده أول علبة سجاير، حتى مدرستي القديمة.. مررت بجوارها أتأمل الأطفال من خلال السور، أتأمل الجيل الجديد وهو يطارد فتيات المدارس الأخرى بعبارات غزل باتت أكثر جرأة من وقتي، إن الوقت يمر والذكريات تبقى.

لم تكن المدينة محاطة بسحابة الغبار المعتادة، كانت السماء زرقاء تنقشها سحب بيضاء لا تكاد أن تتحرك، تأملت السيارات ومشيت حتى الكوبري ثم استقليت المترو متجهًا نحو حدائق المعادي، تأملت المترو وأنماط البشر، هؤلاء من يدفعون ثمن البقاء أحياء في هذه البلاد بلا أمل أحيانًا سوى أمل الغد الأفضل.. نفسي آخد الناس كلها في حضني وأقولهم بكرة.. بكرة كل حاجة حتبأه حلوة.

وصلت إلى منزل المعلم عباس حيث ماتت ثريا معه حرقًا.. كان المنزل قد تم إعادة دهانه بألوان فجة قرمزية، ابتسمت في سخرية لشكل المنزل الذي يبدو وكأنه تناسى الفاجعة وأنا لم أنسها، ربما حوائطه لم تنس مثلي.

Twitter: @alqareah

عدت إلى منزلي في الخامسة عصرًا ومباراة الزمالك على وشك البدء في السابعة مساء، كان والدي يستعد ويتأهب في حماس لذلك اللقاء التاريخي، إن الاهلي بدوره يلعب مباراته في نفس الوقت، أغلقت على نفسي باب غرفتي ثم أخرجت بدلتي التوكسيدو من الدولاب في استعداد للفرح، تناولت الدعوة تأملتها بين يدي متنهدًا ثم عدت إلى مكتبي أكتب سطوري الأخيرة.

من المؤسف أني لم أعد أملك كلمات أو ربما كلمة لائقة أختتم بها كتابي، إن النهاية لا أعلمها وليس هناك كتاب من دون نهاية، بحثت في رأسي حتى عصرته ثم تذكرت الكتاب الذي أهدتني إياه نسرين، من الواضح أن الكاتب بيني وبينه تلاقٍ ما، أو ربما كنت قرأت كتابه قبل كتابة الكتاب الأول.. تناولته من داخل الدرج، كان نفس الدرج الذي أحتفظ فيه بالمسدس.. تأملت الصفحات ثم توقفت عند ذلك السطر.. كان الكتاب كله نصوصًا شعرية قصيرة إلا ذلك السطر.. كان وحيدًا:

سنظل أوفياء لتلك اللحظة.. إن آفة الناس النسيان

إلا الشمس والقمر لا ينسيان

تأملت السطر جيدًا.. تذكرت اللحظات الأخيرة بيني وبين نسرين بالإسكندرية.. تذكرت ضحكاتها، تذكرت عينيها، تذكرت كل كلمة قلتها لنسرين، تذكرت أول لقاء بيننا، تذكرت النصف متر التي فصلت سيارتينا، تذكرت المكالمة وليثر كير ووجودها بالمكتبة ودار النشر، تذكرت الإسكندرية، ثم تذكرت أن ذلك السطر الذي لم أفهم معناه وقت ما قرأته

Twitter: @alqareah

بكتـابي الأول يعـود لتتضح معانيه، أنا الذي تعلم الرؤية بقلبه، تعلم أن أرى علامات حياتي وأن أسير طبقًا لها، إنها لا تستحق أن أحرمها من سعادتها مع معتـز مـن دون أن تعرف الحقيقـة، لملمت أوراقي كلهـا وجمعتها حتى كتاب نفس ذلك السطر الأخير، سأعطيها الكتاب، إن من حقها أن تعرف.. كانت تعـرف في زمـن آخر، كانت سـتنشر الكتاب وتتحمل مشـقة لقائي، تحملت مشقة إعدامي، ستتحمل أن تفهم أنا متأكد، تناولت الصورة من درج مكتبي وضعتها بين صفحات الكتاب وأحكمت طيها بين الورق.

وضعـت بدلتي وتأملـت نفسي في مـرآة الغرفة جيدًا كانـت الدعوة على مكتبـي لا تـزال.. وضعت مسـدسي بجيبـي، وضعـت أوراق الكتاب كلها والصورة الصغيرة في ظرف مغلق وكتبت عليه عنوان كتابي.

بعد الوقت

أحكمـت وضع الظـرف في بدلتي ثم جـاءت اللحظة المنشـودة، صوت والـدي يصرخ من الصالة مناديًا باسـمي فأخرج من الغرفة مسرعًا متناسـيًا الدعوة على المكتب.

لقد أحرز الزمالك هدفًا والأهلي متأخر بهدفين، والدي يرقص فرحًا بينما والدتي في منتهى السعادة وشقيقتي تصفق بدورها لسعادة والدي .

والدي:

عرفت ازاي ؟؟؟؟ عرفت ازاي يا ولا ؟؟؟

Twitter: @alqareah

لم أدرك لماذا سقطت دموعي.. أي دموع تلك.. هل هي الفرح؟ الندم؟؟ أم هل هو الوداع؟؟ لم يقاطع سعادتنا سوى طرقات الباب القوية فتتجه الأنظار كلها نحو الباب، قلبي يكاد أن يتوقف.

شقيقتي تتجه نحو الباب.. أكاد أن أستوقفها ولكنها لم تسمعني.. عاد الزمن للبطء.. كل شيء يمر في لحظات بطيئة أمام عيني.. الباب يفتح.. عناصر الشرطة تقتحم الصالة، الدهشة على وجه والدي.. والدتي تصرخ الأمن يتجه نحوي مسرعًا.. والدي يحاول أن يمنعهم.. أدفعهم بكل قوتي ثم أتناول مسدسي وسط دهشة أسرتي لم أكن أفكر كثيرًا.. الطلقة الأولى أصابت ضابط الأمن في كتفه الذي يرتد للوراء فيسقط متألمًا على الأرض.. الذهول على وجه أمين الشرطة ومعاون المباحث والعساكر.. أصوب المسدس تجاههم مهددًا إياهم.. والدتي تصرخ، أكاد أن أسمع صراخها من فرط وهول المفاجأة

فيه إيييييه؟!

والدي يتهاوى غير مصدق ما يحدث في منزله بينما أنا أشير بالمسدس في وجه الأمن، الصراخ بداخل الشقة، الأمن يهددني ويستوقفني في صدمة ودهشة.. لحظات قصيرة استغرقتها كي أرى عيون أسرتي المفزوعة، لم أشأ أبدًا أن تكون هذه آخر صورة لنا معًا، ولكن ربما هذا هو عقاب السماء، هل فارق والدي الحياة؟؟ لن أعرف الإجابة على ذلك السؤال.. جريت خارج الصالة.. والدي كان على الأرض.. شقيقتي بجواره تبكي وتنده باسمه في صراخ أكاد أن أسمعه وأنا أجري أسفل درجات سلم المنزل مسرعًا.

Twitter: @alqareah

كنت أحمل الكتاب والمسدس.. فقط.. هذه هي سطوري الأخيرة، أجري نحـو النهايـة التي لم أدركها بعد، جريت بكل قـوتي.. جريت إلى خارج باب العمارة نحو الشارع.. أكاد أن أسمع أصوات الأمن خلفي، أجري من شارع إلى الشـارع الآخر.. أجري والدموع تكاد أن تحجب الرؤية عن عينيي.. كل ما كنت أنطق به هو.. أنا آسف.

كنت آسـفًا لأسرتي.. لحياتي.. حتى للضابـط الذي أصبته في كتفه بالمنزل دون قصد.. كنت أجري بلا هدف الآن.. لم يتبق لي سـوى هدف أخير.. إن الكتاب أحتفظ به بين ضلوعي، لا أملك دعوة الفرح ولكني كنت مدعوًّا.. مدعوًّا لجريمتي الأخيرة، استوقفت سـيارة أجرة متجهًا نحو حفل الزفاف وفيه كتبت تلك السطور، ربما في يوم من الأيام يدرك أحد النهاية فيحكيها.. أما أنا.. رغم أني أدركت كل ما سـيحدث في المستقبل فإني حقًّا لا أعلم شيئا عن نهايتي.

■■■

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

السابع والعشرون من مايو

بقلم

نسرين محمود سلام

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

بسم الله الرحمن الرحيم

أمضيت ثلاثة أشهر من البحث وراء تفاصيل ذلك اليوم تحديدًا كي أكتب تلك السطور، بحثت كثيرًا في عنوان يليق بذلك الفصل الأخير، الفصل الذي لم يكتبه كاتب هذه الرواية ولم أجد عنوانًا أفضل سوى تاريخ ذلك اليوم الذي لن أنساه في حياتي أبدًا.

التاسعة مساءً

موعد الزفة كان في التاسعة والنصف، كنت أجلس بغرفتي وحدي، كنت قد ارتديت فستان الفرح كاملًا، لا أعلم لماذا طلبت من إنجي وباقي أصدقائي أن يتركوني وحدي للحظات قبل موعد الزفاف، كان معتز في انتظاري والحضور أيضًا صوت كل من عرفتهم بحياتي وأصدقائهم يترقبونني بالأسفل.. كنت أتأمل النافذة العريضة الموجودة بداخل الغرفة.. كنت أتأمل الحديقة والحفل والأنوار التي وصلت إلى حد مياه شاطئ النيل لتنعكس على سطحه.. كنت أفكر وأتساءل: هل تلك الليلة هي ذات الليلة التي كنت أحلم بها منذ الطفولة؟؟ لاشك أنه حين أصابتني الحيرة تأكدت أنها لم تكن من أحلامي في شيء ولكن الوقت.. مع الأسف الوقت يعيد تشكيل أحلامنا لأهوائه.

Twitter: @alqareah

كانت أحلامي شأنها شأن الروايات التي كان والدي يحكيها في الصغر، كنت أنتظر ذلك الفارس الذي سيأتي من حيث لا أدري كي يختطف كل ما أصبحت عليه من نضج ويعديني إلى تلك الطفلة الجريئة الهاربة من الواقع.. ياله من حلم ساذج مكرر يراود كل فتاة حتى تدرك أن ذلك الحلم لن يأتي أبدًا.

مـــن أوراق المبـاحـــث

إن المباحث تمكنـت بالفعل يوم الخامس والعشرين من مايو من التوصل إلى هويـة صاحـب السـيارة البيضاء، لم يقـم محمود السروجي بعنـاء كبير في تعديل شـكل السـيارة فقد قام ببيعها مباشرة لشـاب يدعـى محمد نصر كان يبحث عن سيارة مناسبة وهو مقبل على الزواج، تشاء الأقدار أن يخرج محمد نـصر فرحًا بسـيارته ليدعو خطيبته هناء السـيد طه على العشـاء وبرمسـيس وأثناء عودتهم بالسـيارة إلى العباسـية حيث تسـكن هناء تمكن كمين مسجد النور من إيقاف السـيارة المشـتبه فيها واعترف محمد نصر بشراء السـيارة من محمود السروجي الذي بدوره اعترف مباشرة في نهار السادس والعشرين من مايو على هوية صحاب السيارة الأصلي واعترف أيضًا بأنه قد جاء له في زيارة ليلية يطلب منه المسـاعدة في شراء مسدس، ذلك المسدس الذي قاد المباحث في ليلة السادس والعشرين من مايو إلى محل غبريال للأسلحة والذخيرة الذي بدوره تعرف إلى الشـاب من ملفات وصور المباحث وسـجلات المرور التي جاءت بصورته ولم يتردد في أن يقول في وجه الضابط بثقة ولا مبالاة:

هو ده الواد

Twitter: @alqareah

مــــن ملفات المبــاحــــث

طبقًا للتحقيقات التي استمرت أسابيع طويلة من بعد تلك الليلة، ليلة السابع والعشرين من مايو، جمعت المباحث كل سيناريوهات التحقيقات في ملف واحد أطلقت عليه اسم سفاح القبة، بعد رقم من الرشاوى وعدد من الاتصالات بكبار رجال الأمن في مصر، نجحت في الحصول على ملف سيناريو ليلة السابع والعشرين الخاص بالمباحث.

جاء هو ليمر من بوابة القصر.. كان الأمن مشددًا.. لم تكن الدعوة معه ولكن الأمن أكد حضوره.. لاشك أن القلق راوده وأنه كاد أن يعود في قراره كما كاد أن يعود عن قراره ليلة مقتل النقيب محمد أبو بكر، ولكن الأقدار استمرت أن تقف في جانب خططه فقد كانت إنجي تقف في نفس تلك اللحظة عند بوابة الحديقة.. لقد أكدت في التحقيقات أنها تحدثت معه.. إنها من تحدثت مع الأمن كي تسمح له بالدخول.. اقترب منها مسرعًا ليصافحها..

إنجي:

انت نسيت الدعوة في البيت ولا إيه؟؟

هو:

نسيتها آه.. اتلخمت وأنا بلبس ونازل بسرعة عشان ألحق الزفة

الظاهر من لهوجتي نسيتها

Twitter: @alqareah

أكدت له إنجي كما أكدت للأمن أنه مفيش مشكلة.. اصطحبته إلى داخل الحديقة ثم أكملت إنجي روايتها في التحقيق أن عينيه كانتا تتجهان نحو منزل الاستراحة بينما هي ظلت تحدثه عني.. كانت تؤكد له أني كنت سأكون في قمة الحزن إذا لم أحضر الحفل.. ولكنه حضر بالفعل.

من أقوال العاملين بخدمة الطعام

رغم تأكيد عمال الخدمة أن أحدًا منهم لم يره ولكن رئيس الطباخين في أقواله وضح أنه أثناء انشغاله بتحضير السرفيس لمحه يمر بين أروقة الموائد الخلفية متجهًا نحو المنزل.. نحو الباب الخلفي للمنزل تحديدًا.. كان في عجلة من أمره وكان يحكم إغلاق الجاكيت جيدًا وبدا يخفي شيئا ما في جيوبه الداخلية.. لم يستطع رئيس المطبخ أن يتبينه ولكنه قال إن ما كان يحمله أشبه بظرف كبير.

من أقوال أمن المنزل

كان معتز يصر على تأمين الاستراحة جيدًا.. فالمنزل واسع والطرقات بداخله قد تؤوي أي مجرم خطر له بال أن يعكر صفو تلك الليلة، الأمن لم يره والأكيد أنه صعد إلى ممرات الغرف من السلم الخلفي الخاص بالخدمة.. اتجه نحو الممر نحو الغرف، كان بين جيوبه مسدسه وكتابه.. أيهما أولًا؟؟ الكتاب؟؟ أم القتل؟؟

Twitter: @alqareah

التاسعة وخمس عشرة دقيقة مساء

كانت اللمسة الأخيرة التي احتفظت بها قبل النزول للحضور بالحديقة هي وضع أقراط ليلى نصير في أذني، تلك الأقراط التي جاءتني في شكل هدية من زائر جاء بدوره ربما من السماء.. احتفظت بهم لآخر لحظة كنوع من الذكرى.. احتفظت بهم في شكمجية جدتي الذهبية القديمة التي مازلت أحتفظ فيها بتفاصيل حياتي الصغيرة التي تعنيني كثيرًا.. وبعد وضع القرط الأول وقبل أن أنهي وضع الآخر.. جاءت طرقات باب غرفتي.. ثم جاء صوته:

نسرين.

للحظة كانت الدهشة هي كل ما أملك.. لا أعلم لماذا تخليت عن القرط الآخر وتوجهت إلى الباب كي أفتحه.. ثم فوجئت به يقف من أمامي ويدخل الغرفة قبل أن أستأذنه.. شفتاي تعجزان عن الكلام، كما بدت شفتاه أيضا تعجزان بدورهما عن رد سؤالي

إنت إيه اللي جابك هنا؟؟

وقف أمامي كان حائرًا.. كانت عيناه أشبه بمن سافر إلى عالم آخر وعاد للتو.. تناول من جيبه الكتاب.. كان ظرفًا مغلقًا.. رأيت عنوان الكتاب عليه.. بعد الوقت.

هو:

نسرين.. أنا بحبك.

Twitter: @alqareah

كان الكتاب بالفعل بين يدي ولا أقدر على النطق.

هو:

و اللي انتي حساه ناحيتي ومش فاهماه دلوقت

هو إنك انتي كمان بتحبيني.. بعد الوقت حتعرفي إن كلامي ده

هو الحقيقة.. انتي متلخبطة ومش فاهمة حاجة

لما حتقري الكتاب حتفهمي كل حاجة

نظرت له في حدة وضيق.. لا أعلم لماذا كنت غاضبة؟؟ هل لأنه كان فعلًا محقًّا في حديثه وأن صدقه يعني نهاية العالم كما كنت أعرفه؟؟ صرخت فيه بقوة:

امشي اطلع برة:

وقف أمامي كالطفل المذنب.. شعرت للحظة بتأنيب الضمير وكررت طلبي منه بهدوء أكثر فابتسم لي في حنية وهو يرى القرط متدليًا من أذني.. أدركت حينها أن غضبي تجاهه لن يكون مبررًا بشكل كاف، ربما لديه الحق في اقتحام حياتي واختطافي.. ربما.

هو:

إياكي تتجوزي معتز يا نسرين.. مش عشاني

أنا وانتي آخر مرة نشوف بعض الليلة دي

بس جوازك من معتز معناه إن كل حاجة ممكن في يوم تبأه حلوة

Twitter: @alqareah

عمرها ما حتكون حلوة.. جوازك منه معناه إنك بتكدبي على نفسك لأنك مش بتحبيه.

للحظة تذكرت أحلامي الساذجة.. تذكرت الفارس.. النافذة.. كل شيء يجري في عقلي كذكريات بلا هدف، ثم فجأة وأثناء حديثنا تعالت أصوات سارينات الشرطة بشكل ملحوظ.. كانت تملأ سماء الحديقة فاتجه مسرعًا نحو النافذة دون إذن مني.. اتجه وهو ينظر نحو الحديقة.. رأيت تعبير وجهه أولًا مما دفعني لكي أختلس النظر بدوري.. كانت أنوار سيارات الشرطة تملأ البوابة.. لم أر مثل ذلك العدد من الأمن في حياتي.. كانوا يقتحمون الفرح.. لم أفهم السبب وقتها.. أدركت فيما بعد أن السبب كان هو.

من ملفات المباحث

عقب إطلاقه الرصاص على ضابط الشرطة في منزله.. سقط والده مصابًا بأزمة قلبية.. تجاهل الأمن صراخ والدته وشقيقته على الأرض وهم يطلبون النجدة دون جدوى.. لولا إصابة الضابط بالرصاص لما قام الأمن بطلب الإسعاف.

قام الأمن بتفتيش غرفته في عجالة وسرعة وتنبهوا لدعوة الفرح التي نسيها على مكتبه، جاءت الاشارة للمباحث بعنوان الفرح خوفًا من تهجمه عليه.. كان مسلحًا وخطرًا فقد أصاب ضابط شرطة في كتفه وقد كان يصارع الموت بالفعل وقتها.

Twitter: @alqareah

من رواية معتز الشافعي
التاسعة وسبع عشرة دقيقة

كان معتز يقف بين الحضور في حديقة الحفل مرحبًا بالضيوف في انتظار موعد الزفاف.. كان يتأمل ساعة يده في استمرارية، كان على حد أقواله يشعر بأن أمرًا ما سيحدث.. كان قلقًا.

ما لم يفصح معتز عنه في الأقوال أننا قد اختلفنا عقب نتائج الانتخابات وفوزه بها، صارحته بتحالفه غير المفهوم مع التيار الديني.. كان معتز يصف نفسه دائمًا بأنه لا ينتمي لفصيل سياسي بعينه ولكنه وأمامي يقوم بالتحالف مع الأئمة ذاتهم الذين - وعن قناعة تامة - أدرك استغلالهم لعقول البسطاء في الاستقطاب السياسي.. لماذا ذلك التحالف إذن؟؟ كانت مبررات معتز لا تشفع له.

كان مبدؤه أشبه بمبدأ ميكيافيللي الشهير - الغاية تبرر الوسيلة - ولكنه بدا لي أسوأ من ميكيافيللي شخصيًّا الذي لم يكن يستغل سطوة الدين لتمرير السياسة.

شعرت بشك قوي يراودني تجاه معتز ونصره المحسوم في الانتخابات، وتساءلت.. هل صديقي الكاتب كان محقًّا في وصف تحالف معتز مع الإسلاميين؟؟ هل يعقل أن يكون معتز شريكه الأكبر وسر نجاحه هو صفقة ما بينه وبين الإمام؟؟ كنت أخشى الإجابة ولذلك ارتضيت برد معتز وقتها حين وضع يديه على وجهي في حنية نافيًا كل ما يراودني من شكوك وهو يهمس بحبه ليا.

Twitter: @alqareah

ذكرى تلك المشاجرة كانت ماتزال تطوف برأس معتز حتى التاسعة والسبع عشرة دقيقة مساء بتلك الليلة، اتجهت عيناه نحو أنوار سيارات الشرطة التي بدت تقترب وتقف أمام حديقة الحفل فاتجه مسرعًا بصحبة من معه من حضور ليتفهم مستفسرًا عن سر تلك القوة المقتحمة الحفل في ساعتها.

فوجئ معتز بسؤاله عما إذا كان يعرف ذلك الشخص.. نفس الشخص الذي قام بقتل الشباب في الفيلا بستة أكتوبر، هو نفسه الذي قام بقتل النقيب محمد أبو بكر ليلة زفافه.. هو نفسه الذي وجدت الشرطة في منزله دعوة الفرح لحضور حفل الزفاف المقام الآن.

أوضح معتز في التحقيقات أنه كان يشعر بأن أمرًا غريبًا يحوم حول ذلك الشخص.

كما أوضح أنه زاد ارتباكه حين تحدثت إنجي مع الأمن لتؤكد وصول ذلك الشخص إلى حفل الزفاف منذ ربع ساعة.

التاسعة وعشرون دقيقة

كان يقف بداخل الغرفة متراجعا عن النافذة كنت مصرة في سؤالي أن يشرح لي ما يحدث الآن وفورًا وإلا سأمزق كتابه أمام عينيه ولن يعنيني شيء.. كنت أمسك الكتاب فعلا والأوراق تتساقط من يدي، كنت أبتعد عنه في قلق.. كان ينظر لي في حسرة ثم تحدث أخيرًا.

هو:

Twitter: @alqareah

فاكرة لما سألتك امتى الواحد ممكن يقتل؟

أنا قتلت يا نسرين.. قتلت تلت مرات في حياتي.

مرة عشان اللي بحبها.. كان كل غرضي إني أنقذها من سجنها اللي عاشت فيه، واحنا بنهرب منه السجان قتلها قدامي. ومرة قتلت عشان واحد صاحبي.. بعد ما كانت الدنيا كلها قدامه

اتحول عبد بين إيدين واحدة موبوءة وأصحابها.

كان لازم أعمل كده.. وفي الآخر ممتش على إيديا برضه.

يقترب مني وأتراجع.

هو:

و مرة أخيرة قتلت فيها عشان آخد بتار واحد

كل ذنبه في الدنيا إنه كان إنسان.. واحنا عايشين في بلد

مفيهاش ضمير.. قتلت اللي عذبه واغتصبه جوه السجن .

و كل عقاب البلد ليه كان تأديب وخصم من مرتبه.

لم أكن أصدق ما أسمعه.. كنت كمن يعيش حلمًا غريبًا بلا معنى أو هدف.. إن وجودي في المكان والزمان لا منطق له.. فكيف أصبحت فجأة أحد أبطال تلك الرواية الغريبة..؟! ولكنه استمر في الحديث.

هو: أنا مش ندمان على أي غلطة عملتها في حياتي لأنه كل خطوة غلط وصلتني إني أقف قدامك دلوقت وانتي الحاجة الوحيدة الصح في حياتي.
أصرخ فيه وبقوة:

Twitter: @alqareah

انت عاوز مني إيه؟؟

كان رده هادئًا واثقًا.

هو:

عايزك تعرفي الحقيقة.. معتز يا نسرين مش زي مانتي فاكرة

معتز كداب.. حط إيده في ايدين ناس ملهمش ذمة، مستخبيين ورا جهل الناس وضعفهم.

معتز يا نسرين حيتسبب في أكبر فتنة حتحصل للناس.

الناس اللي ماشية وراه.. وغيرهم حيمشوا وراه بكرة.

حيصدقوه لإنه حيتاجر بفقرهم وبأحلامهم عشان يحقق أحلامه هو

لو اتجوزتي معتز يا نسرين.

يتنهد في حسرة وضيق.

هـو: أنا حضطر أقتله.. وأنا مقدرش أعمـل فيكي كده، مقدرش أعمل كده ليلة فرحك كان كل أملي تحبيني يا نسرين ومنوصلش للحظة دي.

يبتسم في سخرية.. ثم أجيبه أنا:

إنت مجنون.. إنت مجنون في دماغك.

ينظر لي في حسرة وقد بدت عيناه تؤكد أن لي أنه صادق.. لم يكن مجنونًا.. أنا متأكدة إنه مش مجنون ..

تنـاول من جيبـه هاتفه المحمول وهـو يناوله لي.. صور اجتـماع معتز مع الإمـام بداخل المسـجد بالإسـكندرية حيث قام هو بتصويرهـم، لماذا أخفى

Twitter: @alqareah

الحقيقة عني إذن؟؟ لماذا لم يقدم لي تلك الصور سابقًا؟؟ لماذا انتظر حتى أشعر بأن سعادتي الزائفة تكاد أن تكتمل والآن هو يريدني أن أفيق من تلك الأحلام التي أقنعت نفسي بأنها الصواب؟

ابتسم هو في صمت بينما أنا أتأمل الصور على الهاتف ثم أنظر إليه وفي نفس اللحظة انفتح الباب في قوة ودخل معتز في تلك اللحظة إلى غرفتي.. كان غاضبًا والأمن من ورائه.. كنت أعيش مشهدًا من حلم خيالي برأسي.. كان الرجلان ينظران تجاه بعضهم البعض في غضب.. معتز صرخ فيه مهددًا إياه.

معتز:

اطلع بره يا مجرم يا حيوان!

لم ينتظر هو كثيرًا وتناول مسدسه من أمامي ويصوبه تجاه معتز، الصدمة استوقفتني.. لن أنسى أبدًا تلك اللحظة في حياتي.

وقف معتز للحظة غير مدرك حجم الموقف بينما هو يصوب مسدسه إليه.. كنت أقف بينهما بينما الأمن يقف عند الباب.. ظل هو يصرخ في الأمن أن يتراجع وإلا سيقتل معتز.

الأمن كان يتراجع مطالبًا إياه بتسليم نفسه فلا ملجأ له ولا منفذ خارج المنزل..

المسدس مصوب تجاه معتز، أنا أرجوه ألا يقتل معتز فينظر إليّ في حدة.

هو:

اسأليه يا نسرين.. اسأليه عن الإمام.

اسأليه هو كان في إسكندرية ليه.

Twitter: @alqareah

وريله الصور.. خليه يعرف إنه اتفضح وانكشف.

أتجه ببصري نحو معتز الذي يقف متشككًا للحظة مما يحدث، لم يكن واعيًا لحجم ما يعرفه خصمه عنه.. خصمه الذي لم ينتظر مني سؤال معتز وأكمل اتهامه له.

هو: اسأليه هو ناوي على إيه؟؟ ناوي يبيع البلد قصاد السلطة.

ناوي يبيع نفسه للشيطان المتداري في صورة إمام.

معتز مكنش في اسكندرية عشان الانتشار والدعم زي ما بيقول، معتز كان بيتفق مع الإمام عشان يحشد له الناس في صناديق الانتخابات.

هي دي الحقيقة يا نسرين.

وضعت هاتفه بين يدي معتز في بطء وقد تأمل معتز الهاتف في لا مبالاة ثم ابتسم في سخرية وألقى الهاتف نحو الحائط كي يهشمه من أمامنا

معتز:

إيه رأيك كده ؟؟؟ مفيش صور.. مش أحسن؟؟

إن معتز كان لا يقل خللًا عنه وهو يبرر كل مبرراته السياسية بعد أن هشم الهاتف وحرص على فعص ما تبقى من أجزائه على الارض وبدت عيناه تودع ذلك الهاتف.. هاتفه الأول والأخير.

تلك اللحظة أدركت فيها أن قرارًا لابد أن يتخذ والآن، يجب أن أوقف أنا هذا الجنون وأمنع تلك الجريمة، لم يكن هو يدرك أنه ليس في حاجة للمسدس.. كان في حاجة لاقتحام الفرح كي يطلق آخر صرخة ألم من وقع

Twitter: @alqareah

الحقيقة بداخلي عاليًا.. أنظر إلى معتز في ضيق وحزن.. لم ألتفت تجاهه لحظة ولكني كنت متأكدة أنه قد رأى جيدًا نظرتي لمعتز.

نسرين:

مفيش داعي للي انت بتعمله ده صدقني

لو على كدبة معتز.. أنا مصدقاك.

احتفظت بصمتي بينما هو يقف أمام معتز وقد بدا المسدس بينهم ومعتز ينظر له في حدة ثم ينطق فجأة عن غضب وحنق غالبًا بسبب ردي.

معتز:

انت فاكر نفسك إيه؟؟ فاكر نفسك حاجة؟؟

انت مين يا بني؟؟ انت مين انطق؟؟

أنا أقولك انت مين.. انت حتة حشرة ولا تسوى.

لم أفهم وقتها تلك الابتسامة الغريبة التي اعتلت وجهه حين أهانه معتز واصفًا إياه بالحشرة، ولم أفهم حتى إجابته.

هو:

عندك حق.. أنا حشرة.. بس حتى أصغر حشرة في الدنيا

تقدر تغير الكون في ثانية.

نظر تجاهي نظرة أخيرة.. كانت تلك آخر نظرة بيننا.. آخر مرة تقابلنا فيها.. نظر تجاهي قائلا جملة واحدة.

هو:

Twitter: @alqareah

حستناكي.. بعد الوقت.

ابتسم ثم قفز فجأة من بيننا نحو نافذة الغرفة بينما الأمن يقتحم المكان حين تحرك.. معتز قفز بدوره نحوي كي يحميني.. سقطت أرضا بينما الأمن يطلق الرصاص تجاهه بداخل الغرفة وأنا أصرخ في رجاء ألا يقتلوه.

■■■

من ملفات تحقيقات المباحث

لم يكن الأمن يتوقع أن يقفز المجرم من نافذة غرفتي بالطابق الثاني نحو الحديقة.. المسافة لم تكن كبيرة ولكن جريء جدًّا من يفكر في الإقدام على خطوة مثل تلك، وهو كان جريئًا بالفعل.. سقط في قلب الحديقة ولم ينتظر لحظة حتى عاد ليجري نحو الفرح.. لم يستوقفه أحد.. كان الأمن يطارده.

ظل يجري بين المدعوين وعلى أطراف الحديقة.. كانوا مسرعين من خلفه، يلاحقونه.. يطلبون الدعم للإيقاع به عند الكوبري الذي كان يركض هاربًا تجاهه.

■■■

التاسعة والنصف

لم يعد للزفاف معنى أو هدف.. كنت أنهض من الأرض بينما معتز يساعدني.. الصدمة وصوت الرصاص أصابني للحظة بالارتباك وقد بدا

Twitter: @alqareah

معتز يقف من أمامي متسـائلًا عني.. لم أكن بأفضل حال ولكني كنت بدأت أتـدارك نفسي تدريجيًّـا.. عدت خطوات للـوراء من أمام معتـز.. كان يقف أمامي في صمت وترقب ثم مد يده تجاهي مؤكدا أننا سنكون معًا رغم ذلك المجنون.. لا داعي للقلق.. سنتزوج في تلك الليلة.. كنت أنظر له في حيرة.. كنـت أنظـر للنافـذة في قلق عليـه.. هل قتلـوه.. كانت أوراقـه على الأرض يدوس معتز عليها بقدمه دون أن يشـعر.. كان كتابه أسـفل أقدام معتز الذي ما يزال يمد يده تجاهي وكنت أنظر تجاهه وهو يبتسم لي محاولًا أن يطمئنني.

معتز:

متخافيش من حاجة.. حيمسكوه متقلقيش.

■■■

مــــن ملفات المبــاحـــــث

كان يركـض منهم نحو الكوبـري مسرعًا، كانوا قد أحكمـوا غلق منافذ الكوبـري كلهـا.. كان محـاصرًا حتى وصـل إلى منتصف الكوبـري تقريبًا.. الكلاب أفلتوها تجاهه والأمن يجري نحوه.

كانـت خطواته تتراجع للوراء نحـو الحافة، الأمن يهدده بأن يتوقف وإلا سيقتلونه.. ظل يتراجع في خطوات بطيئة للوراء حتى بدا أقرب للحافة التي تعلو عن سطح مياه نهر النيل على الأقل بعشرة أمتار.

Twitter: @alqareah

التاسعة واثنتان وثلاثون دقيقة

كنت أقف أمام معتز الذي لا يزال يقترب مني في مودة وعطف وكل الحب الذي كان يحمله لي.. ثم تراجع بيده عني وتبدلت ابتسامته إلى الجدية حين امتدت يدي لتلتقط تلك الصورة التي تجمعني بصديقي على شاطىء الإسكندرية معًا، وذلك الإهداء والكلمات على ظهر الصورة .. رآها معتز بين يدي فتبدلت ملامحه.

معتز:

كل ده عشانه.. إنتي بتحبيه ؟؟؟

لم يكن لدي رد في تلك اللحظة تحديدًا.

معتز:

إنتي اتجننتي يا نسرين؟؟ بتحبي واحد مجرم، واحد قاتل، واحد كان بيلعب بيكي؟ الله أعلم كان عاوز مننا إيه!!

■■■

من ملفات المباحث

الأضواء كلها مسلطة عليه.. الهواء يدفعه.. الأمن يقترب.. الكلاب تنبح تجاهه.. لا شك أنه كان واثقًا.. رأى في عينيَّ اللتين كان يجيد قراءة ما فيهما.. أنه ليس في حاجة لقتل معتز.

Twitter: @alqareah

التاسعة وثلاث وثلاثون دقيقة

كنت أنظر لمعتز الذي يترقب مني ردًّا حول كل ما يحدث وسيحدث الذي هو ليس بإمكاننا أو بأيدينا تغييره. فأجبته الإجابة التي ربما لم يكن يتوقع سماعها:

أنا مش عارفة إذا كنت بحبه ولا لأ.

كل اللي متأكدة منه.. إني مبحبكش يا معتز.

■■■

مـــن ملفات المبـاحـــث

أغلق عينيه وعاد للوراء.. تذكر أن عليه السقوط كي يعود من جديد.. إن المياه كانت سرًّا للحياة.. تراجعت أقدامه حتى سقط من أعلى الكوبري.. سقط من أعلى نقطة فيه.. الأمن انقض نحو الحافة وكان الوقت قد انقضى.. لحظات.. سقط من أعلى الكوبري فيها.

ربما في أثناء سقوطه كان يتذكر كل شيء.. كان يتذكر لقاءنا الأول أو كان يتذكر كل ذنوبه.. الأكيد أنه لم يظهر أبدًا مجددًا على سطح الأرض.. اختفى وتلاشى مع سقوطه من أعلى الكوبري إلى المياه.

Twitter: @alqareah

من ملفات مستشفى هليوبوليس

إن الرصاصة التي أصابت الضابط في كتفه وسقط على أرض صالة منزله، كانت سببًا في حضور الإسعاف مسرعة.. لم تكن سيارة واحدة التي حضرت وإنما سيارتان.. السيارة الأخرى كانت لوالده الذي كان يصارع الموت من أثر الأزمة القلبية المفاجئة.

أكد الطبيب المعالج أن والده قد وصل للمستشفى في لحظاته الأخيرة ولكن الأطباء نجحوا في إنقاذ حياته، لو كان تأخر لثوان معدودة لمات في الطريق.

■■■

Twitter: @alqareah

بعد الوقـــت

احتفظت بنسـخة الكتاب طوال خمسـين عامًا قضيتها من حياتي بعد ليلة السابع والعشرين من مايو.

أجلس الآن على شـاطئ البحر أختتـم كلماته بعد صراع طويل بيني وبين نفـسي حول إكماله من عدمه، إن الحيـاة الآن تفارقني، لم يعد لديَّ الكثير كي أعيشـه.. الحِمل الذي طال قلبي طوال تلك السـنوات كلها حان الوقت كي أنهيه.

أجلس الآن على ذلك الشاطئ.. البحر بأمواجه والشمس تكاد أن تغرب في الأفق لتترك سـحبًا قرمزيـة.. أحفادي الأربعة يجرون من حولي.. أسـمع أصواتهم الفرحة السعيدة.. أنجبت ثلاثة بنات ولم أنجب في حياتي ولدًا.. لم أتزوج معتز الذي لم يقض سـوى فترة واحدة في مجلس الشـعب، إن التاريخ طوال الخمسـين عامًا الماضيـة يدركه الكثيرون ولسـت في حاجة كي أحكيه ولكـن التاريـخ الآخر الـذي رآه صديقي المسـافر عبر الزمـن لم يحدث ولن يحدث.

أجلس على ذلك الشاطئ.. أنظر نحو الأفق وأتساءل، هل ما زال ينتظرني على تلك الجزيرة بين الأطفال؟؟ هل هو هناك الآن؟؟ لا شك أنه هناك يقف على الشاطئ ينظر من الناحية الأخرى تجاهي مبتسمًا ويمد يده إليَّ.

سنظل أوفياء لتلك اللحظة.. إن آفة الناس النسيان

إلا الشمس والقمر لا ينسيان.

Twitter: @alqareah

إهداء لكل من قابلته في حياتي

الحمد لله رب العالمين

Twitter: @alqareah

دار نهضة مصر
للنشر

Twitter: @alqareah

بعد الوقت

رواية

ستحتار وأنت تقرأ أحداث تلك الرواية، هل هي محض خيال مؤلف؟ أم أنها رؤية مزجت الواقع ومآسيه بالخيال للبحث فيما يكمن وراء أحداثه؟ ولكنك ستعلم وأنت تتنقل بين سطورها وصفحاتها أن خيالنا يعجز في كثير من الأحيان عن ملاحقة الواقع الذي يمثل لنا لغزًا حتى لو ادعينا فهمه...

قد لا نجد تفسيرًا لما نفعله، وقد نشعر بعبث ما نقوم به، ولكن الحقيقة أن ما نقوم به مرهون بماض عشناه، وحاضر نسعى لتغييره، ومستقبل لا نعلم عنه إلا القليل.

الناشـــر

للطلب والاستفسار اتصل على
16766
www.nahdetmisr.com
our page/nahdet misr group

6 221133 348324

دار نهضة مصر
للنشـــر